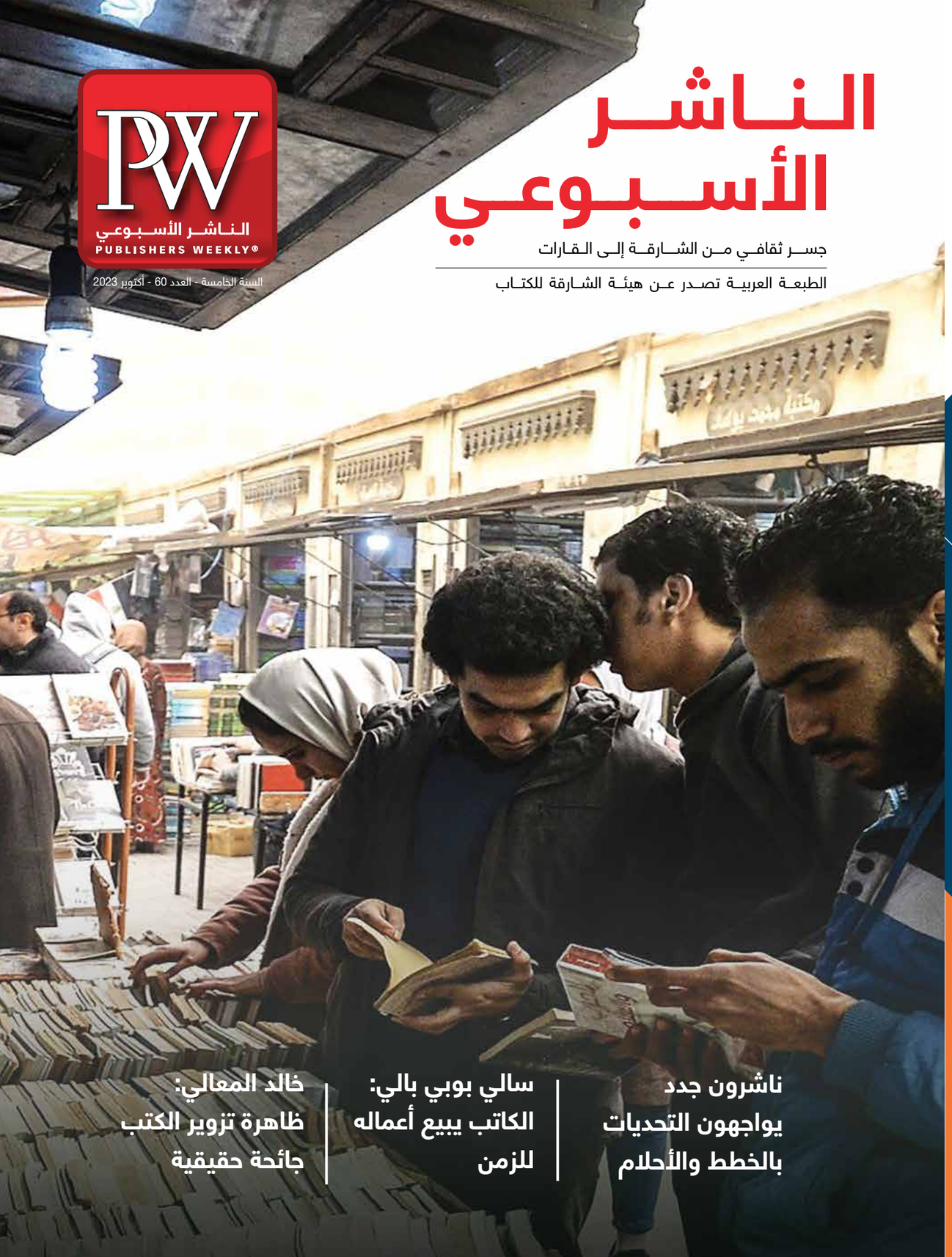

PW
الناشر الأسبوعي
PUBLISHERS WEEKLY®
السنة الخامسة - العدد 60 - أكتوبر 2023

الناشر الأسبوعي

جسر ثقافي من الشارقة إلى القارات

الطبعة العربية تصدر عن هيئة الشارقة للكتاب

ناشرون جدد يواجهون التحديات بالخطط والأحلام

سالي بوبي بالي: الكاتب يبيع أعماله للزمن

خالد المعالي: ظاهرة تزوير الكتب جائحة حقيقية

هيئة الشارقة للكتاب
Sharjah Book Authority

تمكين المجتمعات من خلال الكلمة المقروءة

Sharjah Book Authority

sba.gov.ae

دار المخطوطات في الشارقة

صفحة مضيئة جديدة في كتاب الشارقة، خطّها صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة، في زيارته لدار المخطوطات في إمارة الشارقة، في 14 من سبتمبر/ أيلول 2023. وكانت بذرة هذه الدار بدأت باسم "دار المخطوطات الإسلامية في جامعة القاسمية" في السابع من سبتمبر/ أيلول 2017. وحرص سموّه على إهدائها مجموعات من المخطوطات بمختلف التخصصات، من مقتنياته الخاصة. وهو بذلك يشكّل أنموذجًا للعطاء من جهة، ويقدّم درسًا بليغًا من جهة ثانية، مفاده أن لا احتكار للمعرفة بكل صنوفها، لأن الحاكم الحكيم يؤمن بحق الإنسان بالمعرفة، مثل حقه بالهواء، وأن لا بناء من غير المعرفة.

ولأن سموّه يؤمن بأن المعارف في بطون الكتب، بوصفها المصادر الأساسية، ويعرف ما تكتنزه من نور، فإنه يواصل تعمير مشروع الشارقة الثقافي النهضوي، لكونه حجر الأساس في بناء الحاضر والمستقبل. ويأتي شغف سموّه بالمخطوطات، انطلاقًا من شخصية الحكيم المثقف والباحث المؤرخ والمؤلف. ولهذا كانت البذرة الأولى لدار المخطوطات قبل ست سنوات، والآن غدت شجرة وارفة المعارف تحت اسمها الجديد "دار المخطوطات" برئاسة سموّه، لأن ما فيها "جزء منه"، كما قال الحاكم الحكيم في كلمته الشهر الماضي. كما تم تعديل اسم الدار حتى تكون شاملة لكلّ المعارف والتخصصات واللغات والمصادر. وقال سموّه في كلمته، إنّ "دار المخطوطات ستكون إحدى دور نشر العلم بدل الغثّ الذي تنشره مواقع التواصل الاجتماعي بشكل عام، لذلك لا بد من الدخول في هذا المجال وأن نزاحم فيه، رافعين رايةَ الدين واللغة والأخلاق والثقافة، حتى يكون لنا موقع وسط هذا التنافس، ولذلك آليت على نفسي أن أقتطع جزءاً من وقتي لهذه الدار، لأن ما بها جزءٌ مني". وبذلك يؤكد سموّه على مكانة الدار واهتمامه بها وعنايته بها وتزويدها بالمخطوطات النفيسة والنادرة. كما يؤكد سموّه على تعميم المعرفة للجميع، بقوله إنّ الدار "لجميع المخطوطات، حيث لدينا مجموعة كبيرة منها، في الطب والعلوم والهندسة، إلى جانب عدد من الموضوعات الأخرى المهمة المتوفرة بالوثائق الأجنبية، لتكون دار المخطوطات بالشارقة مصدر إشعاعٍ فكري ليس فقط للدراسين، وإنما كذلك للباحثين وعامة الناس".

المخطوطات كنوز معرفية تواصل دورها عبر بريد الماضي إلى الحاضر والمستقبل، فهي قنطرة بين الأزمنة. وللعرب باع طويل في صناعة المخطوطات، منذ كانت نقوشاً في الحجر، وسطوراً على الجلود قبل انتشار الورق، لذلك هي عنصر من عناصر الهوية العربية، تُظهر دور أُمّتنا في مسيرة الحضارة الإنسانية. ولهذا يؤكد صاحب السمو حاكم الشارقة على أهمية جمع المخطوطات وترميمها وصيانتها وحفظها وفق الطرق العلمية وبأفضل الوسائل التقنية. وتزخر دور المكتبات والمتاحف في العالم بكثير من المخطوطات العربية والإسلامية، والتي تعد كنزًا من كنوز أجدادنا العلماء والأدباء والمفكرين، وفي ذلك يقول الحاكم الحكيم إن المخطوطات "تراث الأمّة، ومصدر الثقة بها وبالأسلاف السابقين وما وصلوا إليه من علم ومعرفة".

أحمد بن ركاض العامري

الرئيس التنفيذي لهيئة الشارقة للكتاب

رئيس التحرير

في هذا العدد

• السنة الخامسة - العدد 60 - أكتوبر / تشرين الأول 2023

• صورة الغلاف: سوق الكتب في منطقة سور الأزبكية في القاهرة. (أرشيفية)

أول الكلام

1 دار المخطوطات في الشارقة

ممرات

21 دمية عالمية سامّة

مقالات ودراسات

22 «قارئ جول فيرن».. حرب أهلية في مرآة الرواية

30 «رسائل البوم» .. حوار رباعيّ الأصوات

عبور

37 زلزال المبدع

38 إيفا ليبسكا.. شاعرة تفكيك اللغة

سؤال وجواب

51 كليف أوبنهايمر.. الحلقات البركانية

إصدارات جديدة

52

تخوم الكتابة

53 الإيحاء الشعريّ

مراجعات

54 رفائيل ألبرتي.. مزيج من القوة النارية والحب اللطيف

سؤال وجواب

61 عالية بلال.. قصص التهميش المضاعف

62 أعمال تجريبية تفجّر الحدود بين الفنون الإبداعية

سؤال وجواب

69 كاليب إيفيريت: اللغات تشكّل تفكيرنا

سؤال وجواب

115 فرح كريم كوبر.. شكسبير والعنصرية

رقيم

116 الأندلسية أديبة روميرو

هوى وهواء

101 الواجب سلاسل ومنازل

أخبار وتقارير

102 حركة الشعر العالمية تطلق حملة تضامنية مع أفريقيا

صفحات

104 كارولينا كارديناس: قصيدتي مكان للمنسيّين

مرايا

110 خوان بيورو.. كاتب عابر للأجناس الأدبية

نظرة في الكتاب.. نظرة إلى الحياة

112 الشعر عابراً للغات والمنافي

سؤال وجواب

70 «مسالك البصري».. خطوط التحولات في الجمالية المعاصرة

74 «الجراح تدل علينا».. كوميديا سوداء بنهايات مفتوحة

قِفا نقرأ

79 بابوشا.. أُمّ الشِّعر الغجري في بولندا

80 «ظلام منحوت».. تضافر الحواس في سردية متمرّدة

84 «وداعًا كولورادو» ترصد المرايا المتشظية للمثقف

جهات

87 سيرة محمود درويش

88 «كونيمارا».. نشيد لجيل الفرص الضائعة

استطلاعات وتحقيقات

92 ناشرون جدد يواجهون التحديات بالخطط والأحلام

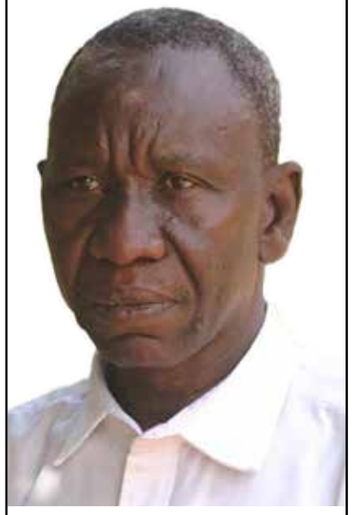

سالي بوبي بالي: الكاتب يبيع أعماله للزمن

«قارئ جول فيرن».. حرب أهلية في مرآة الرواية

إيفا ليبسكا.. شاعرة تفكيك اللغة

«الجراح تدل علينا».. كوميديا سوداء بنهايات مفتوحة

كارولينا كارديناس: قصيدتي مكان للمنسيّين

الناشر الأسبوعي

جسر ثقافي من الشارقة إلى القارات

الطبعة العربية
تصدر عن هيئة الشارقة للكتاب
رقمية أسبوعية.. وورقية شهرية

بالتعاون مع PUBLISHERS WEEKLY PW

الشيخة بدور بنت سلطان القاسمي
رئيسة مجلس إدارة هيئة الشارقة للكتاب
Sheikha Bodour bint Sultan Al Qasimi
Chairperson of the Sharjah Book Authority

الرئيس التنفيذي لهيئة الشارقة للكتاب
CEO of Sharjah Book Authority

رئيس التحرير
Editor in chief
Ahmed Al Ameri
أحمد العامري

مدير التحرير
Managing Editor
Ali Al Ameri
علي العامري

المشرف العام
General Supervisor
Mansour Al Hassani
منصور الحساني

المنسق العام
General Coordinator
Khoula Al Mujaini
خولة المجيني

الترجمة
Translation
Amel Al Zarouni
Moza Al Kharji
أمل الزرعوني
موزة الخرجي

مساعدة إدارية
Administrative Assistant
Nemah Naji
نعمة الناجي

المدير الفني
Art Director
Mohammed Al Arqawi
محمد العرقاوي

التصميم
Graphic Design
Rawan Sonbli
Eman Al Eghfeli
روان سنبلي
إيمان الغفلي

المنسق الإعلامي
Media Coordinator
Aisha Alabbar
عائشة العبار

الاشتراكات والإعلانات
Subscription & Ads.
Zaher Elsousi
زاهر السوسي

التوزيع
Distribution
zelsousi@sibf.com

هيئة الشارقة للكتاب
Sharjah Book Authority

• هاتف Tel. 00971-65140000
• الموقع الإلكتروني Website
http://www.sba.gov.ae
• البريد الإلكتروني Email
pwmagazine@sibf.com

أكد أن الوثائق تراث الأمّة ومصدر الثقة بها وبالأسلاف

سلطان: دار المخطـوطات في الشارقة مصدر إشعاع فكري للجميع

الشارقة – "الناشر الأسبوعي"

أكد صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة، رئيس دار المخطوطات في إمارة الشارقة، أن المخطوطات والوثائق "تراث الأمّة، ومصدر الثقة بها وبالأسلاف السابقين وما وصلوا إليه من علم ومعرفة".

وقال سموه في كلمة ألقاها، صباح الخميس 14 سبتمبر/ أيلول 2023، خلال زيارته لدار المخطوطات في الشارقة، إن الدار "لجميع المخطوطات، حيث لدينا مجموعة كبيرة منها، في الطب والعلوم والهندسة، إلى جانب عدد من الموضوعات الأخرى المهمة المتوفرة بالوثائق الأجنبية، لتكون دار المخطوطات بالشارقة مصدر إشعاعٍ فكري ليس فقط للدراسين، وإنما كذلك للباحثين وعامة الناس"، إذ توفر نسخاً إلكترونية للباحثين وعموم القراء للاطلاع والبحث العلمي والتثقيف الذاتي لتعميم المعرفة، بخلاف كثير من دور الوثائق العالمية التي لا

تمكّن الباحثين من الوصول إلى مخطوطاتها.

وتحدث سموه عن أهمية العناية بالمخطوطات في جميع المجالات الثقافية والعلمية والفكرية، لما لها من فوائد عظيمة للأجيال الجديدة في معرفة تراثها وجهود العلماء السابقين في مختلف حقول المعرفة، مشيراً سموه إلى أن دار المخطوطات ستكون مفتوحةً أمام الجميع، وسيتم الاهتمام بكل ما تحتاجه لتكون إحدى مؤسسات بسط العلم ونشره من الشارقة.

وتناول سموه أهمية الدار في العمل على العديد من الأهداف الثقافية والعلمية، والتي من أهمها جمع المخطوطات وتوفيرها للباحثين الأكاديميين والطلبة وعامة الناس، قائلاً إنّ "دار المخطوطات ستكون إحدى دور نشر العلم بدل الغثّ الذي تنشره مواقع التواصل الاجتماعي بشكل عام، لذلك لا بد من الدخول في هذا المجال وأن نزاحم فيه، رافعين رايةَ الدين واللغة والأخلاق والثقافة حتى يكون لنا موقع وسط هذا التنافس، ولذلك آليت على نفسي أن أقتطع جزءاً من وقتي لهذه الدار لأن ما بها جزءٌ مني".

وأثنى سموه خلال كلمته على جهود ومشاركة وزير الصحة ووقاية المجتمع، نائب رئيس دار المخطوطات، عبد الرحمن بن محمد العويس، وإسهامه بإهداء عدد كبير من المخطوطات النادرة إلى الدار. كما قدم سموه الشكر والتقدير إلى الجامعة القاسمية على جهودها الكبيرة في مجال المخطوطات، وإلى مصرف الشارقة الإسلامي على مجموعة المخطوطات النادرة التي أهداها إلى الدار.

وأكد سموه الاهتمام البالغ بدار المخطوطات عبر برامج متنوعة تتضمن إصدار مجلة فصلية تعمل على نشر أخبار الدار والتعريف بكنوزها المعرفية من الوثائق وما وصلها من مخطوطات، وتبيان عمل الدار في ترميم المخطوطات وحفظها، إلى جانب نشر مخطوطة كاملة في كل عدد أو على الموقع الإلكتروني التابع للدار.

وأعرب صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عن اعتزازه وفخره بكافة المؤسسات التعليمية والثقافية والتاريخية في إمارة الشارقة، مشيراً إلى أن جلّ الموجودات فيها هي من مقتنيات سموه الخاصة، ولذلك فهي قريبة منه، سواء أكانت متاحف أو مكتبات أو مخطوطات أو غيرها.

وكان سموه قد اطلع خلال جولته في الدار على مخطوطات متنوعة في المجالات ذات العلاقة بالتاريخ الإسلامي والمصحف الشريف من عصور مختلفة، والتي أهداها سموه إلى الدار. كما استعرض سموه مجموعة أخرى من المخطوطات والوثائق التي أهداها مصرف الشارقة الإسلامي إلى الدار.

وتلا رئيس الدائرة القانونية لحكومة الشارقة، الدكتور منصور بن نصار، قبيل الجولة، المرسوم الأميري الذي أصدره صاحب السمو حاكم الشارقة، بشأن إنشاء وتنظيم دار المخطوطات في إمارة الشارقة.

أهداف دار المخطوطات

أصدر صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة، مرسوماً أميرياً بشأن إنشاء مؤسسة علمية تُسمّى "دار المخطوطات في إمارة الشارقة"، برئاسة سموه. ووفق المرسوم يُعيّن عبد الرحمن بن محمد بن ناصر العويس نائباً لرئيس الدار.

ويكون المقر الرئيس للدار في مدينة الشارقة، ويجوز بقرار من الرئيس إنشاء فروع لها في باقي مدن ومناطق الإمارة أو خارجها.

وتهدف الدار إلى جمع وحفظ المخطوطات من التراث العربي الإسلامي والعالمي والعناية بها وصيانتها وترميمها. وتهدف أيضاً إلى إتاحة ما تحويه من مخطوطات ووثائق نادرة ونفيسة للاطلاع والبحث والتعرف على الإنتاج الفكري والثقافي والأدبي والعلمي، أمام العلماء والباحثين والمهتمين بهذا الشأن. كما تهدف إلى نشر التراث العالمي فيما يتعلق بتاريخ العلوم وإسهاماتها في تراث الانسانية.

بدور القاسمي تكرّم الفائزين بجائزة الشارقة للأدب المكتبي

الشارقة - «الناشر الأسبوعي»

كرّمت الشيخة بدور بنت سلطان القاسمي، رئيسة مجلس إدارة هيئة الشارقة للكتاب، الفائزين بالدورة الـ23 من جائزة الشارقة للأدب المكتبي، خلال افتتاح ملتقى الجائزة الذي عقد في 13 سبتمبر/ أيلول الماضي، في المقر الرئيس لمكتبة الشارقة العامة. وكانت الجائزة التي استقبلت أكثر من 30 بحثاً من ثماني دول هذا العام، جاءت تحت عنوان "التعليم والتعلّم والمكتبات.. سبل الدمج والتمكين وأفضل الممارسات".

وتجولت الشيخة بدور القاسمي في أروقة المكتبة العامة، مشيدة بتنوع وثراء أقسامها التي تلبي اهتمامات القراء من مختلف الأعمار والثقافات. واستمعت إلى شرح مفصّل عن الخدمات الذكية التي تقدمها المكتبة لتسهيل استفادة الجمهور من موادها المعرفية.

وأعلنت مديرة إدارة مكتبات الشارقة العامة التابعة لهيئة الشارقة للكتاب، إيمان بوشليبي، عن إضافة فئتين جديدتين للجائزة، هما فئة أفضل مكتبة ومؤسسة معلومات عربية، وفئة أفضل مشروع وممارسة في حقل التخصص. وكشفت عن أن موضوع الدورة المقبلة من الجائزة سيكون بعنوان "التحول نحو البيئة المعرفية الخضراء". وفاز بالمركز الأول بالجائزة الدكتور محمود شريف أحمد زكريا، ونالت المركز الثاني الدكتورة نهلة محمد موسى، وفاز بالمركز الثالث الدكتور عماد عيسى صالح، والدكتورة أماني محمد السيد.

وتناولت جلسات الملتقى موضوعات عدة، أبرزها النشر المؤسسي، ومقوّمات الدور التربوي للمكتبات. وأوصى الملتقى الذي استمر يومين، بضرورة إشراك رواد المكتبات والقراء والباحثين في حملات التوعية البيئية، وتشجيع مؤسسات إدارة المعرفة والمعلومات على إنشاء فضاءات للإبداع والابتكار.

الشاعر والروائي النيجري مرتبط بالثقافة العربية من خلال "لغة الضّاد"

سالي بوبي بالي: الكـاتب يبيع أعماله للزمن

حاوره: الدكتور حسن الوزاني (الرباط)

يؤكد الشاعر والروائي النيجري سالي بوبي بالي أن بإمكان الثقافة أن تلعب دوراً إيجابياً خلال الأزمة التي تعيشها جمهورية النيجر إثر الانقلاب الأخير، إذ تتقاسم بلاده نفسَ التاريخ واللغات والأديان مع عدد من دول المنطقة، ومنها نيجيريا وبنين.

ويقول سالي بالي، في حوار خاص بمجلة "الناشر الأسبوعي"، إن "الأغلبية تقر بكون المكون الثقافي هو الذي مكّن النيجريين، خلال الأزمات السابقة، من إدراك أنهم محكوم عليهم بالعيش معاً"، مشيراً إلى بعض التقاليد الثقافية التي تمكّن من إطفاء نار الصراعات، ومنها تلك المرتبطة بنموذج الحكواتيين المنتمين إلى الشعب المانديغي، الذين يتوسطون بين المجموعات والدول، معتمدين على معرفتهم بالتاريخ والثقافة، وعلى الحصانة التي تمنع المتحاربين من قتلهم أثناء الحرب.

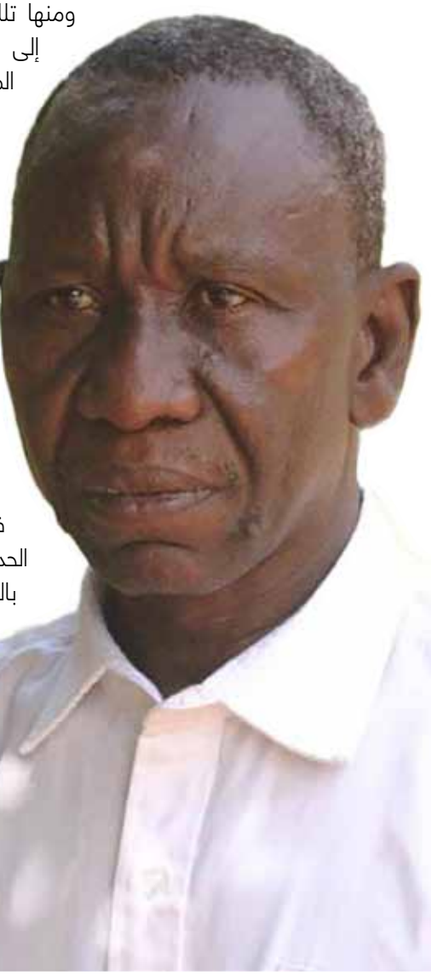

سالي بوبي بالي

وبالعودة إلى مساره على مستوى الكتابة، يُقر الكاتب النيجري بأنه جاء إلى الكتابة مدفوعاً برغبة الاستجابة لحاجة الفلاحين على مستوى كتابة رسائلهم الموجهة إلى عائلاتهم المهاجرة، معترفاً بأنه كان حينها يمارس وظيفة "الكاتب العمومي"، وذلك قبل أن ينتقل إلى الكتابة الأدبية الحقيقية، مع نشر نصه الشعري الطويل "عكازات".

ويربط سالي بوبي بالي صلاته بالأدب العربي بصفته مواطناً مسلماً في بلد يشكّل فيه العربُ أكثر من 3% من السكان، ويتقاسم الحدود مع الجزائر وليبيا وتشاد، حيث يتم التحدث باللغة العربية من قبل غالبية السكان. وهو مرتبط بعموم الثقافة العربية عبر "لغة الضاد"، إذ يتابع: "أنا مرتبط بالتاريخ والجغرافيا والدين والثقافة من خلال اللغة العربية، التي يتمكّنُ معظم السكان من القراءة والكتابة بها من خلال المدارس القرآنية التي أُنشئت منذ القرن الثاني عشر". ويؤكد أن "المؤلفين العرب المعاصرين قليلو الشهرة في أفريقيا، وهو ما يفرض منح الأدب العربي مكانة أكبر على مستوى معارض الكتاب في الدول الأفريقية".

ويقف جانباً من جانب من المشاكل التي يعاني منها نشر الكتاب الأدبي في أفريقيا والمتجلية في محدودية التغطية الإعلامية، مشيراً إلى أن هناك عدداً قليلاً من الصحف ومحطات الراديو والتلفزيون التي تحتوي على برنامج أو صفحات أدبية. ويتابع: "عندما كنت صحفياً، وجدت أن المقالات الأدبية تُنشر من أجل سد الثغرات بشرط أن يدفع المؤلف".

ويَرى الشاعر الذي شارك مؤخراً في مهرجان ميديين الدولي للشعر ومهرجان فنزويلا الدولي للشعر، أن مؤشرات هذا الوضع الهش أحد العوامل التي تفسر لجوءَ الكُتّاب الأفارقة إلى النشر في أوروبا، بحثاً عن مكانة أفضل يضمنها تعددُ وسائل الإعلام، وشبكات التوزيع الكبرى والمكتباتِ، وجودةُ الطبع والنشر، ووجودُ جوائز أدبية كبرى.

وفيما يخص التعدد اللغوي الذي يطبع الأدب، يوضح سالي بوبي بالي أن التعددية اللغوية تطبع كل الفضاءات الثقافية الكونية. ويؤكد أن النقاش لا يجب أن يركز بشكل كبير على التنوع، بقدر ما يجب أن يخص الكتابة في حد ذاتها. ويضيف: "العالم يتطور، وسيأتي وقت تكتسبُ فيه هذه اللغات زخماً، وستكتسب الأدوات اللازمة لعملها. وسيتم إحياء هذه الأعمال المنتجة بلغات الأقليات".

ولتجنب التقسيم اللغوي للمؤلفين، يرى أنه من الضروري إنشاء هياكل مناسبة للترجمة من اللغات الوطنية إلى اللغات الرسمية. ويقول مؤلف "قطرات من الدموع" إن "العالم يتطور، وسيأتي وقت تكتسبُ فيه هذه اللغات زخماً، وستكتسب الأدوات اللازمة لعملها. وسيتم إحياء هذه الأعمال المنتجة بلغات الأقليات، فالكاتب يبيع أعماله للزمن وليس للقراء".

عاشت النيجر أحداث انقلاب يوم 26 يوليو/ تموز 2023، وهو الخامس في تاريخ البلد. ما الذي يمكن أن تلعبه الثقافة في هذا السياق المؤلم؟

ظهرت أهميةُ الثقافة منذ الساعات الأولى للأزمة. واليوم، تضع الأزمةُ النيجر في مواجهة بعض دول المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا، وخاصة نيجيريا وبنين، اللتين تشتركان مع النيجر في أكثر من 1500 كيلومتر من الحدود البرية والممرات المائية، مثل نهر النيجر وبحيرة تشاد، حيث تعيش نفس المجموعات اللغوية والاجتماعية على جانبي الحدود بنفس التاريخ واللغات والأديان. ولم يكن الحقل الثقافي بعيداً عن اختيارات المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا نفسها. والدليل على ذلك هو تكليف أمير سوكوتو، وهو أعلى سلطة إسلامية في نيجيريا، والرئيس السابق عبد السلام أبي بكر بإجراء المفاوضات بين المجلس العسكري والنظام السابق. وكانت هناك أيضاً عودة وسائل الإعلام إلى الأغاني القديمة التي تذكر الجميع بالروابط الثقافية التي وحّدت الشعوب لفترة طويلة جداً.

لقد لعبت الثقافة، وتلعب، وستلعب دائماً دوراً مهماً في حل الصراعات في العالم. وفي حالة النيجر، فإن الأغلبية تُقر بكون آليات الثقافة هي التي مكّنت الجميع من إدراك أنهم محكوم عليهم بالعيش معاً. في النيجر هناك ممارسات ثقافية تُمكن من إخماد الصراعات. وفي العديد من المجتمعات الأفريقية، هناك فئات من الحكواتيين المنتمين إلى الشعب المانديغي الذين استفادوا، منذ القدم، من الحصانة التي تمنع المتحاربين من قتلهم أثناء الحروب. ويتوسط الحكواتيون بين أمراء نفس العائلة وبين الدول المتصارعة. وبفضل معرفتهم بالتاريخ والثقافة، فهم يملكون قدرة مذهلة على إقناع المتحاربين بالعودة إلى السلام.

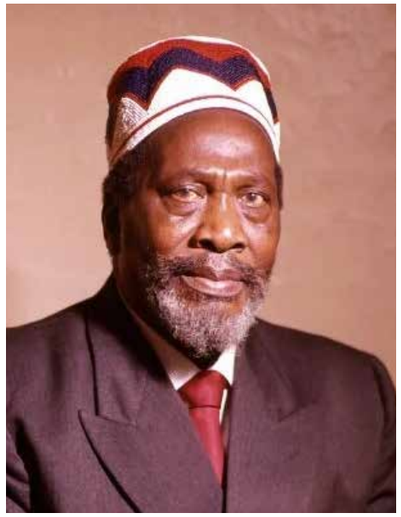

جومو كينياتا

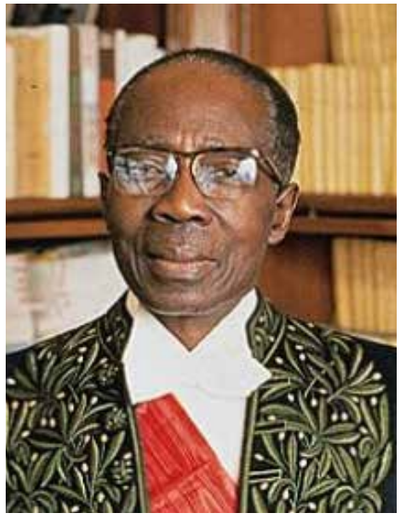

ليوبولد سيدار سنغور

ما زلت أتذكر بعضاً ممن يقطعون 30 إلى 40 كيلومتراً سيراً على الأقدام، أو على ظهور الجِمال لأقرأ رسائلهم أو أكتُبها.

• لنعد إلى مسارك الأدبي. عشتَ داخل عائلة من الفلاحين. كيف جئت إلى الكتابة؟

- لقد وُلدت داخل عائلة من الفلاحين في قرية لا توجد فيها مدرسة. وكان يتم تسجيل التلاميذ القلائل عن طريق الإجبار، كما هو الحال في الجيش، وذلك ضد رغبة الآباء الذين كانوا يعتبرون ما يسمى بالمدرسة الفرنسية استمراراً منطقياً للنظام الاستعماري. أما والدي فقد سجل خمسة من أبنائه بمن فيهم أنا في المدرسة. وبمجرد التسجيل فإنك تشق طريقك الخاص.

كيف جئتُ إلى الكتابة؟ الجواب ذو شقين. لقد جئتُ إلى الكتابة للاستجابة لحاجة مجتمع الفلاحين الذي كان لديه تقليد طويل على مستوى الهجرة إلى بلدان خليج غينيا، ولا سيما ساحل العاج. وكان المهاجرون يرسلون رسائل إلى عائلاتهم. واتضح أن الناس يثقون بي، ويعتقدون أنني أترجم أفكارهم جيداً من ناحية وأنني أحافظ على السّرّيّة وخصوصياتهم من ناحية أخرى. وما زلت أتذكر بعضاً ممن يقطعون ثلاثين إلى أربعين كيلومتراً سيراً على الأقدام، أو على ظهور الجِمال لأقرأ رسائلهم أو أكتُبها. وفي الحقيقة، كنتُ أمارس حينها وظيفة الكاتب العمومي. أما الكتابة الأدبية الحقيقية فقد بدأتُها يوم وفاة والدي. كنت في الصف الأول، ووجدت نفسي يتيماً. وكرد فعل، أخذتُ دفتراً، وكتبت قصيدة من 70 صفحة بعنوان "عكازات". احتفظتُ بالمفكرة، وعندما التحقتُ بالجامعة، نشرتُ القصيدة في سلسلة أعداد من الجريدة اليومية الحكومية الوحيدة في ذلك الوقت. في الجامعة نفسها، أنشأتُ، مع الأصدقاء، ورشةَ عمل للكتابة تجمعنا كل يوم أحد لقراءة وتصحيح مخطوطاتنا الخاصة. وكان يتم نشر النصوص في مجلة "أحبار"، التي كنا قد أنشأناها بأنفسنا.

حكواتيون يقنعون المتحاربين بالسلام

في العديد من المجتمعات الأفريقية، هناك فئات من الحكواتيين المنتمين إلى الشعب الماندينغي الذين استفادوا، منذ القدم، من الحصانة التي تمنع المتحاربين من قتلهم أثناء الحروب. ويتوسط الحكواتيون بين أمراء نفس العائلة وبين الدول المتصارعة. وبفضل معرفتهم بالتاريخ والثقافة، فهم يملكون قدرة مذهلة على إقناع المتحاربين بالعودة إلى السلام.

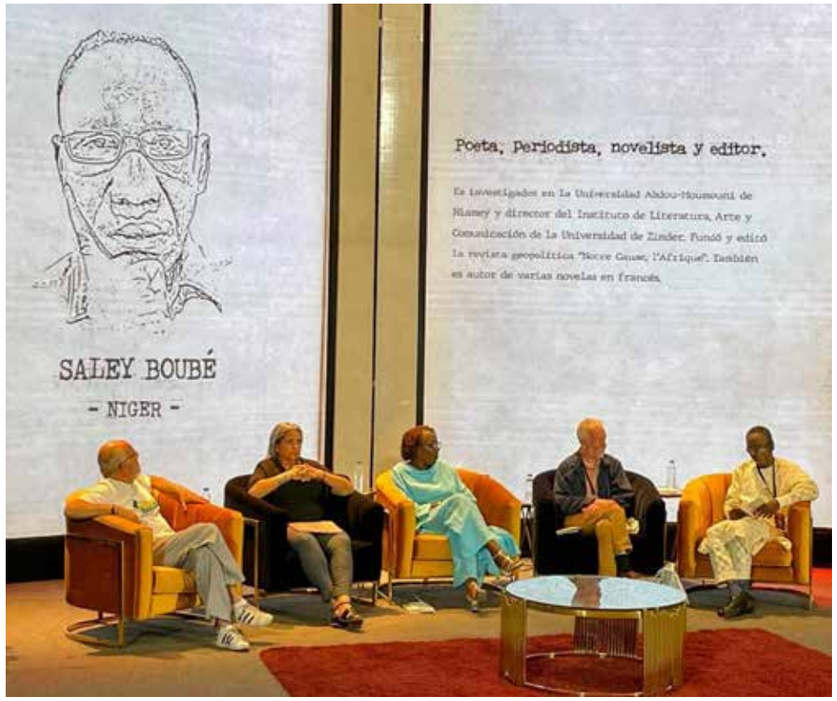

سالي بوبي بالي (الأول من اليمين) أثناء مشاركته في الدورة الـ 17 من مهرجان فنزويلا الدولي للشعر

أقضي ثلث وقتي في الكتابة يومياً، إذ إنّ الكتابة تسمح لي بالحوار مع نفسي ومع العوالم الخفيّة.

• يبدو الأدب الأفريقي الحديث، كما هو الحال في النيجر، موزّعاً بين ثلاثة أجيال كبرى. ما هي خصوصيات موقعك داخل هذه الأجيال؟

- يبدو تصنيفك قريباً من تاريخ الأدب الأفريقي. وأشير هنا إلى أن الجيل الأول يشمل الكُتّاب المنتمين إلى الفترة الممتدة من الثلاثينيات إلى بداية السبعينيات، ويتجلى الجيل الثاني في الكتّاب المنتمين إلى الفترة الممتدة من أواخر السبعينيات إلى بداية التسعينيات، فيما بدأ حضور الجيل الثالث مع بداية التسعينيات. ويمكن اعتبار الجيل الأول جيلاً مناضلاً ومناهضاً للاستعمار وحاملاً للثقافة الوطنية، مع وجود مراكز اهتمام تتجلى في البحث عن الاستقلال وعن وحدة الثقافة الأفريقية. وكان كُتّاب هذا الجيل، سواء من اليمين أو اليسار، لاعبين أساسيين في السياسة، وقد وصلوا إلى رأس الأجهزة السياسية وأجهزة الدولة، ومنهم من صاروا رؤساءَ دول، كما هو الحال بالنسبة إلى الشاعر السنغالي ليوبولد سيدار سنغور، والكاتب الكيني جومو كينياتا، أو وزراء، أو دبلوماسيين أو معارضين، بشكل كان يصعب معه تحديد الحدود بين الالتزام الأدبي والسياسي.

التراث النسائي الشفهي

تحدث الكاتب سالي بالي عن خصائص التراث النسائي الشفهي في النيجر، إذ نال عن موضوعه درجه الدكتوراه، قائلاً "قادني بحثي إلى إنشاء تصنيف للأنواع الأدبية الشعبية النسائية، ومنها القصائد، وأغاني الزفاف، والأمثال والأحاجي، وقصص البطولات والأساطير"، موضحاً أن هذه الأنواع من التراث الشفهي تُمارس فردياً، أو في إطار جماعي بأماكن مخصصة للنساء، وهي تَنقلُ رسائل تكشف عن أحوال المرأة في المجتمع.

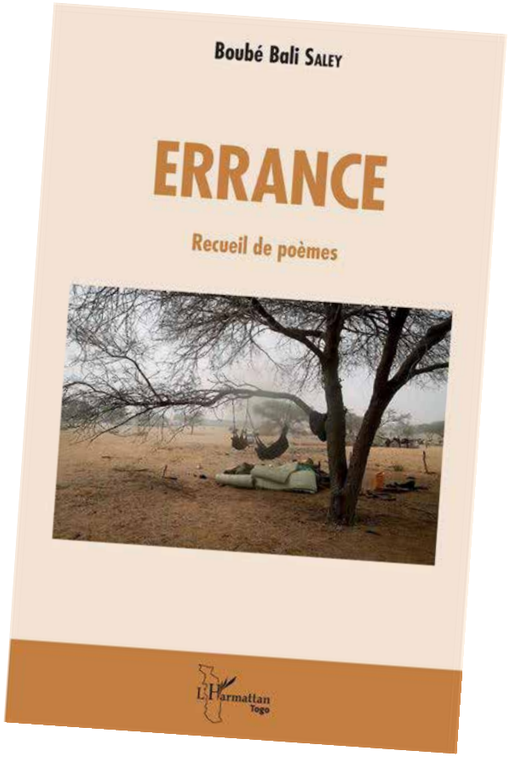

وقد تسلم الجيل الثاني المشعلَ مع الكاتب الإيفواري أحمدو كوروما وروايته "شموس الاستقلال". ويظهر في أعمال هذا الجيل شعورٌ عميق بفشل الاستقلال، مع حضور جمالية إبداعية جديدة. واستمر هذا الاتجاه حتى سنوات التسعينيات، واتسمتْ هذه الفترة بحضور الكاتب باعتباره معارضاً لأنظمة الطوارئ التي يقودها في الغالب العسكر. وعلى عكس كتّاب الجيل الأول، فإن علاقة الجيل الثاني بالسياسة لم تكن تتسم بالتماهي، مما أدى بالأغلبية إلى المنفى أو السجن أو الموت.

أما الجيل الثالث، الذي أنتمي إليه، فمن الصعب وصفه. هناك ديمقرطة في الكتابة. يكتب الكاتب الأفريقي من أجل الانفتاح على العالم ومقارنة نفسه، بدون عقدة، مع الآخرين في العالم. لكننا نلاحظ أيضاً انطواء بعض الكُتّاب، وهو ما يترجمه شعورٌ بعدم الارتياح، مما دفع بعض النقاد إلى التأكيد على أننا، كجيل، نلقي نظرة فضوليّة على الوجود الإنساني المكون من التقلبات، ومن الفرح والحزن، ونتساءل عن عالم يبدو بعيدَ المنال بالنسبة إلينا.

• ما الذي يطبع الأدب النيجري الحديث بشكل عام؟

- لا تختلف خصائص الأدب النيجري عن تلك التي تطبع الأدب الأفريقي والعالمي. لكن، يمكن ملاحظة التغيير الكبير على مستوى سلسلة الكتاب. ولمعالجة مشاكل النشر، فإن الكتّاب النيجريين الشبان، على عكس الكبار، لا يكتفون بالكتابة فقط، بل هم أيضاً ناشرون، كما يشرفون على تنظيم التظاهرات الأدبية. ويبدو أن الاتجاه نحو النشر الذاتي بمزاياه وعيوبه قد صار مهيمناً.

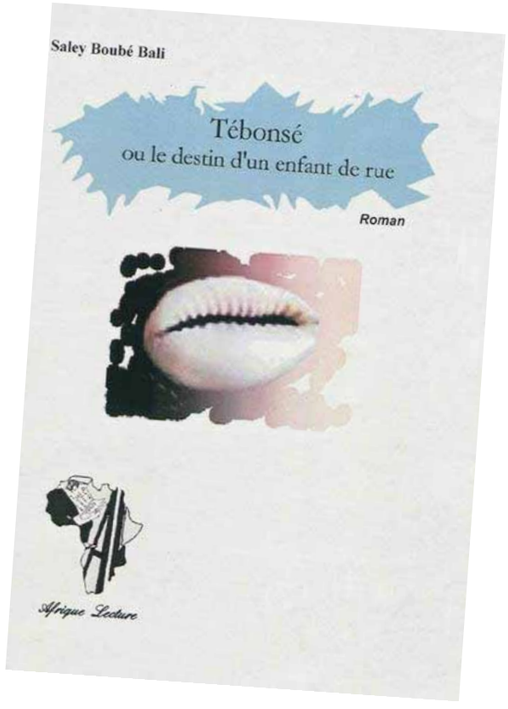

• يتسم الأدب الأفريقي بتنوعه اللغوي الكبير. كيف تنظر إلى تأثير كل اللغات الأجنبية التي عبرت وتركت بصماتها على القارة؟

- إن التعددية اللغوية خاصة بجميع القارات، وبجميع الفضاءات الثقافية العالمية. وهذا واقع يجب إدارته بذكاء شديد من أجل رسم الجوانب الإيجابية لتنوعنا اللغوي. إنها ثروة إذا تم استغلالها بشكل جيد. ولتجنب التقسيم اللغوي للمؤلفين، من الضروري إنشاء هياكل

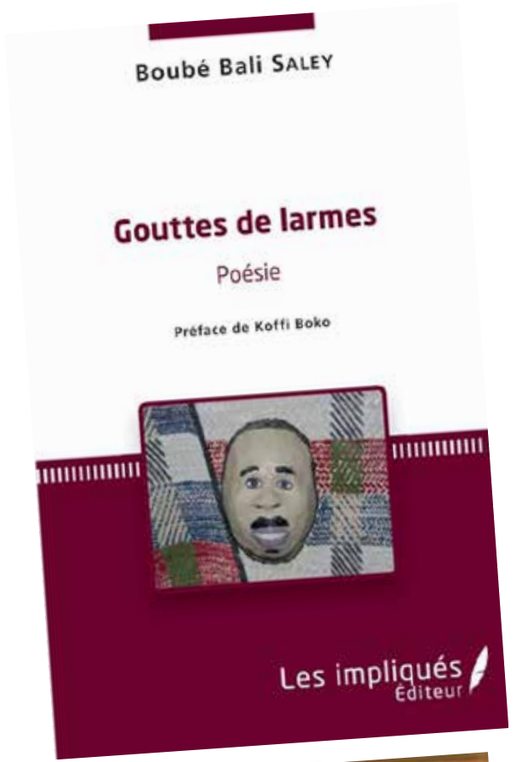

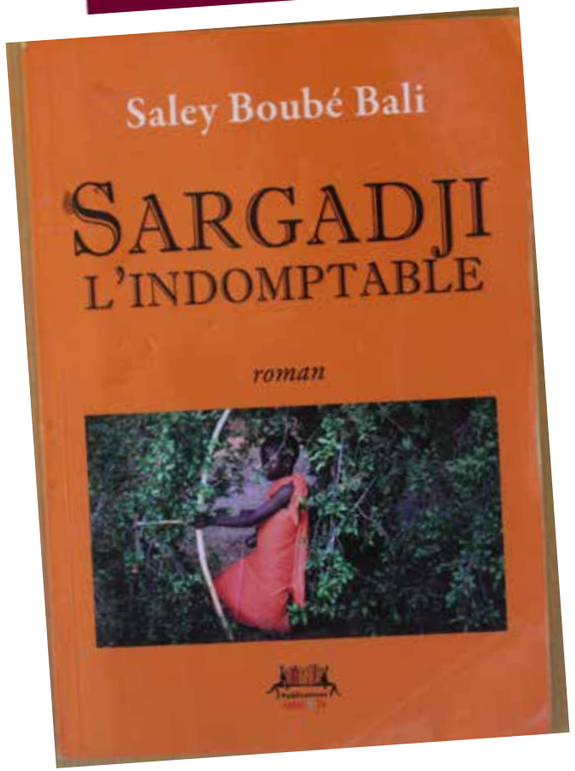

مناسبة للترجمة من اللغات الوطنية إلى اللغات الرسمية.

وأظنّ بأن النقاش لا يجب أن ينصب على مستوى التعدد. دعْ جميع الكُتّاب يكتبون باللغة التي يريدونها. الشيء الأكثر أهمية هو الكتابة. العالم يتطور، وسيأتي وقت تكتسبُ فيه هذه اللغات زخماً، وستكتسب الأدوات اللازمة لعملها. وسيتم إحياء هذه الأعمال المنتجة بلغات الأقليات، فالكاتب يبيع أعماله للزمن وليس للقراء، كما أقول دائماً.

• حصلتَ على الدكتوراه من خلال بحث يتناول التراث الشفهي النسائي النيجري. ما هي خصوصيات هذا التقليد؟

- يمكن تعريف التراث الشفهي النسائي بأنه أنظمة تقوم على نقل معرفة وخبرة النساء عن طريق الكلام وليس التدوين. وقد جرت العادة أن يتمَّ تقسيم العمل بين الرجل والمرأة في معظم المجتمعات التقليدية، فهناك ما يسمى بالوظائف الرجالية، كما يوجد ما يسمى بالوظائف النسائية. وقد أصبح من الواضح أن كلاً من المعسكرين يُطور المعرفةَ والدِّراية التي تُعتبر مصادر للإلهام الأدبي. بناءً على هذه الفرضية، قادني بحثي إلى إنشاء تصنيف للأنواع الأدبية الشعبية النسائية، ومنها القصائد، وأغاني الزفاف، والأمثال والأحاجي، وقصص البطولات والأساطير، وهي أنواع تتم ممارستها بشكل منفرد، أو في إطار مجموعات في أماكن مخصصة للنساء، وتَنقلُ رسائل تسلط الضوء على حالة المرأة في مختلف حالاتها الشخصية والجماعية.

• يحضر مكونا الإسلام واللغة العربية بشكل كبير في النيجر. كيف تجد خصوصيات صلتك بالأدب العربي خصوصاً والثقافة العربية عموماً؟

- صلتي بالأدب العربي والثقافة العربية تقوم على وضعي كمسلم وكمواطن في بلد يشكل فيه العربُ أكثر من ثلاثة في المئة من السكان، ويشترك في الحدود مع الجزائر وليبيا وتشاد، حيث يتم التحدث باللغة العربية من قبل غالبية السكان. أنا مرتبط بالتاريخ والجغرافيا والدين من خلال اللغة العربية، التي تَتمكنُ غالبية السكان من القراءة والكتابة بها من خلال المدارس القرآنية، التي أُنشئت منذ القرن الثاني عشر. أما فيما يتعلق

بالأدب العربي، فقد هزتنا منذ الصغر الأناشيد الدينية العربية المتسمة بجماليتها الأدبية، كما أن أي طالب نيجري في مجال الأدب لا بد أنه قد قرأ روايات نجيب محفوظ. لكن تجدر الإشارة إلى أن المؤلفين العرب المعاصرين قليلو الشهرة في أفريقيا، إذ إنهم ليسوا مدرجين في المناهج الدراسية في الجامعات. وأظنّ أنه حان الوقت أن يكون للأدب العربي المكتوب بلغة مألوفة لدينا من خلال الدين والجغرافيا، في متناول القراء، عبر معارض الكتاب وغيرها من التظاهرات الثقافية في الدول الأفريقية.

يربط سالي بوبي بالي صلته بالأدب العربي بصفته مواطناً مسلماً في بلد يشكّل فيه العربُ أكثر من 3% من السكان، ويتقاسم الحدود مع الجزائر وليبيا وتشاد.

• تؤرخ في روايتك "سرجادجي التي لا تقهر" لمقاومة قرية سرجادجي للاستعمار الفرنسي. أين يبدأ وأين ينتهي الالتزام الأدبي؟

- "سارجادجي" رواية تاريخية تعيد رسم ملامح مقاومة قرية في غرب النيجر بين عامي 1898 و1901 ضد الاختراق الفرنسي. انتصرت القرية في ثلاث معارك، سقط فيها العديد من القتلى من الجانبين. الجانب الذي أثار اهتمامي في هذه المقاومة البطولية هو تنظيم السكان المسلحين بالسهام واتحاد كل المجموعات العرقية التي تمكنت من إسكات خلافاتها في مواجهة عدو مشترَك. وفي كل معركة، كانت التعليمات هي أن على كل مقاتل واجب مواصلة المعركة كقائد حتى تحقيق النصر. وأجد هنا المعنى الذي يجب أن تحمله كلمة "الالتزام". إذ على كل المواطنين، بما فيهم الكُتّاب، أن يتصرفوا بهذه الروح. أؤمن بالالتزام الأدبي الموضوعي وغير الحزبي، مع الرغبة الأكيدة في الدفاع عن القيم التي تتجاوز الانقسامات الإنسانية، فالالتزام لا معنى له دون مراعاة الحالة الإنسانية، وذلك خلافاً للاعتقاد بكون الالتزام مرادفاً للمقاومة والمعارضة المبدئية.

• غالبية الأعمال المنشورة في أفريقيا لا يتم تداولها والتعريف بها بشكل كبير على عكس تلك المنشورة في أوروبا. كيف تتصور هذه المفارقة؟

- تعاني الأعمال المنشورة في أفريقيا من محدودية التغطية الإعلامية، ناهيك عن مشاكل النشر. التغطية الإعلامية مكلفة للغاية، خصوصاً أن وسائل الإعلام في بعض البلدان الأفريقية هي مؤسسات تجارية بالمعنى الرأسمالي للمصطلح. كما أن هناك عدداً قليلاً من الصحف ومحطات الراديو والتلفزيون التي تحتوي على برنامج أو صفحة أدبية. عندما كنت صحفياً، وجدت أن المقالات الأدبية تُنشر من أجل "سد الثغرات" بشرط أن يدفع المؤلف. هذه ليست مفارقة، بل هي انعكاس للبيئة الأدبية ككل، التي تتميز بنقص موارد الناشرين، وعدم اهتمام وسائل الإعلام في معظم البلدان بالأدب.

• هل الوضع الهشّ لقطاع الكتاب داخل أفريقيا هو ما يدفع أغلب الكتاب الأفارقة إلى النشر في أوروبا؟

- يلجأ الكتّاب الأفارقة إلى النشر في أوروبا بحثاً عن الظهور الذي يضمنه تعددُ وسائل الإعلام والبرامج الثقافية، وشبكات التوزيع الكبرى والمكتبات، وجودةُ الطبع والنشر، وهي الجوانب التي تفتقر إليها العديد من البلدان الأفريقية. كما أن هؤلاء الكتّاب يطمحون إلى الحصول على الجوائز المرموقة، مثل جائزة غونكور في فرنسا، وجائزة أحمدو كوروما في سويسرا. بينما لا يملك الكُتّاب الذين ينشرون داخل أفريقيا فرصاً للوصول إلى منصة التتويج بهذه الجوائز. أما الجانب المؤسف فهو أن أسعار الأعمال الأفريقية المنشورة في أوروبا ليست في متناول القراء الأفارقة.

• حصلت على جائزة الشعر بمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيس جمهورية النيجر. ماذا يعنيه لك ذلك؟

- الجائزة بحكم تعريفها هي اعتراف بعمل الكاتب. ويتحقق ذلك عبر المال أو الشهادة. واليوم هناك عدة جوائز في العالم منها جائزة نوبل في الأدب، وجائزة غونكور، والجائزة الأدبية الأفريقية الكبرى. لكن الشيء الأكثر أهمية ليس المال، أو الشهادة، أو الامتيازات التي تقدمها الجائزة للكاتب، بل الأهمية الرمزية. تمنح الجائزة إمكانية توسيع نطاق قراء المؤلف والاعتراف به خارج الحدود. الجائزة تخلد الكاتب وعملَه.

• كيف ترى حال الكاتب الأفريقي في الوقت الراهن؟

- أن تكون كاتباً أفريقياً يعني أن تتقبل البيئة الأفريقية بنقاط قوتها وضعفها. يجب على الكاتب أن يكتب انطلاقاً من الحب. ويحتاج الكُتّاب الذين يعتقدون أن عليهم كسب المال إلى إعادة النظر في وجهة نظرهم حول المهنة. وهذا لا يعني أن يُترك الكاتب لمصيره. لكي يقوم الكاتب بعمله على النحو الصحيح ويضمن مكانة للأدب الأفريقي داخل محفل الأمم، عليه أن يستفيد من بيئة مؤاتية. نحن بحاجة إلى سياسة كتابية في الدول الأفريقية تدعمها شركات إنتاج محترفة.

المكوّن الثقافي هو الذي مكّن النيجريين، خلال الأزمات السابقة، من إدراك أنهم محكوم عليهم بالعيش معاً.

الكتابة ردّ فعل على اليُتم

قال الكاتب النيجري سالي بوبي بالي، عن بداية دخوله عالم الإبداع الأدبي، إن "الكتابة الأدبية الحقيقية بدأتُها يوم وفاة والدي. كنت في الصف الأول، ووجدت نفسي يتيماً". ووصف في حوار لـ "الناشر الأسبوعي" بدايته الأدبية بأنها "رد فعل" على الفقدان، مضيفاً "أخذتُ دفتراً، وكتبت قصيدة من 70 صفحة بعنوان (عكازات). احتفظتُ بالمفكرة، وعندما التحقتُ بالجامعة، نشرتُ القصيدة في سلسلة أعداد من الجريدة اليومية الحكومية الوحيدة في ذلك الوقت".

مسارات السيرة

سالي بوبي بالي، شاعر وروائي وكاتب مسرحي وصحفي من النيجر. حصل على جائزة الشعر بمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيس جمهورية النيجر. يعمل أستاذاً بجامعة عبده مومو‌ني في نيامي. يرأس معهد الأدب والفنون والاتصال بجامعة زيندر. أسس المجلة الجيوسياسية "قضيتنا أفريقيا".

من أعماله في مجال الإبداع الأدبي: "ابن الحكيم"، و"تيه"، و"تيبونسيه.. أو مصير طفل الشارع"، و"بانـدادو.. الفتاة ذات الجفون السوداء"، و"سرجادجي التي لا تقهر"، و"قطرات من الدموع"، و"فخ العبيد"، و"الوريث". كما أصدر عدداً من الأعمال التي تتناول الثقافة النيجرية التقليدية، ومنها: "وظائف الأغنية النسائية.. زارمـا - سونغهاي في النيجر"، و"الأغنية التقليدية وحقوق التأليف والنشر.. حالة المطربين زالاي في النيجر"، و"كوكوا.. المصارعة التقليدية في النيجر".

شارك في المؤتمر الأول لحركة الشعر في مدينتي ميديين وكراكاس 2023. وشارك في مهرجانات شعرية عدة، من بينها مهرجان ميديين الدولي للشعر، في كولومبيا، في دورته الـ 33، ومهرجان فنزويلا الدولي للشعر في دورته الـ 17.

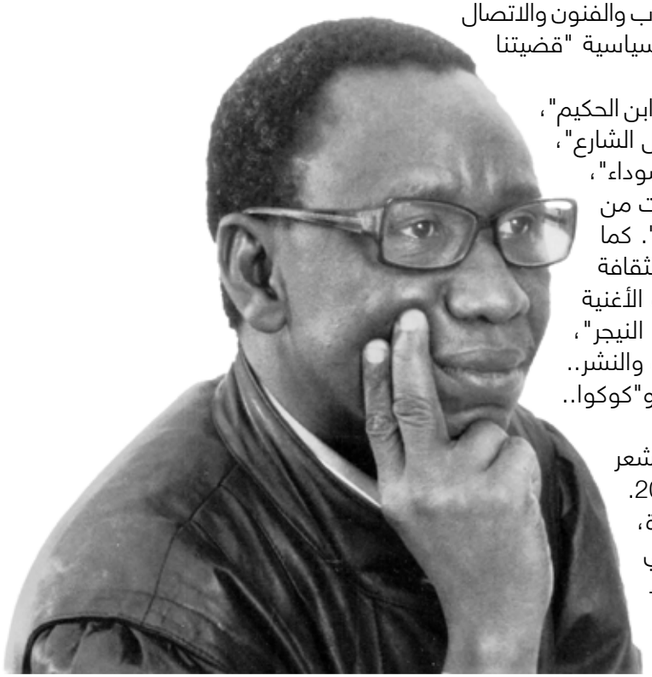

"منشورات الجمل" من آلة كاتبة إلـــــى الاحتفال بـ 40 عاماً على تأسيسها

خالد المعالي: ظاهرة تزويــر الكتب جائحة حقيقية

حاوره في الشارقة: علي العامري

في قرية ضمن محيط السماوة جنوب العراق، وطفولة صحراوية مع رعي الأغنام، وهجمات الذئاب على قطعان الماشية، وقسوة المناخ، ومع البحث عن الكمأة تحت الرمال، وفي ظلال النخيل، نشأ الشاعر والناشر والمترجم خالد المعالي. وبقي وفياً لأرض طفولته، إذ أطلق اسم "الجمل" على دار النشر التي أسسها في مدينة كولونيا الألمانية، عام 1983، بعدما خرج من العراق إلى لبنان عام 1979، ثم فرنسا، ليحطّ رحاله مُهاجراً في ألمانيا عام 1980. والآن تحتفل منشورات الجمل بمرور 40 عاماً من الاشتغال بصناعة الكتاب. وقد مرّت الدار بمراحل كثيرة، منذ بداياتها التي كانت مع "آلة كاتبة صغيرة بحروف عربية"، لتغدو اليوم واحدة من أهم دور النشر العربية، من حيث الاستمرارية والاختلاف والتنوير والحرية وفتح بوابة معرفية بين الثقافة العربية والثقافات العالمية، خصوصاً الألمانية، من خلال ترجمة أبرز الأعمال الشعرية والروائية والفلسفية الأوروبية. وفي المقابل ترجم إلى الألمانية بالتعاون مع آخرين كتباً عربية، من بينها مختارات من الشعر الفلسطيني الجديد، والشعر العراقي الجديد، ودواوين ومختارات لشعراء عرب.

بعد أربعة عقود من صناعة المعرفة، يؤكد خالد المعالي في حوار لـ "الناشر الأسبوعي" أن أول خطوة لنهضة النشر العربي تتمثل في اعتماد قانون صارم لمكافحة التزوير في عمليات النشر، واصفاً ظاهرة التزوير بكل أشكاله بأنها "جائحة حقيقية".

ويرى أن إقامته في ألمانيا مكّنته من تعلّم البحث الدؤوب دون كلل، وتعلّم دروس في كيفية اختيار الكتب في مختلف اللغات. ويقول إن "الكتب الحيّة أنوار تضيء لي الطرق العديدة، وهي جرعات ماء باردة محروسة في آبار عميقة، وحيث عطشي أبدي، فما زال بحثي دؤوباً، إذ إن أهم كتاب بالنسبة لي، هو الكتاب الذي لم أنشره بعد".

ويضيف الفائز بجائزة معرض الشارقة الدولي للكتاب عام 1996، عن تجربته الألمانية "لقد بدأت من تحت الصفر، فالإمكانيات كانت مفقودة والأبواب مغلقة تقريباً".

ويثمّن المعالي دور مشروع الشارقة الثقافي، قائلاً "في عام 1994 تمكّنت من المشاركة بجناح مجاني في معرض الشارقة للكتاب، ليس في ذلك العام فقط، وإنما لأعوام أخرى حتى استطعت الوقوف على قدميّ، وكل هذا تم بصمت. وهذا تمّ أيضاً مع ناشرين كثر آخرين عرب وأجانب. ويأتي ذلك انطلاقاً من رؤية مشروع الشارقة الثقافي الذي من خلال دعم الكتّاب والناشرين، يؤسس وعياً تنويرياً ويبني أجيالاً متمكنة معرفيًا لتحقيق نهضة شاملة".

لقد بدأت من تحت الصفر، فالإمكانيات كانت مفقودة والأبواب مغلقة تقريباً.

• ما أبرز التحديات التي واجهتك خلال تأسيس دار الجمل في ألمانيا عام 1983؟

- لم أكن أملك الخبرة في صناعة النشر والتحرير والتصميم، ولم أكن أملك أيّ مال أيضاً. لكنني بدأت مشروع منشورات الجمل في مدينة كولونيا بآلة كاتبة عربية، وإمكانية الطباعة بإصبعين. وفي ألمانيا، حيث الاعتماد بالدرجة الأولى على الطلبة كجمهور من القرّاء، على الرغم من أنهم امكانياتهم محدودة كالعادة، وكذلك اهتماماتهم بالكتب. كنت أتحرّك يدفعني الحافز الداخلي فقط، من أجل التعبير عن الذات. كانت ثمة تجارب نشر بسيطة سابقة في فرنسا على الخصوص بمثابة معلم هادٍ لشقشقات غامضة في رأس شاعر شاب أعزل، كشكل من المماحكة والسخرية. لقد بدأت من تحت الصفر، فالإمكانيات كانت مفقودة والأبواب مغلقة تقريباً.

• بدأت في ألمانيا، وحققت الدار انتشاراً واسعاً على الصعيد العربي، ما الأسس التي اعتمدتها في النشر؟

- لا توجد أسس يمكن تبيانها هنا، فأنا كاتب وقارئ قبل أن أكون ناشراً، وهذا الوضع له سيئاته التي هي ربما أكثر من محاسنه. لكني فيما بعد أحسست وكأني كنت أهتدي، دون أن أعرف، بقصيدة الشاعر اليوناني قسطنطين كافافي "إيثاكا" التي يقول فيها: "وأنت تزمع الرحيل إلى إيثاكا/ فلتصلِّ من أجل أن يكون الدربُ طويلاً/ مليئاً بالمغامرات والتجاريب".

ويقول أيضاً في القصيدة ذاتها: "لقد وهبتْكَ إيثاكا الرحلةَ الرائعة/

خالد المعالي

وبدونها لم يكنْ بإمكانك الرحيل/ وليس لديها ما تهَبُكَ سوى هذا".

لقد مكّنتني إقامتي في ألمانيا من التعلّم وأخذ الدروس في اختيار الكتب والبحث الدؤوب عنها، سواء كانت عربية أو أجنبية، وبجميع اللغات. الكتب الحيّة أنوار تضيء لي الطرق العديدة، جرعات ماء باردة محروسة في آبار عميقة، وحيث عطشي أبدي، فما زال بحثي دؤوباً، إذ إن أهم كتاب بالنسبة لي، هو الكتاب الذي لم أنشره بعد.

• تعد دار الجمل رائدة من حيث نتاجها وتركيزها على الترجمات خصوصاً في سنواتها الأولى، ولا تزال تواصل ذلك، ما دور الترجمة في تعزيز صناعة الكتاب العربية، وفي الانفتاح على رؤى جديدة وأساليب من ثقافات أخرى؟

- تشكل العناوين المترجمة في برنامج النشر في دار الجمل ربما 35% فقط. علينا أن لا ننسى أننا نعاني من قصور كبير في ترجمة الأعمال الفكرية والأدبية الأساسية من الانتاج العالمي الحالي والقديم. وقد تحكمت العشوائية في الاختيارات السابقة، وأغلب عمليات الترجمة والنشر كانت بمجهودات أغلبها حكومي، ولم نعرف عمليات نشر ترجمة الأعمال شبه الكاملة أو الكاملة، أو على الأقل الأعمال الأساسية، في حين أن بلداناً مثل تركيا وإيران والبرازيل، حسب اطلاعي، عرفت هذا منذ سنوات بعيدة. أيضاً كان العديد من الترجمات القليلة الأساسية تم عن لغات وسيطة، بغض النظر عن قيمة هذه الترجمات. وفي هذه

حكاية مع معرض الشارقة للكتاب

عبّر مؤسس منشورات الجمل، الشاعر والمترجم خالد المعالي عن تقديره الكبير لدور مشروع الشارقة الثقافي، قائلاً "لي مع معرض الشارقة الدولي للكتاب حكاية خاصة، إذ أنه أول معرض كتاب عربي أشارك فيه، حين كانت منشورات الجمل داراً صغيرة محدودة الأهمية والنشاط، في مدينة كولونيا الألمانية"، مضيفًا "في عام 1994 تمكّنت من المشاركة بجناح مجاني في معرض الشارقة للكتاب، ليس في ذلك العام فقط، وإنما لأعوام أخرى حتى استطعت الوقوف على قدميّ، وكل هذا تم بصمت. وهذا تمّ أيضاً مع ناشرين كثر آخرين عرب وأجانب".

وتابع أن هذا الدعم "يأتي انطلاقًا من رؤية مشروع الشارقة الثقافي الذي من خلال دعم الكتّاب والناشرين، يؤسس وعياً تنويرياً ويبني أجيالاً متمكنة معرفيًا لتحقيق نهضة شاملة".

بدأت مشروع منشورات الجمل بآلة كاتبة عربية، وإمكانية الطباعة بإصبعين.

المناسبة أحبّ تصحيح معلومة أوردتها مديرة المعهد العربي العالي للترجمة، الدكتورة إنعام بيّوض في حوار معها نشرته "الناشر الأسبوعي" في فبراير/ شباط الماضي، عن عزوف كثير من الناشرين العرب عن الترجمة، إذ إن الذي يحدث الآن هو العكس.

• بعد أربعة عقود من صناعة المعرفة في "منشورات الجمل"، ما المطلوب وفق خبرتك، للنهوض بصناعة النشر العربية؟

- أول خطوة مطلوبة على الصعيد الرسمي للنهوض بصناعة الكتاب العربية، هو اعتماد قانون متشدد وفوري التنفيذ لمكافحة التزوير في عمليات النشر بشكل عام، إذ إن ظاهرة التزوير بكل أشكاله حالياً هي جائحة حقيقية، وإن لم تحارب بجديّة وفاعلية ووضوح من قبل المؤسسات المختصة، فإنها ستؤدي إلى ضمور عمليات النشر والترجمة لدى المؤسسات النشرية الأهلية. وهذا إن حدث فهو أكبر انتكاسة ثقافية وروحية. أما المتبقي فهو متوفر بهذه الطريقة أو تلك عبر مؤسسات حكومية أو شبه حكومية لإسناد عملية النشر والترجمة. لكن الأهم أن تقوم مؤسسات نشر أهلية بمواصلة مسيرة النشر والترجمة تطويرها باعتماد كفاءات حقيقية.

• تحرص على المشاركة في معرض الشارقة الدولي للكتاب، ومؤتمر الناشرين، كيف ترى دور مشروع الشارقة الثقافي في التنوير من خلال الكتاب؟

- لي مع معرض الشارقة الدولي للكتاب حكاية خاصة، إذ أنه أول معرض كتاب عربي أشارك فيه، حين منشورات الجمل داراً صغيرة محدودة الأهمية والنشاط، في مدينة كولونيا الألمانية، أعيش في سراب أحلامي الأدبية ككاتب وناشر مقطوع الّا من أسباب الوجود. وفي عام 1994 تمكّنت من المشاركة بجناح مجاني في معرض الشارقة للكتاب، ليس في ذلك العام فقط، وإنما لأعوام أخرى حتى استطعت الوقوف على قدميّ، وكل هذا تم بصمت. وهذا تمّ أيضاً مع ناشرين كثر آخرين عرب وأجانب. ويأتي ذلك انطلاقاً من رؤية مشروع الشارقة الثقافي الذي من خلال دعم الكتّاب والناشرين، يؤسس وعياً تنويرياً ويبني أجيالًا متمكنة معرفيًا لتحقيق نهضة شاملة.

لهذا، لمعرض الشارقة الدولي للكتاب أهمية خاصة عندي، ولمشروع الشارقة الثقافي تقدير كبير. من هنا لعب معرض الشارقة للكتاب دوراً أساسياً في إدخال التنويعات النشرية المحلية والعربية

والعالمية من داخل البلدان العربية وخارجها. وجميعها خطوات أساسية أعطت للمعرض زخماً خاصاً ومكانة كبرى بين معارض الكتاب في العالم.

• ما خطط "منشورات الجمل" الآن، في ظلّ الانتشار النسبي للكتب الرقمية؟

- تواكب منشورات الجمل، كالعادة، التطورات، ومنها نشر الكتب الرقمية، ولديها حتى الآن اتفاق أساسي مع شركة أبجد في العاصمة الأردنية عمّان، في مجال النشر الرقمي. أي أن العمل النشري الورقي يتم حالياً وحسب الأحوال بصيغتين ورقية ورقمية. هذه تطورات علينا دراستها دائماً والأخذ بالحسبان تأثيرها، وهي حاليًا، كما ذكرتك بسؤالك، نسبية، لكنها تلعب دورًا في طبيعة انتشار الكتاب الورقي.

شاعر وناشر ومترجم

* خالد المعالي، شاعر وناشر ومترجم من العراق، من مواليد عام 1956 في ريف السماوة. حاز جائزة رولف ديتر برنكمان التي تمنحها مدينة كولونيا عام 1988، والجائزة التشجيعية لمقاطعة نوراين فستيفالن عام 1991، وجائزة معرض الشارقة الدولي للكتاب عام 1996.

غادر العراق عام 1979 ليقيم في لبنان، ثم فرنسا، قبل أن يهاجر في عام 1980 إلى ألمانيا التي أسس فيها عام 1983 منشورات الجمل.

صدرت له كتب في الشعر والنثر والترجمة. في الشعر صدرت له المجموعات: "لمن أعلن دفتري؟" عام 1978، "عيون فكّرت بنا"، "خيال من قصب"، "الهبوط على اليابسة"، "العودة الى الصحراء"، "حداء".

وفي الترجمة: "غوتفريد بن.. قصائد مختارة"، "باول تسيلان.. سمعتُ من يقول، أعمال شعرية ونثرية"، "هانس ماغنوس انتسنسبرغر.. روبرت الطائر" (ترجمة بالاشتراك مع فاضل العزاوي). كما ترجم إلى الألمانية بالاشتراك مع آخرين مختارات من الشعر الفلسطيني الجديد، ومختارات من الشعر العراقي الجديد، ولعدد من الشعراء العرب.

منشورات الجمل أنشأت فرعًا لها في بغداد

دمية عالمية سامّة

بقلم: الدكتورة نايدا مويكيتش

في الأدب، كما هو الحال في حياتنا اليومية، تموت الشخصيات النسائية، يقتلهن الأبطال في الأدب الملحمي، ويقتلهن الرواة في نصوصهم. ويمكنك أن ترى ضمن أدب منطقة البلقان، أن حياة النساء لا تساوي شيئاً. هناك عدد لا يحصى من الأمثلة على خداع وتعذيب وتعنيف وقتل الشخصيات النسائية في النصوص المكتوبة، وبخاصة التي كُتبت خلال فترة ما بين الحربين العالميتين، وكذلك في الأدب الحديث والمعاصر. لكن السهولة التي تُقتل بها الشخصيات النسائية في الأدب، خاصة في القصائد الملحمية، بسيوف الأبطال الملحميين، تم نقلها إلى واقعنا. ففي العامين الماضيين، قُتلت 19 امرأة في البوسنة والهرسك، على يد أزواجهن، أو أحبائهن أو أولادهن، ولا يوجد قانون يتعامل مع هذه الجرائم بوصفها قتلاً على أساس الجنس.

في بداية شهر أغسطس/ آب الماضي، وفي بلدة صغيرة شمال البوسنة، قتل رجل زوجته في وجود ابنهما الرضيع ذي التسعة أشهر، وقام ببث جريمته بصورة مباشرة عبر إحدى وسائل التواصل الاجتماعي. حاز الشريط المصوّر على 300 إعجاب، وشاهده أكثر من 15 ألف شخص. وقد تمكّن القاتل من التواصل مع متابعيه من دون أيّ ندم حوالي ساعتين قبل أن يتم إلغاء حسابه.

أعتقد الناس في الماضي أن العالم سيمتلئ بالسيارات الطائرة في عام 2023، لكن هذه الأحداث تُظهر لنا أننا نعود إلى العصور الوسطى. الأشخاص الأكثر رعباً من هؤلاء الذين شاهدوا البث المباشر للجريمة، مجموعتان: هؤلاء الذين سألوني ما إذا شاهدته، وأولئك الذين يقولون يجب أن تكون النساء حذرات عند اختيار شركاء حياتهن. من الواضح أن المجموعة الأولى تشير إلى الساديّة، والمجموعة الثانية تشير إلى أننا ما زلنا نعيش في مجتمع يلوم الضحية. ومنذ ذلك اليوم، يتم تنظيم احتجاجات على العنف ضد المرأة في جميع أنحاء البوسنة. وبهذه الطريقة، ينضم مواطنون وناشطون إلى هذا "الاتجاه" الذي يحدث في جميع أنحاء العالم.

لستُ متفائلة بأن وضع النساء في العالم، ولا في بلدي البوسنة، سيتغير بشكل جذري، في المستقبل القريب، كما هو واضح من هؤلاء الـ 15 ألف متابع، من الذكور والإناث، الذين شاهدوا إعدام امرأة في بث مباشر عبر وسيلة للتواصل الاجتماعي. وفي الوقت الذي تتظاهر بعض النساء في الشوارع مطالبات بمعاملة قتل النساء بوصفه جريمة خاصة، ترتدي نساء أخريات "راشدات" ملابس براقة، متشبّهات بدمية باربي السامّة، ويصنعن صناديق للدمية من الورق المقوّى حتى يلتقطن صوراً لأنفسهن بداخلها، مروجات بشكل سطحي لنسوية باربي.

كان قتل النساء جريمة منذ الحضارات الأولى، لكن اليوم في عصر ما بعد الحداثة، باتت المشكلة أكبر من قبل، كما يتضح من الحملات العالمية العديدة لحماية المرأة.

• شاعرة وأكاديمية من البوسنة والهرسك

ألمودينا غراندِيس تكتب الجانـــب الغائب في مرحلة إسبانية حرجة

«قارئ جول فيرن».. حـــرب أهلية في مرآة الرواية

بقلم: الدكتور مزوار الإدريسي

فقدَتِ الكتابةُ الإسبانية بوفاة الروائية أَلمودينا غراندِيس (مدريد، السابع من مايو/ أيار 1960 – 27 نوفمبر/ تشرين الثاني 2021) قَلَماً سردياً استثنائياً، رفَد الأدبَ الإسباني بروايات، وقصص، ومقالات صحافية، وإسهامات متنوعة بمحاضرات وحوارات تلفزية وإذاعية في منابر إعلامية عديدة.

لقد فرضتْ أَلمودِينا حضورَها الكاسح بقوة شخصيتها الأدبية والسياسية، وبتميُّز نصوصها، وجرأةِ القضايا التي تُثيرُها، بما يَطبعُها من ارتباط متين بقضايا المواطن الإسباني وعموم البشر، ولِصِلتها الوثيقة بإرثها الأدبي سليلِ ثربانتيس وأعلام مرموقين كثيرين، يتقدَّمُهم لديها الرِّوائي بينيتو بيرِيث غالدوس، المنحدر من أرخبيل لاس كناريا‌س أي جزر الكَناري، والذي يُعَدّ بإجماع النقاد أهمَّ روائي في الأدب الإسباني بعد ثربانتيس، وهو صاحب السلسلة الروائية المعروفة "حلقات وطنية"، وقد اتّخذتْه أَلمودِينا غراندِيس مُلهِمَها ودَليلها في الكتابة والحِسّ الوطني، وعلى نهجه أبدعتْ سلسلتها الروائية الموسومة "حلقات من حرب لا تنتهي"، التي بوَّأتها الصدارة بين روائيّ العالَم الناطق بالإسبانية.

والمعروف أن ألمودينا غراندِيس اكتسبت شهرتَها الأدبية أساساً عقِب فوزها المُبكِّر بجائزة "الابتسامة العمودية" عن روايتها "أعمار لولو" سنة 1989، التي قرَّبتها إلى جمهور مَحلِّيّ ذي أطياف متعددة، ومتعطِّش إلى كتابة جديدة تُعبِّر عن تطلُّعاتِه في خضم التحوُّلات الكُبرى التي عرفتها إسبانيا إِثْر تخلُّصِها من الدكتاتورية ودخولها مرحلةَ الانتقال الديموقراطي، بما ميَّزها من انتقال سياسي واجتماعي وثقافي، وتلهُّف إلى الانخراط في الحداثة بكل تجلِّياتها، والتي كانت كلُّ الشعوب الأوروبية قد سبقتْ إسبانيا إليها. هكذا التقطتْ ألمودينا غراندِيس نبض القارئ الإسبانيّ خصوصاً المتطلِّع منه إلى أفق جديد، فشحذتْ حِسَّها الرهيف ووعيْها الحادَّ الصادر عن تجربتها السياسية القوية لِتَكون لسان حال مجتَمَعِها، بل المحرِّضة له على تَبنِّي مشروع الحداثة في كلِّيته لأَجل اللّحاق بِرَكب أوروبا. ناهيك عن أنّ من أسباب شهرتها ارتباطُها في سن 32 من عُمرها، بزوجها الشهير الشاعر والناقد الإسباني لويس غارثيا مونتيرو، ذي 34 سنة وقتئذ، الأستاذِ الجامعي صاحبِ الإصدارات الغزيرة، والمحاضرات المثيرة، والحائزِ على جوائز أدبية عديدة، والذي برفقته عاشت علاقة حبّ عميقة امتدّت ثلاثين سنة.

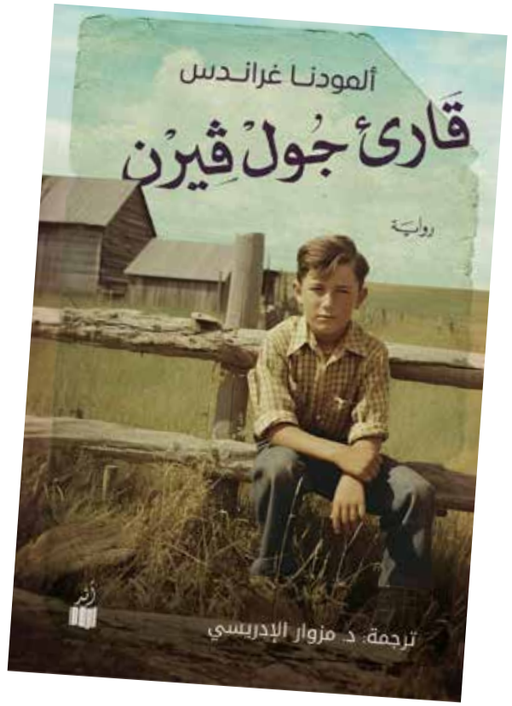

ألمودينا غراندِيس

أَلَّفت ألمودينا غراندِيس 15 رواية، ومجموعتين قصصيّتيْن، ورواية للأطفال، والعشرات من المقالات الأسبوعية كانت تنشرها في عمودها الصحافي بجريدة "إلباييس"، وسبعة سيناريوهات للسينما، وسيناريو للتلفزيون، عدا الأحاديث الإذاعية والحوارات التلفزية، كما أنها أحرزت كثيراً من الجوائز الأدبية الرفيعة كانت الأخيرة منها جائزةَ جان موني للأدب الأوروبي، عام 2020 عن روايتها "مرضى الدكتور غارثِيا".

وعلى الرغم من تميُّز الكاتبة بإنتاجها الأدبي الثَّرّ والمتنوّع في أجناس أدبية وفنية متعدّدة إلّا أنها اشتُهِرت بصفتها الروائية، وخصوصاً بتناولها موضوعة الحرب الأهلية الإسبانية، في رواياتها التي أدْرجَتها

15

رواية ألَّفتها الكاتبة الإسبانية ألمودينا غراندِيس، فضلاً عن مجموعتين قصصيّتيْن، ورواية للأطفال، والعشرات من المقالات الأسبوعية كانت تنشرها في عمودها الصحافي بجريدة "إلباييس"، وسبعة سيناريوهات للسينما، وسيناريو للتلفزيون.

ضمن سلسلة "حلقات من حرب لا تنتهي"، لكنّ اللافت لديها هو أن هذه الموضوعة وردتْ عندها في أعمالها السردية السابقة على رواية "إينِس والفرحة" التي دشَّنتْ بها تلك السلسلة.

وواضح أن روايات الحرب هذه اقتضتْ منها اللجوء إلى الذاكرة الشفهية الحية والنصية وتوظيفَها تخييلياً، ذلك "أن شخصيات ألمودينا غراندِيس تُحدِّد دوماً بوقائعَ حدثتْ في الماضي، فالحرب الأهلية، بهذا المعنى، تُمثِّل حلقة تاريخية ذات دلالة كُبرى في تشكيل الأنا في علاقتها بالماضي، في مجموع أعمال المؤلِّفة"، وفق ما جاء في دراسة ديفيد مايور بيسيرا، "حلقات من حرب لا تنتهي، من تأليف ألمودينا غراندِيس.. روايات الذاكرة التاريخية".

أصوات المُضطهَدين

لا تسعى الكاتبة ألمودينا غراندِيس في أعمالها الروائية إلى تأريخ الحرب الأهلية في بلادها (1936 - 1939)، لكنّ شاغلَها في السلسلة الروائية "حلقات من حرب لا تنتهي"، هو إعادة بناء التاريخ تخييلياً، بتقديمها لروايةٍ مُضادة لما أوْرَده التاريخ الرسمي المُهيمِن، لذلك لجأت الروائيةِ الإسبانية إلى الذاكرة الجمعية والفردية، باعتمادها مصادر غير رسمية، خصوصاً الشفهيّة، في سعي واعٍ إلى الإسهام في الكشف عن جانب آخر من قصص التاريخ، ومنح الأصوات المُضطهَدة مساحة لتقديم سرديتها لأحداث تلك الحرب والماضي الأليم لآبائهم وأجدادِهم أثناء تلك المرحلة الحرجة في إسبانيا.

لا تهتم ألمودينا بالتأريخ لهذه المرحلة الحرجة من تاريخ إسبانيا، وليس هدفُ الرواية كتابةَ التاريخ، بل إن شاغلَها في "حلقات من حرب لا تنتهي"، وضِمنَها "قارئ جول فيرن" هو إعادة بناء التاريخ تخييلياً، بتقديمها لروايةٍ مُضادة لما أوْرَده التاريخ الرسمي المُهيمِن، الذي فرض روايتَه -على كلّ الإسبان الذين مكثوا في وطنهم- من موقع السُّلطة التي كان يَتحكَّم فيها، لذلك ستتوَسّلُ ألمودينا غراندِيس بالذاكرة الجمعية والفردية، في المرحلة الديموقراطية، باعتمادها مصادر غير رسمية بالطبع، خصوصاً الشفهيّة منها، في سعي واعٍ إلى الإسهام في كتابة تاريخ آخَر، يمنح الأصواتَ المُضطهَدة مساحة لتقديم روايتها لأحداث تلك الحرب ووجهة

الأديب الفرنسي جول فيرن

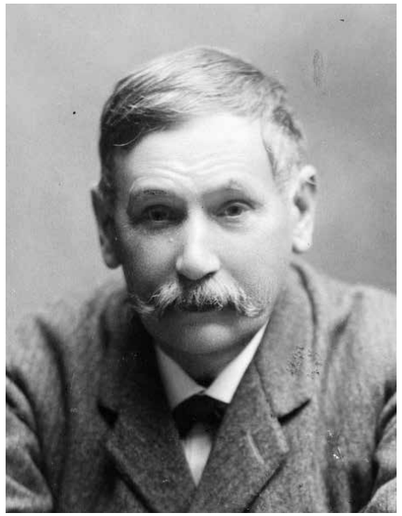

بينيتو بيريث غالدوس

نظرها فيها حتى يتعرَّف القرَّاء المعاصرون، في إسبانيا المنعَّمة بالديموقراطية والحريات، على الماضي الأليم لآبائهم وأجدادِهم أثناء الحرب الأهلية (1936 - 1939)، التي كانت انقلاباً على الحكومة الجمهورية التي انتُخِبتْ ديموقراطياً سنة 1931، وخلال السنوات التي أعْقبَتها، والتي استمرَّت مآسيها جاثمة على صدور وأذهان الذين استمَرُّوا مُقيمين داخِلَ الوطن، أو الذين غادروه خوفاً على أنفسهم وذويهم، إلى حين وفاة فرانكو سنة 1975.

ولا يخفى أن الحرب عرفتْ أحداثاً رهيبة أفضتْ إلى اقتتال داخلي دموي بين الإسبان أنفسِهم وداخل بعض الأُسَر، مما تسبَّب في مآس متنوعة لا عدَّ لها ولا حصر، وأن الذين عانوا ويْلاتها كانوا من مُختلف طبقات الشعب، وضِمنهم مُثقَّفون ومُبدِعون كبار منهم من قُتِل مِثل الشاعر فيديريكو غارثيا لوركا، ومنهم من سُجِن حتى الموت، كالشاعر ميغيل إرناندِيث، ومنهم من هاجر خارج الوطن، فالمعروف أنّ الآلاف من رجال الفكر والعلم والسياسة وحتى بُسطاء الشعب نزحوا إلى خارج إسبانيا، طلباً للأمن وحفاظاً على النفس، وأنّ أميركا اللاتينية استقبلتْ مُعظَمهم، خصوصا المكسيك.

دشَّنت ألمودينا بروايتها "إينِسْ والفرحة" سلسلتَها التاريخية سنة 2010، وفي سنة 2012 أصدرتْ رواية "قارئ جول فيرن" الثانية ضمن سلسلة "حلقات من حرب لا تنتهي"، التي تدور مُعظم وقائعها بين 1947 و1949 في السلسلة الجبلية المحيطة بمدينة جَيَّان. لقد توخَّت الكاتبة في هذه الرواية أنْ تنقذ

ميغيل إرناندیث

لويس غارثيا مونتيرو

من النسيان والصمت مواطنات ومواطنين إسباناً، كلَّهم قرويّين من بُسطاء المجتمع، يعيشون في الهامش، وتعمّد النظامُ الفاشي إسكاتَهم عقِب استيلائه على السلطة بالعنف.

يَكتشف القارئ في "قارئ جُول فيرن" التي صدرتْ طبعتها العربية بترجمتي عن دار أثر للنشر في السعودية، صيف 2023، حياةَ الاضطهاد والكبت التي كان يُقاسيها سُكَّان قرية فوينسانتا دي مارتوس، حيثُ مَقرّ ثكنة عسكرية نشأ فيها البطل نِينو الطفلُ ذو التسع سنوات، الذي كان أبوه أنطونيو من رجال الحرس المدني المنافح عن النظام الدكتاتوري، والذي كان يتوق إلى أن يُحصِّل ابنُه على وظيفة كاتِبٍ يرقن وثائق البلدية فحسب، ما دامَ قِصَرُه لا يُخوِّل له العمل ضِمن الحرس المدني في الثكنة، التي كانت من مهماتِها ملاحقةُ رجال المُقاومة المُعتصمين بالجبال، والشهيرين بـ"المَاكِيس" في مرحلة ما بعد الحرب.

سيطَّلع القارئ في هذه الرواية على وقائع كثيرة مرْوِيّة من قِبل الطفل نِينُو، الشخصية والبطل الذي كان شاهداً على الأحداث التي عرفتْها سنوات 1947 و1948 و1949، والذي سنتعرَّف إليه ناضجاً في الفصل الرابع من الرواية في سنوات 1964، 1973، 1976 و1977، لذلك يسهل علينا أن نُصنِّف هذه الرواية ضمن الرواية التعلُّميّة أو التربوية أو التشكُّلية، التي تُعنى بالنمو المادي والمعنوي للشخصية الرئيسة وبتحوُّلها من الطفولة إلى النضج، من خلال استعراض أحداث عاشتْها حقيقةً وممكِنٌ تصديقُها، لكنَّ تقديمها روائياً يعني لنا بالضرورة أنها متخيَّلةٌ وليست حقيقة

إنقاذ من النسيان

دشَّنت ألمودينا بروايتها "إينِسْ والفرحة" سنة 2010، سلسلتها الروائية "حلقات من حرب لا تنتهي"، وفي سنة 2012 أصدرتْ ضمن السلسلة رواية "قارئ جول فيرن" التي تدور مُعظم وقائعها بين 1947 و1949 في السلسلة الجبلية المحيطة بمدينة جَيَّان. وتوخَّت الكاتبة في هذه الرواية أنْ تنقذ من النسيان والصمت مواطنات ومواطنين إسباناً، كلَّهم قرويّين من بُسطاء المجتمع، يعيشون في الهامش، وتعمّد النظامُ الفاشي إسكاتَهم عقِب استيلائه على السلطة بالعنف.

كما في الكتابة التاريخية. تنهض الرواية في مجملها على استعادة لمَعِيش الطفولة، بل لثلاث سنوات منها تنحصر بين 1947 و1949، ولو أن فيها انتقالاً فُجائياً يُمثِّله الفصل الرابع الذي تدور أحداثُه في نهاية عهد الدكتاتورية وبداية الانتقال الديموقراطي. وفيه سيقف نينو في السجن، سنة 1973، على حقيقة بيبي البرتغالي) كميلو):

«لَمّا أُدخِلت السِّجنَ، كان رفاقي لا يزالون مُباغَتين باعتقال كَمِيلُو، وهو مناضل أسطوري، بطل بمعنى الكلمة في العمل السري، غير معروف حتى عند مُعظَم المُسيِّرين الداخليين، الذين كانت الشرطة قد أمسكتْهُم شهوراً قبلي. يقول نزلاء سجن كارابَنْشِلْ إنّ الرجل سعيد بوقوعه في الأسر. يحكون، لأنه كان يشعر أنه كان في حال سيئة بسبب قضائه كثيراً من السنوات يَفلِت دوماً، وكان لديه الخوف من أن يَظنوا أنه كان خائناً، أو مُندَسّاً، أو شيئاً شبيهاً".

لقد أُتيحتْ لِنِينُو، هذا الفتى الذكي والشغوف بالقراءة، فرصةُ التعرُّف إلى بيبي البرتغالي، الرَّجلِ الغريب والمُثيرِ للفضول، الذي وفد على القرية، واكترى مطحنة في ضواحيها حيث كان يقوم ببعض الأعمال البسيطة، والذي تعرَّف إليه البطل نينو، فكان حاسماً في تخطي الطِّفل لعقدة قِصَر قامته، وفي اجتهاده الدراسي من خلال مُساعدتِه للصغير على تطوير قدراته الفكرية والنفسية والمهارية، بأن تعَهَّده واهتمّ برعايته عاطفياً ومعرفياً.

هكذا نشأتْ بين بيبي ونينو علاقة صداقة قويَّة، تمَثَّلتْ في أنشطة عديدة كان الطِّفل يُنجِزها بمعية بيبي أو بإيعاز منه، الشيء الذي أكسَبَ الصغيرَ ثقة في النفس، ومهارات متنوعة، من خلال الأعمال التي كان يقوم بها. كما أن بيبي كان سبباً رئيساً في عقد نينو لصداقة متينة مع النساء الشّقراوات (الرُّوبِيَات)، اللواتي كن يُنعَتْن من قِبل الفاشيين بالحَمْراوات أيضاً، نظراً للقرابة التي كانت تَجْمعهن برجال المقاومة الشيوعيّين المُرابطين في الجبل. كانت الشقراوات يَعشْن في مزرعتِهن وحيدات بين أرملة وأم وأخت ويتيمة وزوجة وخطيبة، وكنَّ يَمْتهِنّ بيع مُنتَجات بسيطة مثل الحَلْفاء والبيض وأشياء أخرى لأهل القرية، وحتى لنساء الحرس المدني في الثكنة، لكي يَضمنّ قُوتَهنّ.

ونقف على الدور الكبير الذي قام به بيبي، وهو المناضل الشيوعيُّ الكبير المُشتغِل في السِّرّ، في الحفاظ على التوازن النفسي للصغير نينو لَمّا أقنعَه بألّا يَنظر إلى أبيه أنطونيو بصفته جلاداً وقاتلاً للمقاوم بسِيتيًا، بعدما رماه بالرصاص، بقوله له:

«-أبوك ليس قاتلاً، يا نينو. ذاك هو الذي عليكَ أن تَفهمه. إنَّ موتَ بسِيطِيًا كان اغتيالاً، لكن أباك ليس قاتلاً، إنه لم يَقتُل لأنه رغِبَ في ذلك، لم يَصدُر القرارُ من داخله، لم يَقُم بذلك لحسابه الخاص. لقد أصدروا له أمراً فنفّذه. نفَّذه لأنه يَعلمُ كلَّ ما حكيتُه لك قبل لحظة، لأنه فكَّر في كل ذلك، أنجزَ حساباته، وأرقامَه، وأطلق الرَّصاصة".

كذلك في تلك المزرعة، سيتعرَّف نينو إلى السيدة إِلِينا التي ستهتم بتدريسه وإعداده لاجتياز امتحانات كي يترقى إلى مستويات أعلى مما كان يُدرَّس في القرية، ولديها سيكتشف أكثر من ثلاثمائة رواية، اِلْتهمها كلَّها، وكانت من بينها روايات الأديب الفرنسي جول فيرن (1828 - 1905)، التي كانت بالفعل تسلية حقيقية له.

قبل تردّد نينو على المزرعة كان الصغيرُ قد انتبه إلى نفورِ الأطفال الصغار بالقرية منه ومن بقية أولاد الحرس المدني، وإلى عدم رغبتِهم في أن يُشاركَهم أبناءُ الثَّكَنة اللعبَ، وسيُثيرُه في الليل سماعُ أصوات الرِّجال والنساء المُعذَّبين في الثكنة على أيدي الحرس المدني الذين منهم أبوه، وسيصْدِمه أكثر سماعُه ذاتَ ليلةٍ لحوار بين أمه وأبيه، كانت تشكو فيه القلقَ الذي تعيشُه كلَّما خرجَ ليلاً لإفشال هجوم مُرتَقَب من قِبل المقاومين المُعتصِمين بالجبل أو في نَوبَة لملاحقتهم:

«لَمّا كانت تحُلّ نوبة أبي لصعود الجبل قصد القيام بمُداهمة، كانت أمي لا تنامُ إلى أن يعود. في تلك الليالي أنا كنتُ لا أنام أيضاً. كنتُ أظلّ مستيقظاً [...] وبعد ذلك نَقْرُ القُبلات المختلطة بالتشكي التي تستقبلُه بها زوجتُه، وأنا لا أتحمَّل، في واحدة من هذه الليالي سأموت بسبب القلق، لا يُمكن أن تستمر الحياة على هذه الشاكلة، يا أنطونينو".

يقف نينو بشكل أوضح على الصراع

الوجودي الطاحن بين الطرفيْن، في مرآة أخرى ينعكس فيها الاضطهاد الذي كانت تعانيه أُسَرُ المقاتلين أيضاً، بعدما شرع يتردّد على بيت السيدة إلينا، حدث ذلك ذات صيف، فتغيَّرتْ نظرتُه إلى معاناة رجال الجبل، الذين كانوا يُصَوَّرون على غير حقيقتهم بين المُقيمين في الثكنة، كما فهم السبب الذي كان يَدفع أباه إلى أنْ يَجعل منه كاتباً راقِناً في البلدية عِوَض أن يكون دركِيّاً.

إن ما تحكيه الروايةُ يأتي على لسان طفل بريء هو نينو، بمعنى أن الموقف الإيديولوجي يُستبْعَد حضورُه في النص، لأنّ المُفتَرَض في الحكي الذي يُقدِّمُه طِفل هو أن يكون مُجرَّداً عن الأهواء وأنْ تطبعُه البراءة، لكنْ ما ينبغي تذكُّره هو أن الذي يحكي في الحقيقة هو شخص بالغ وناضج يشتغل أستاذاً جامعياً في غرناطة، وعاش زمن الدكتاتورية والزمن الديموقراطي، وأنه حكى جزءاً من سيرته مما استطاع تذكُّرَه، وأن الروائية ألمودينا غراندیس باجتهادها التوثيقي وبحثها الدقيق، وبسردها القوي، وبنائها المُحْكم، وبابتكارها لوقائع مختلفة، وبلُغتِها المتينة، وقضاياها المتنوّعة، وشخصياتها الفريدة، وعوالِمها الطريفة، نجحتْ في رهانها بأن تَأْسَر قارئها، وأن تدفعه إلى أنْ يُسائل تلك المرحلة الزمنية من تاريخ وطنها، ليس بِنكْئِها لجراح تلك الحرب وما بعدها، بل للتذكير بالثمن الباهظ الذي كلَّفتْه للمجتمع الإسباني قاطبة.

إذن، تُمثِّل هذه الرواية "قارئ جول فيرن" عَوْداً سردياً إلى الماضي، قلَّبتْ فيه الكاتبة تخييلياً صفحات من تاريخ إسبانيا إبَّان الحرب الأهلية وما بعدَها، وصاغتْ في شأنه خطاباً يُعرّي مغالطات الخطاب السياسي الفاشي، ويُفنّد أطروحاته، عَبْرَ تظهير صراعاتٍ اعتملت في المجتمع الإسباني برُمَّتِه القرويّ منه والحَضَريّ، للتأكيد على أنّ الحرب الأهلية لمْ يَنْجُ من ويلاتها أحدٌ في إسبانيا، وأن الجناحَ المنهزِم كان الخاسر الأكبر، فالتقطتْ مَشاهِدَ دالَّةً في مَسارِحَ عرَفتِ اصطداماتٍ بين المنتصرين للديموقراطية وخصومهم الفاشيين، لأنّ همَّها كان هو أنْ تلفتَ الانتباه إلى استمرار حضور الماضي في الحاضر، وأنْ تؤكِّدَ على أنّ خطر الماضي يُواصِل تهديد الحاضر والمُستقبَل إذا لم يُنبَّه إليه، وأنَّ عملَها روائيةً لا صِلةَ له بالكتابة التاريخية، بل إنها تكتفي بأن تستلهِمها، لكنها توظِّف مُعطياتها في بناء عوالمها السردية التي يكون أثرُها في القارئ أعمق وأبقى.

لقد جعلتْني مُصادَفات الحياة أتعرَّف إلى الروائية ألمودينا غراندیس وعلى زوجها الشاعر لويس غارثِيا مونتيرو وأن تنشأ بيننا صداقة، بحيث إني ترجمتُ ديوان مونتيرو "بَصَرٌ حسير" كما ربطتْني صداقة قوية بالبطل نينو، أي كرِيستِينو بريث ميلينديث أستاذ الإحصائيات بجامعة غرناطة، وبزوجته ماريبِل لاثارو دوران، التي هي من شخصيات الرواية أيضاً.

أثناء قراءاتي لبعض الروايات، وحتى بعد الانتهاء منها، كان كثيراً ما يُخامرني شعورٌ بأنني أُصادف نظائر لتلك الشخصيات في الحياة اليومية، تمشي في الأسواق، وتتحدَّث في المقاهي، وتتحرّك في الإدارات، وتنتقل بين الأزقة. وكنت أجد في تلك المُشاهَدات امتداداً لتلك النصوص في المَعيش اليومي، في تجلياته المتنوِّعة، فكان يترسّخ لديّ اقتناعٌ بأنّ كثيراً من الروايات بعوالمها التخييلية الفاتنة -التي

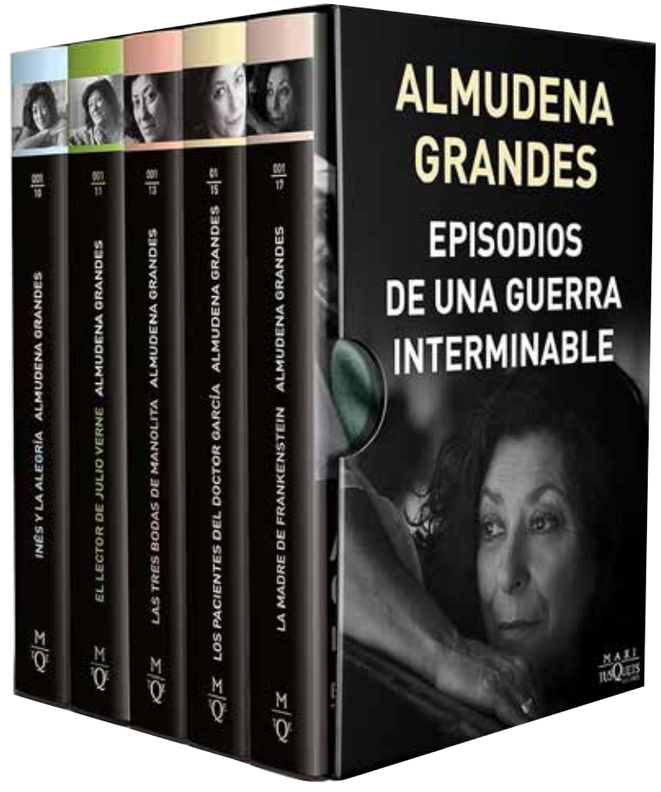

يتصوَّر كثيرون أنها تبقى حبيسةً بين دَفَّتي الكُتُب لا تبْرحُها- لها صِلةٌ وطيدة بعالَمِها الواقعي. وبالفعل، حدث لبعضنا أن تعرَّف إلى كُتّاب ألَّفوا سِيرتَهم الذاتية، وكانوا، بالطبع، شخصيةً في نصِّهم. ولعلّ محمد شكري أشهرَ من تعرَّفتُه منهم في بعض الجلسات في طنجة، هناك كان الجلوس إلى الشّخص في الواقع والشخصية في السيرة الذاتية لا جديد فيه، فالعقد السيري احتُرِمَ إلى حدّ كبير، بحيث لم أعِش الدّهشة والفُجاءَة عند اللقاء بتاتاً. لكنّ الأمر اختلف كثيراً، عند قراءتي "قارئ جول فيرن" وأثناء ترجمتي لها أيضاً، فقد كانت في كل اللحظات تترى أمام ناظريَّ صُوَر للصديق كرِيستِينو في طفولته، كان قد حدَّثني عنها، وصِرْتُ أرى شَغَبه ومرَحه وهو ناضج بصفته استمراراً لطفولته بما طبعها من فضول ورغبة في المعرفة، كما كنت أستحضر مناقشاته المُفيدة التي تنمّ عن موسوعية ملحوظة، مع أنه رجُل إحصائيات، فضلاً عن خوضه في قضايا سياسية تكشف عن مثقفّ حقيقي ذي التزام سياسي وأخلاقي، فتأكَّدتْ لي عظمة الروائية الراحلة ألمودينا غْرانْديس التي نجحتْ بشكل لافت في استغلال طاقتها الإبداعية، وفي التغلغل في نفس وذهن كريستينو، لِتُقدِّم عمَلاً إبداعياً راقياً.

مسارات

الدكتور مزوار الإدريسي، شاعر وباحث ومترجم وأستاذ جامعي من المغرب، وُلد في مدينة تطوان، عام 1963. يعمل أستاذاً في مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، بطنجة (جامعة عبد المالك السعدي). رئيس اتحاد كُتّاب وكاتبات الشمال بالمغرب، ورئيس جمعية ملتقى الشعر الإيبرومغربي، في طنجة وأصيلة، وعضو اتحاد كُتّاب المغرب، وأمين المالية في فرع اتحاد كتّاب المغرب في طنجة من العام 2007 حتى 2012.

حاصل على درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، في جامعة عبد المالك السعدي في تطوان، وحصل على درجة الأستاذية في العام 2020. أستاذ زائر في جامعة غرناطة، وجامعة ميدلبيري في كاليفورنيا، وجامعة قاديش، وجامعة صوفيا في بلغاريا.

عضو لجنة التحكيم في جائزة المغرب للترجمة سنة 2015. عضو لجنة التحكيم العلمية في جائزة الشيخ حمد للترجمة، 2016. شارك في عدد كبير من المؤتمرات العلمية والمهرجانات الشعرية والملتقيات الأدبية العربية والعالمية.

صدرت له مؤلفات عدة، منها: "فكر الترجمة" (دراسة)، "مرثية الكتف البليل" (شعر)، "بين ماءين" (شعر). وفي الترجمة صدر له أكثر من 20 كتاباً، من بينها: "أنْ تأخذ النهارَ إلى البيت" شعر: جوردي فيرايونعا، "مختارات من قصائد بيثنت ألكسندري" (شعر)، "نار بيضاءُ وتقاييد" شعر: أندريس سانشيث روباينا، "رحلاتٌ عبر المغرب"، علي باي، "قوافٍ واعترافات شعرية" شعر وتأملات نقدية: غوستابو أدولفو بيكر، "كَوْنٌ مُسَرْنَم" شعر: آنخِل غارثيا لوبيث، "لكي نعيش هنا"، خوان غويتيسولو (مجموعة قصصية)، "أبو الهول، الصّمادة، فيدرا" مسرحيات: ميغيل دي أونامونو، و"التانغو.. أربع محاضرات"، خورخي لويس بورخيس، و"الأعمال القصصية.. الجزء الأول"، بورخيس.

شهادات 4 روائيين من أميركا اللاتيـــــنية تربّعوا على قمة السرد العالمي

«رسائل البوم» .. حــوار رباعيّ الأصوات

بقلم: خالد الريسوني (مدريد)

يجمع كتاب "رسائل البوم الأميركي اللاتيني"، شهادات أساسية لأربعة روائيين ملأوا دنيا الأدب وشغلوا قراءه، خاصة في مجال كتابة الرواية والقصة القصيرة كجنسين أدبيين، يتعلق الأمر بالروائي البيروفي ماريو فارغاس يوسا، والمكسيكي كارلوس فوينتيس، والكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز، والأرجنتيني خوليو كورتاثار. نقرأ على ظهر الغلاف قولة للروائي المكسيكي كارلوس فوينتيس يقول فيها: "أعمال غارسيا ماركيز غير قابلة للفهم والاستيعاب من دون أعمال كورتاثار، وأعمال كورتاثار غير قابلة للفهم والاستيعاب بدون أعمال فارغاس يوسا، وتنسج شبكة بكاملها تتعلق بشيء ما واقعي جدًّا. لأنني أعرف أن كلّ واحدٍ مِنَّا جدُّ واعٍ بما يفعله الآخرون المتبقون". معنى ذلك أن فهم العلاقة التي ربطت بين أفراد جماعة "البوم" الأميركية اللاتينية، أساسية لفهم المسارات الإبداعية لكل روائي من هذه الجماعة، ولفهم الحوار الممتد والمتواصل بين المبدعين الأربعة، ومن ثم فاستعادة رسائل البوم تملأ فجوة أساسية لفهم عميق لأعمال هؤلاء الروائيين الأربعة، وانشغالاتهم الفكرية والسياسية والأدبية.

هكذا، وللمرة الأولى في تاريخ الدراسات الأدبية في أميركا اللاتينية يتم التوثيق لجماعة البوم من خلال تجميع هذا العدد من المراسلات والشهادات والحوارات، من قبل باحثين ينتمون إلى حقول معرفية مختلفة ومتقاطعة، من حقل التاريخ إلى حقول الدراسات الأدبية. ويضمّ الكتاب بين طياته 207 رسائل، تبادلها الروائيون الأربعة الذين وسموا حقبة أساسية من القرن العشرين بميسمهم، وجعلوا من أميركا اللاتينية قارة أدبية بامتياز، قارة صارت مرجعًا أدبيًا وأكثر تأثيرًا من خلال حضورها العالمي في تلك الحقبة التاريخية المعقدة التي تغطي النصف الثاني من القرن الماضي.

"هذا كتاب تاريخي" بهذه الكلمات يفتتح الباحثون الأربعة مقدمة العمل الذي أنجزوه، وهو عمل توثيقي أساسي يكشف عن القضايا الكبرى التي شغلت الجماعة الأدبية الـ"بوم"، والعلاقات المتشابكة التي نسجها الكتّاب الأربعة فيما بينهم ومع غيرهم، ونقط

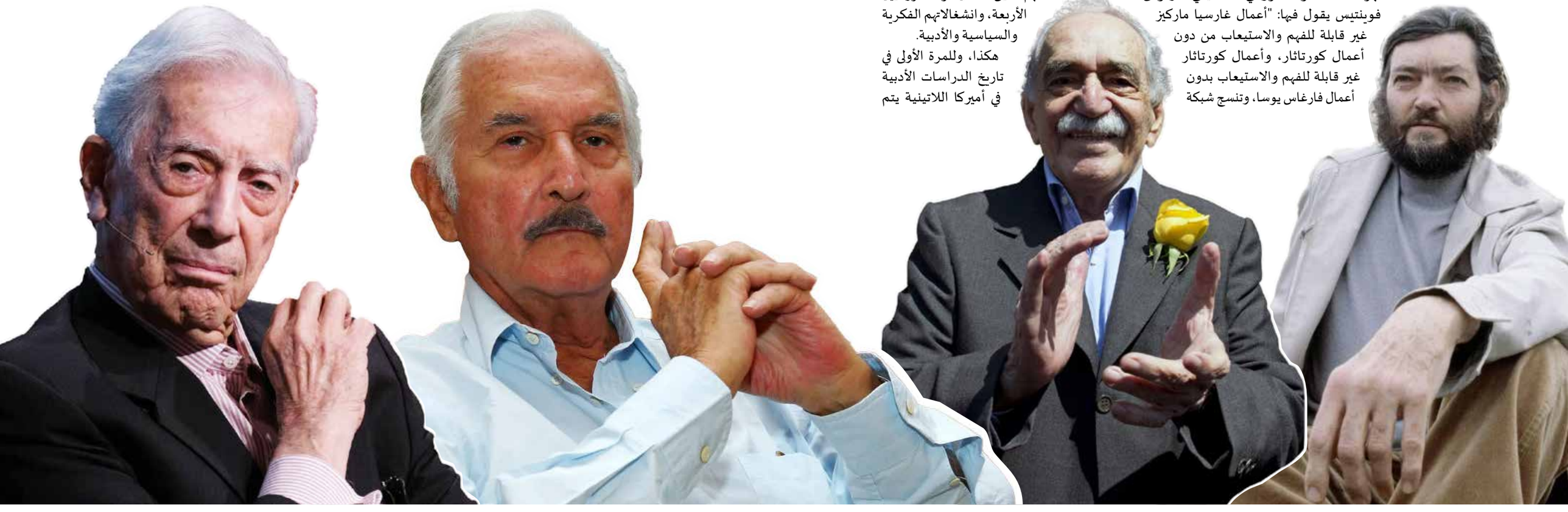

الروائي الأرجنتيني خوليو كورتاثار — الروائي الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز — الروائي المكسيكي كارلوس فوينتيس — الروائي البيروفي ماريو فارغاس

غابرييل غارسيا ماركيز وماريو فارغاس يوسا

التقاطع والتوافق وأيضاًنقط الاختلاف. وقد جاء هذا العمل خلاصة لتضافر جهود أربعة باحثين من حقول معرفية مختلفة هم: البيروفي كارلوس أغيري، والبريطاني جيرالد مارتِن، والمكسيكي خافيير مُونْغِيًا، والبيروفي أوغستو وونغ كامبوس .

ينتظم الكتاب الصادر حديثاً عن دار ألفاغوارا للنشر، في أبواب تشمل مقدمة وديباجة للطبعة ثم لحمة الكتاب التي تشكلها الرسائل التي تغطي مرحلة حاسمة ودقيقة من تاريخ أميركا اللاتينية الأدبي والسياسي، تمتد من العام 1959 حتى العام 1975، تشمل 356 صفحة من الكتاب، عنونها الباحثون بـ: "حفل الأصدقاء"، وينضاف إلى الفصل المخصص للرسائل الأساسية فصل آخر يشمل المرحلة الممتدة من 1976 حتى 2012، وهو الفصل الذي يتخذ له عنواناً: "نهاية الحفل"، ويضم 38 صفحة، وهي رسائل قليلة كانت خلالها كثافة التواصل بين الجماعة قد خمدت.

وكملحق للرسائل خصص الباحثون فصلاً يضيء انشغالات الجماعة بعنوان "مقالات وحوارات"، وهي مقالات كتبها بعض من أعضاء الجماعة عن أعمال آخرين منها، وحوارات حاور فيها بعض من الجماعة آخرين منها أيضاً ويمتد هذا الفصل في 52 صفحة، ويشتمل الكتاب أيضًا على فصل بعنوان "وثائق"، ضم الباحثون الأربعة فيه بيانات ورسائل وقعها الروائيون الأربعة مع كتّاب آخرين من أميركا اللاتينية وأوروبا، إما احتجاجًا على التدخل العسكري للاتحاد السوفياتي في تشيكوسلوفاكيا خلال "ربيع براغ"، أو إدانة واستنكاراً للحكومة المكسيكية على الاعتقالات التي شملت مثقفين وطلبة من المكسيك بسبب مجزرة تلاليتولكو، أو بعض الرسائل الموجهة لفيديل كاسترو احتجاجاً على اعتقال الشاعرين الكوبيين هيربيرتو باديا وبلقيس كوثا مالي.

بعد ذلك يختم الكتاب بـ: كرونولوجيا عن جماعة كتاب البوم الأميركي اللاتيني الذي يضم الروائيين الأربعة: خوليو كورتاثار، وكارلوس فوينتس، وغابرييل غارسيا ماركيز، وماريو فارغاس يوسا، الذين شكّلوا جزءًا من ذاكرة تاريخ الأدب الأرجنتيني، والمكسيكي، والكولومبي، والبيروفي، وكذلك من بقية دول أميركا اللاتينية، ومن عموم الأدب العالمي.

في مقدمة هذا العمل الذي يضم مجموعة من رسائل "جماعة البوم"، يتحدث الباحثون الذين قدموا مراسلات هذه الجماعة عن أهمية تجميع هذه المادة الوثائقية، لما مثلته الأسماء التي تنضوي تحتها من ثقل في تاريخ الأدب المعاصر، من خلال ما فرضته من نقلة نوعية على مستوى تلقي الأدب كإمتاع ومؤانسة، وتقليب لصفحات التاريخ الحديث، فهم يبرزون في المشهد الأدبي كأربعة كتّاب شباب أساسيين، تربط بينهم علاقات شخصية وجماعية شكلت ظاهرة ثقافية، اتخذت لها مسارات مختلفة ووصلت إلى التربّع على قمة الإبداع العالمي في السرد،

ماركيز وخورخي إدواردز وماريو فارغاس يوسا وخوسيه دونوسو وريكاردو مونيوز سواي في العام 1974

إذ نال اثنان منهم جائزة نوبل للآداب، هما غابرييل غارسيا ماركيز وماريو بارغاس يوسا، واستحقها الاثنان الآخران حتى ولو لم يفوزا بها وهما خوليو كورتاثار وكارلوس فوينتيس، وقد جمع بين هذا الرباعي مشروع عمل واعد ومتكامل واهتمامات مشتركة قوية، كان الأدب هو العنصر الرئيسي فيها، بالرغم من أن هناك عوامل أخرى ساهمت في الحفاظ على الروابط القوية بينهم إن لم نقل عوامل دعمت بقوة وحدتهم، وهي: عامل الكتابة في الجنس الأدبي ذاته وهو الرواية والأجناس السردية بشكل عام، بل إنهم في هذا الباب اختاروا كلهم التمرد على أشكال السرد القديمة، والانتماء إلى توجه يسمى الرواية الأميركية اللاتينية الجديدة، ذات الرؤية الثورية على مستوى الزمن والفضاء مع التطابق في تشييد منحى حميمي وخارجي في الآن ذاته، مع اهتمام خاص بالآخر في جوانبه المأساوية والساخرة.

إن رواية البوم هي بشكل ما امتداد لروايات القرن التاسع عشر مع بلزاك وديكينز وتولستوي وتواين وللرواية الطليعية عند جويس وبروست وكافكا وولف وفوكنر وللرواية ذات النزعة الإقليمية عند ريكاردو غويرالديس وخوسيه أوتاسيو ريفيرا ورومولو غاييغوس، ولجيل الروائيين وكتّاب القصة القصيرة الأميركيين اللاتينيين السابقين عليهم مثل: ميغيل أنخيل أستورياس وخورخي لويس بورخيس وأليخو كاربينتيير وماريو دي أندرادي.

ولكي يلخص أصحاب كتّاب "رسائل البوم" هذا الجانب يستشهدون بما أدلى به كارلوس فوينتيس مستشهداً برأي فارغاس يوسا: "رواية البوم هي رواية تتوفر على ملمحين مميزين: ملمح (الفرسان الثلاثة) وملمح (عوليس) في الآن ذاته، فروايات (موت أرتيميو كروث) و(الحجلة) و(البيت الأخضر) و(مائة عام من العزلة) هي في نفس الآن روايات مغامرات وروايات عوليسية".

أما العامل الثاني الذي يتم الارتكاز عليه لضم الروائيين الأربعة، هو عامل الصداقة التي جمعت بين كورتاثار وغارسيا ماركيز وبارغاس يوسا وفوينتس، صداقة، حسب واضعي هذا الكتاب، تتجاوز التناغم الوجداني المجرد نحو رؤية مشتركة يتقاسمونها حول المشاريع الأدبية والسياسية في مجموعها، والاعتراف المتبادل بقيمة ومكانة كل منهم للآخر ككاتب ومثقف ملتزم ومؤثر في الحياة العامة وأهمية كل واحد بالنسبة للثلاثة المتبقين.

ويتمثّل العامل الثالث في الاهتمام بالشأن السياسي والالتزام الواضح الذي تمت ترجمته في الإيمان بمبادئ الاشتراكية، وقد تجلى ذلك في دعمهم للثورة الكوبية بعد انتصارها، وشعورهم المعلن بالانتماء إلى قارة محرومة تاريخياً، بسبب الإهمال المتأصل للحكومات والأنظمة، وللقوى الغربية الاستعمارية التي لا يهمها سوى استنزاف ثروات هذه القارة، واستغلال الإنسان والأرض، حسب ما ذكره

الباحثون الأربعة، وهو ما جعل الروائيين الأربعة في موقف المواجهة والتعارض بشكل واضح وثابت مع السياسات الأميركية والأوروبية في المنطقة، وذلك باعتبار انتمائهم إلى نادي الثقافة الأميركية اللاتينية.

ويكمن العامل الرابع الذي وطد علاقة روائي البوم الأربعة في أنهم مثلوا ظاهرة تجارية تتجاوز حدود الدول والقارات، وذلك في أعلى مظاهرها ومستوياتها وتجلياتها، لقد صاروا تبعًا لذلك يشكلون امتدادًا عميقًا على مستوى الانتشار، إذ صارت دور النشر تتسابق لاختطاف ثمرات إبداعهم الأدبي، ومن تم عبروا نحو تكريسهم كظاهرة إعلامية، فقد صارت المجلات الأدبية تتلقف أخبار إبداعهم الأدبي وجديد إنتاجهم، مُجِدّةً في مواكبة أعمالهم التي انتشرت بين ملايين القراء في العالم وبأرقام قصوى وغير مسبوقة، وعبر لغاتٍ متعددة ومختلفة يَسَّرَهَا احتفاءُ الترجمة والمُترجِمين بها.

تكشف رسائل البوم عن علاقات التواشج القوية والحميمة التي ربطت بين الروائيين الأربعة في صداقة امتدت من الإنساني إلى تفاصيل أخرى أدبية وثقافية واجتماعية وسياسية، بل إن هذه الصداقة والرفاقية الحميمة تفصح عن ذاتها بشكل لافت عندما نتأمل لغة التخاطب بينهم، ونحن نقرأ نماذج من هذه الرسائل: «فالأسماء الرسمية التي نعرفها عن ظهر قلب منذ زمن الدراسة، تصير هنا شخصيات ساردة لحياتها الخاصة ذاتها: كورتاثار هو خوليو أو من خلال دفء الصداقة هو أيضًا الكرونوبيو الأعظم، وفوينتيس هو كارلوس والنسر الأزتيكي، وغارسيا ماركيز هو غابو والعقيد، وفارغاس يوسا هو ماريو وزعيم الإنكا الأكبر».

لكن في مقدمة الكتاب يجلي المحققون الأربعة لـ "رسائل البوم" لعبة تحكم هذا الحوار في الرسائل، وهي في تصورهم قائمة على ثلاث دعامات أساسية، تقول المقدمة: «طبعاً، فإن الحوار رباعيُّ الأصوات، الذي تنقله هذه الرسائل هي: لعِبٌ إنسانيٌّ مبنيٌّ، لعبة بقواعد صارمة فيما يطلق عليه هويزينغا: (حلف الحَمِيَّة غير القابل للانفصام أمام المقدس مع التخفي والتسلي)، فكرة اللعبة ذاتها التي تشكلُ الخلفية الرئيسية في الأعمال الروائية الكبرى للرباعي: التوسُّلُ باللعب والفعل واليقين في (المنطقة الأكثر شفافية) لفوينتيس، دعوة الحظ في (الحجلة) لكورتاثار، المصير الملقى عبر ضربة نرد في (المدينة والكلاب) لفارغاس يوسا، أو بويندِيًا لـ (مائة عام من العزلة) لغارسيا ماركيز الذي يكتشف في الأدب (اللعبة الفُضلى التي ابتدعَها لكي يسخر من الناس)".

إن "رسائل البوم" في توصيف للمحققين الأربعة لهذه الطبعة والمسؤولين بالتساوي عن تجميع هذه المادة ككتاب مضموم بين دفتين، بعد المقدمة التي يوضحون فيها محتوى المادة التي يقدمونها (الرسائل)، وسياقها التاريخي الموضوعي والذاتي، واللعبة التي تحكم هذا التناسق بين الأجزاء المختلفة لهذه المادة، وفي "ديباجة للطبعة" أو ملاحظة توجيهية تصف طبيعة الوثائق التي تتكون من 207 رسائل تم تبادلها بين الروائيين الأربعة، يفصحون عن الأهم، وهو كيف تم ترتيب الرسائل في الكتاب، فقد تم اختيار ترتيبها على أساس مبدأين مختلفين لكنهما متكاملَيْن: الأول "كلاسيكي" أي حسب التسلسل الزمني (كرونولوجي) يعتمد التعاقب الزمني؛ والثاني «حديث» أو موضوعي، ويتأسس على فكرة عدم الفصل بين النصوص المترابطة، أي الجمع بين الرسائل المترابطة ذات الموضوع المشترك والمتزامن، أي أن رسائل المؤلفين الأربعة يتم نشرها لكي تبعث من جديد الحديث الذي تم منذ سنوات مضت، مع الحفاظ عليه في تزامنه وفي ترابطه. وفي نفس السياق لا يعتبر المحققون هذا الكتاب مجرد تجميع لرسائل الروائيين الأربعة للبوم، ولكنه أولا وقبل كل شيء «سرد عظيم بضمير المتكلم سرعان ما يتحول فيه الضمير من صيغة المفرد إلى صيغة الجمع». كما يشيرون إلى صعوبة تجميع مادة كهذه، تتألف من نصوص مخطوطة باليد أو مرقونة على الآلة الكاتبة، عبرت المحيط الأطلسي في بعض الحالات، وتم حفظها لسنوات من قبل متلقيها (وأحيانًا أيضًا في نسخ كتبها مؤلفها ذاته لنفسه للتوثيق)، رغم أنه لم يكن الجميع معنيًا ولا مهتمًا أو مجتهدًا بنفس القدر

ثمرة لجهود 4 باحثين

كارلوس أغيري

جيرالد مارتن

جاء كتاب "رسائل البوم الأميركي اللاتيني" ثمرة لجهود أربعة باحثين من حقول معرفية مختلفة هم: البيروفي كارلوس أغيري، والبريطاني جيرالد مارتن، والمكسيكي خافيير مونْغِيّا، والبيروفي أوغستو وونغ كامبوس.

ووصف الباحثون إنجازهم بأنه "كتاب تاريخي"، إذ إنه بالفعل يوثّق للمرة الأولى في تاريخ الدراسات الأدبية في أميركا اللاتينية، لجماعة البوم من خلال جمع مراسلات وشهادات وحوارات للأدباء الأربعة ماريو فارغاس يوسا، وكارلوس فوينتيس، وغابرييل غارسيا ماركيز، وخوليو كورتاثار. ويضمّ الكتاب بين طياته 207 رسائل، تبادلها الروائيون الأربعة الذين وسموا حقبة أساسية من القرن العشرين بميسمهم، وجعلوا من أميركا اللاتينية قارة أدبية بامتياز، صارت مرجعًا أدبيًا وأكثر تأثيرًا من خلال حضورها العالمي في تلك الحقبة التاريخية المعقدة التي تغطي النصف الثاني من القرن العشرين.

خافيير مونغيّا

أوغستو رونغ كامبوس

في القيام بذلك، بل يشيرون إلى أن المؤكد هو أن خوليو كورتاثار كان الأقل اهتمامًا في الاحتفاظ بها، وأن كارلوس فوينتيس كان الأكثر حماسًا في الحفاظ على كل الرسائل سواء تلك التي كان يتلقاها مثلما تلك التي كتبها. ومن المؤكد أن الرسائل في طريقها إلى التاريخ والتوثيق قد ضل كثير منها الطريق، لكن يشير المحققون إلى الأمل المعقود على الآتي في إمكان إنقاذ رسائل أخرى من الضياع، للتمكن من ملء فجوات أساسية وواضحة من النقاش الفكري والأدبي والسياسي لمرحلة أساسية من تاريخ قارة بكاملها، بل ومن تاريخ الفكر والإبداع الإنسانيين بشكل عام، حتى يمكن من تسليط مزيد من الضوء على انشغالات النخبة الثقافية (الإنتلجنسيا) خلال حقبة ملتبسة ومعقدة من زمننا المعاصر. لكن كل ذلك لا يخفي أهمية نشر هذه الرسائل مجمعة في كتابٍ، وهي تسلط الضوء على هذه الحقبة التاريخية التي عاشها الكتاب الأربعة، وتقدم شهاداتهم الذاتية والموضوعية، الحميمة والخارجية، على عصر عاشوه بكل تفاعلاته واشتباكاته وزخمه.

شاعر وباحث ومترجم

خالد الريسوني، شاعر وباحث ومترجم من المغرب، من مواليد الدار البيضاء، ويقيم في إسبانيا. نال جوائزة عدة، من بينها جائزة رفائيل ألبرتي للشعر، وجائزة ابن عربي الدولية للآداب في مدريد بإسبانيا، وجائزة شاعر السنة في نيويورك التي يمنحها مهرجان الأميركتين في نيويورك وجامعة سيتي كوليج. وهو عضو محكم في جائزة الأركانة العالمية للشعر التي يمنحها بيت الشعر بالمغرب.

درس اللغة العربية وآدابها في جامعة عبد المالك السعدي بتطوان. حاصل على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، ويعد رسالة دكتوراه في موضوع "الأتوبيوغرافي في الشعر المغربي خلال عصور الدولة العلوية، السياق والحالات بكلية الآداب والعلوم الإنسانية".

عضو في اتحاد كتّاب المغرب، وبيت الشعر في المغرب، وعضو مؤسس لجمعية أصدقاء لوركا في تطوان، عضو مؤسس لجمعية ملتقى الشعر الإيبيرو- مغربي بأصيلة، عضو اللجنة المنتخبة من قبل وزارة الثقافة الإسبانية لترجمة الأعمال المسرحية الإسبانية إلى العربية برئاسة خوسيه مونليون، وعضو هيئة التنسيق الدولي للحركة الشعرية العالمية، وعضو أكاديمية توميس بكونستانتسا برومانيا.

وله في الشعر، "كتاب الأسرار"، (طبعة مزدوجة إسبانية عربية)، عن دار النشر سيال بيغماليون مدريد 2017. وترجم عشرات الكتب والمجموعات الشعرية من العربية إلى الإسبانية، ومن الإسبانية إلى العربية، ومن الفرنسية إلى العربية.

شارك في العديد من المهرجانات الدولية للشعر، في المغرب وإسبانيا وكولومبيا وفنزويلا والسلفادور ونيكاراغوا ورومانيا وهولندا والولايات المتحدة. وشارك أيضاً في ملتقيات وندوات عدة عن الشعر والترجمة.

زلزال المبدع

بقلم: إكرام عبدي

مضَى الزلزال في ركن خفيٍّ قصيّ مستور بالجبال وجدران من طين، مرّ في ذاك الرَّبع المكلوم من مغربنا الحبيب مروقاً شهابياً مولّياً ظهره بعنجهية، ليُودعنا صلصلة الوجع وكثيراً من الشقوق والشروخ في الجدار والصدور. مضى تاركاً لنا أرواحاً تفيض عن الكون محبة وكرماً وكينونة لن تفنى أبدًا، متعالية عن تلك الفراغات الفاصلة والمسافات الممتدة بسموقها وبتأججها الداخلي وبنحيبها النابض بكل ما يرسله وما يستودعه ويستثيره. عبَر الزلزال عجولاً، بشكل يجعل استعادة اللحظة مستعصية، يصعب إدراكها، هبّ في زمن لم نتأهّب فيه لهبوبه الآثم فانفطرت أشطار من جسدنا، لم يتبق لنا سوى فاجعة نفيق عليها عند صحونا وآخر ما تعلق بنا قبل إغماض العين. مرّ خاطفاً في جنوب فؤادنا، وترك لنا مآقيَ تنبض بالوداعة وتنطق بالسكينة، ووجوهاً نورانيّة الطلع صامتة الحضور تضوى بحبور إنساني نادر، في مواجهتنا باحتجاجها الصامت وابتسامتها الواهنة الآيلة رغم محاولات مداراتها بود هادئ.

لكن هذا الزلزال ببشاعته وأرجله الكسيحة وأطرافه الممزقة وبطفولة تنشد أمومة تلبسه، قد تلحقه ارتدادات واهتزازات إبداعية، أكيد لن تكون بحجم الدمار، ولكن بعمق إنساني وفيض مخيلة في مكان منعزل قصيّ عن المأساة. لكن ألا يعد الأمر "انتهازية" و"أنانية" من مبدع يكتب ما جادت به القطوف الدانية من الكارثة ومتلق يستلقي براحة وأريحية ليقرأ المأساة برؤية إبداعية جديدة وآمنة؟ أكيد أن هول الكارثة أفظع بكثير مما سينحته المبدع على بياضه مستريحاً على أريكته منتشياً بقهوته، لكن مما لا شك فيه أن جرحه وحنقه الكتومين سينتجان لغة وحياة جديدتين للآفة، وينتجان حياة على أنقاض الفناء ومعانيَ من وحي الألم وكينونة إبداعية جديدة من نحيب الثكالى والأيامى وصراخ الأيتام.

ينشق المبدع الحقيقي عن جوقة التفكير النمطية ليرى ما لا يراه الآخرون ويرهف السمع لما لا يسمعه الآخرون، وكلنا يتذكر قصيدة نازك الملائكة "الكوليرا" وهي تنصت لوقع أرجل الخيل تجر عربات الموتى من ضحايا الوباء في ريف مصر. يكتب المبدع مبصراً المألوف بطريقة مبهرة بعيداً عن أي توثيق أو مباشرية، مستجيباً لانتظارات قارئ نخرته المأساة، وفاضت به الكدورات. يكتب المبدع مهادناً المأساة وملطفاً من ألمها بقصة حب ملهمة مثل رواية "الحب في زمن الكوليرا" لغابرييل غارسيا ماركيز. يكتب المبدع مخلّداً المأساة عبر التاريخ بشكل إبداعي مختلف، وكلنا يتذكر رائعة "الطاعون" التي كتبها ألبير كامو سنة 1947 وهو يصف فيها مقاومة ورباطة جأش سكان مدينة وهران الجزائرية المستعمرة الفرنسية المنكوبة آنذاك بوباء الطاعون اللعين.ألوانه حيا نابضل أ يستعيد المبدع الفاجعة بثراء مخيلته ونبوغه السرديّ أو الشعريّ أو الفنيّ، مدققاً فيما استعصى على الإنسان العادي رؤيته وفيما لم يلاحظه في آنيته، عائداً بالوجود إلى بداياته، خصوصاً أنّ ثمة ما يستعصي على الذاكرة الاحتفاظ به أو استدعاؤه، لكن قبس الجرح وعمق التراجيديا سيظلان حيّين نابضين في أرواحنا لن يردمهما الزلزال ولن تمحوهما الكارثة مهما طال الأمد أو تغيّر الحال.

• شاعرة وكاتبة من المغرب

في 8 أكتوبر تصادف الذكرى الـ 78 لميلاد الشاعرة البولندية ابنة كراكوف

إيفا ليبسكا.. شـــاعرة تفكيك اللغة

بقلم: الدكتور هاتف جنابي (بيرمنغهام)

تنتمي الشاعرة البولندية إيفا ليبسكا إلى نخبة من الشعراء المتميزين غير المنتمين إلى أي جماعة أدبية، حتى ولو تم إدراجها ضمن هذه المجموعة الأدبية أو ذلك الاتجاه الشعري، كما فعل النقد الأدبي عندما اعتبرها ضمن جماعة "الموجة الجديدة" أو ما أطلق عليها تسمية "جيل 68" الشعري، مع أنها عملياً لم تكن فاعلة داخله لأنها أرادت أن تكون بعيدة عن التوكؤ على أيّ شيء خارج العملية الشعرية. بيد أن هذا التاريخ بحد ذاته يوحي لنا بسلسلة أحداث ليست بالضرورة ذات صلة بالشعر والأدب. حيث شهدت أوروبا وأميركا حركات احتجاجية طلابية واجتماعية واسعة النطاق أصبحت معروفة، هزت مجتمعاتها وغيرت الملامح الثقافية وطرق التفكير لدى الجيلين اللاحقين على أقل تقدير. وأحدثت وقعًا عميقًا في مجال الأدب والفن والفكر والعمل الأكاديمي وحتى السياسي. أما فيما يتعلق ببولندا فقد شهدت أحداثًا متفاوتة الحدة والاستمرارية والأثر، تجسدت ببروز صراع داخلي سياسي اجتماعي، على مستوى حزب العمال البولندي الموحد الحاكم ومن ثم على الصعيد الثقافي والأكاديمي العام. والدليل على ذلك هو نشوء تجمعات واتحادات أدبية ثقافية وانقسام القديمة منها على جهتين على أقل تقدير.

ارتبطت الأزمة السياسية المتنامية آنذاك بموقف قيادة الحزب الحاكم من حرب الخامس من يونيو/ حزيران 1967 المناهض للاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية، الأمر الذي أدى إلى بروز توجه واضح، كان من بين نتائجه تسريح عدد من الأكاديميين المناهضين للخط السياسي العام وهجرة بعضهم إلى الخارج؛ و"التضييق على نشاطات بعض المثقفين والسياسيين داخليًا" الذين أخذوا ينظمون أنفسهم ويستقطبون آخرين عمالًا ومثقفين وشبابًا، فأصبحوا نواة لتشكل جماعات وتيارات برزت في 1968 وما تلاها واستطاعت أن تجد لنفسها طريقًا في مجال الأدب والثقافة والإعلام "المعارض"، وقد أصبح قسم من رموزها والمتسلقين عليها وجوهًا أدبية، ثقافية، إعلامية وسياسية بعد سقوط النظام في العام 1989. أما الأدباء والمثقفون المحسوبون على السلطة فلم يحالفهم الطالع!

في أواخر الستينات أخذت تظهر معالم جماعة أدبية، شعرية على وجه الخصوص، أطلق عليها "جيل 68"، تناولناها بتوسع في مقالات منشورة في مجلة "الناشر الأسبوعي". عرفت هذه الجماعة فيما بعد باسم جيل "الموجة الجديدة" وقد ضمت أسماء شعرية وأدبية أخذت تبرز تباعًا في بلدها وفي الخارج أيضًا، ومن بين أهم أسمائها الشعراء: كشيشتوف كاراسك (1937)، آدم زاغايفسكي (1945 - 2021)، ريشارد كرينيتسكي (1943)، يوليوش كورنهاوزر (1946)، ستانيسواف بارانتشاك (1946 - 2014)، لشك شاروغا (1946)، إيفا ليبسكا (1945). وقد أدرج النقد الأدبي البولندي اسم إيفا ليبسكا ضمن قائمة ممثلي تلك الجماعة "الجيل" على الرغم من أنها لم تعترف بهذا الانتماء علنًا ولم تساهم في بياناته، واكتفت بتطوير نفسها شعريًا، وربما كان سفرها وإقامتها لبعض الوقت في الخارج، خاصة في فيينا خلال السنوات من1991 حتى 1997، سببًا في بُعدها عن الفعل الثقافي الاجتماعي اليومي والاحتكاك المباشر بزميلاتها وزملائها الشعراء في الداخل.

ظاهرة الداخل والخارج

تبقى معادلة الداخل والخارج حيّة في كثير من البلدان والثقافات ومنها العربية ذات السجل الحافل بالشعراء والكتّاب والفنانين والأكاديميين المهاجرين بقائمة طويلة ما زالت مشرعة. اتخذت

إيفا ليبسكا

نشاطات ممثليها طابعًا ساخنًا أو فاترًا بناء على مجريات ومستوى الأحداث التي يعيشها هذا البلد أو ذاك. إن سخونة الأحداث بعد الحرب العالمية الثانية في بلد مثل بولندا المحسوبة آنذاك على "المعسكر الاشتراكي" عرّضها إلى ضغوطات هائلة ومحاولات متتالية ساهمت في تقويض نظامها. تلك الأحداث والصراعات منحت الشعراء والكتّاب والفنانين عمومًا، والمناوئين فكريًا وأيديولوجيًا للخط العام السائد، على وجه الخصوص، مادة ثرية وفرصة كبيرة للعمل المتنوع والحصول على الدعم من الغرب. كما أدت تلك الأحداث المتلاحقة إلى نشأة ظواهر موازية على الصعيد الأدبي والفني والفكري والإبداعي، الأمر الذي زاد من نسبة ولادة الجماعات الأدبية والفنية والدعوات المطالبة بالتجديد والانفتاح فنيًا وفكريًا وسياسيًا على الآخر المختلف، خصوصًا على أميركا وأوروبا الغربية. ولذلك فلا غرابة في ولادة أسماء وجماعات أدبية جديدة كل عشر سنوات تقريبًا، حتى بات ظهور هذه الجماعة الأدبية أو تلك شيئًا عاديًا في الساحة الثقافية، وما هو غير عادي تمثل في نقد كل جماعة وجيل لما سبقه، ولعل في هذا التوجه تحركًا طبيعيًا لإثبات جدوى الولادة بغض النظر عن قيمتها واستمرارها في مجال الفعل الإبداعي.

صدمة الحرب

برزت بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة في بولندا وما جاورها من البلدان الأوروبية ظاهرة ولادات أدبية وفنية أغنت حركة الإبداع الشعري لاحقًا بأسماء مهمة للغاية، لم تخض غمار الحرب ولم تعش أهوالها بسبب صغر عمرها، لكنها عانت من عواقبها واستخلصت منها العبر الضرورية.

لو أردنا، شخصيًا، تصنيف الشعراء في أوروبا عموماً وبولندا بالذات، من حيث الحضور الإبداعي في النصف الثاني من القرن العشرين، لأمكننا القول، إنهم ينقسمون على الوجه الآتي:

شعراء وكتاب ولدوا قبل الحرب العالمية الثانية واستمر حضورهم القوي بعدها وأغلبهم من المعمرين، وهم ينقسمون على فئتين أساسيتين: جماعة نشرت قبل الحرب مثل ياروسواف إيفاشكيفيتش (1894 - 1980)، كازميز فيجينسكي (1894 - 1969)، فواديسواف برونيفسكي (1897 - 1962)، ستانيسواف بالينسكي (1898 - 1984)، يان لَخون (1899 - 1956)، يوزف ووبودوفكسي (1909 - 1988)، يوزف تشيخوفيتش (1903 - 1939)، ألكسندر فات (1900 - 1967)، تشيسواف ميووش (1911 - 2004)، فيسوافا شيمبورسكا (1923 - 2012)، تادؤوش روزَفيتش (1921 - 2014)، فيتولد فيربشا (1918 - 1985)، كشيشتوف كميل باتشينسكي (1921 1944-)، زبيغنيف هربرت (1924 - 1998)، يوليا هارتفيغ (1921 - 2017)، أورشولا كوزول (1931)، آدم تَشرنْيافسكي (1934)، كشيشتوف كاراسك (1937)، وعشرات سواهم.

وانقمست هذه المجموعة أيضًا إلى: جماعة الداخل وجماعة الخارج. بعضهم اشترك في الحرب كالشاعر روزفيتش، والبعض الآخر قتل أثناءها كالشاعر كشيشتوف كميل باتشينسكي الذي يعد أشهر شعراء مقاومة الاحتلال النازي.

فيسوافا شيمبورسكا

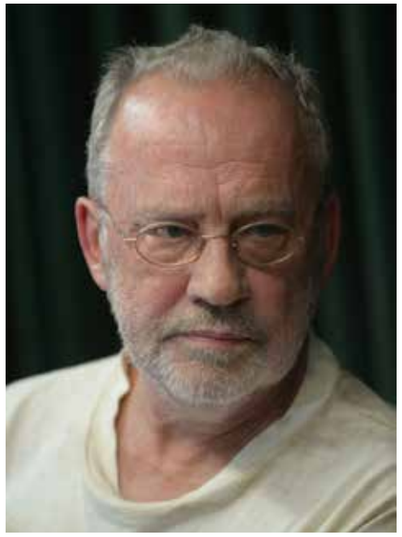

تادؤوش نيتشك

أما الصنف الآخر فولد أثناء الحرب أو بعدها مباشرة. وهذا الجمع من الشعراء والكتّاب انقسم أيضًا إلى قسمين هما: شعراء الداخل وشعراء المهجر. إن هجرة أعداد كبيرة من المبدعين إلى بلدان أكثر "رحمة" وحرية وأمانًا تركت وقعها وتأثيرها على الثقافات التي عاشوا في كنفها، بحيث نشأت وشائج عابرة للحدود من التثاقف والتأثر والتأثير المتبادلين. تُعدّ اليوم الشاعرة إيفا ليبسكا المولودة في عام 1945 أحد أبرز هذه الأصوات الشعرية الجديدة التي ولدت بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، بالإضافة إلى الأسماء من المحسوبين على "الموجة الجديدة". ولم تبلغ مستوى الانتباه إلى شعرها لولا موهبتها ونشاطها المتجدد في المختبر الشعري.

أطفال ما بعد الحرب

بغض النظر عما كتب عن بدايات الشاعرة إيفا ليبسكا من قبيل أن عناوين دواوينها الأولى "كانت ضد نمط الألقاب الطنانة بتواضع متفاخر"، و"ليست مزينة بزخارف مبهرجة"، وهذا مديح لها- حسب رأينا- وليس قدحاً، وأن بعض النقاد "رأى تأثير الشاعرة فيسوافا شيمبورسكا في العبارة الساخرة لشعرها" (بيوتر ماتيفيتسكي، موقع: الثقافة البولندية، 2006)، والسخرية في الأدب نبرة شائعة في الأدب، إلّا أنها حسب اعتقادنا شاعرة خطّت لنفسها أسلوبها الشعري الخاص، بغض النظر عن التقاء بعض التجارب الشعرية في مواضيع مثل الحرب وآثارها المدمرة، أو في الأسلوب ونبرة التعبير كالاستفادة من السخرية والمجاز والنظر إلى الأحداث الماضية للتو ولآثارها النفسية والمادية التي نجدها في شعر عدد لا بأس فيه من شعراء تلك المرحلة. لا يمكن لشاعرة حساسة مثل إيفا ليبسكا أن تكون بعيدة عن الشعرية البولندية السائدة آنذاك في موقفها من الحرب والظلم ومعاناة الفرد والمجتمع والأقليات ومعاينة تطور الأحداث اليومية، والنظر إلى مثالب نظامين عاشت في كنفهما. إن ما يهمنا في الإبداع هو قيمته الفنية والإنسانية وتميزه. وإلّا فالأفكار والمعاني تبقى كما قال الجاحظ "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، البدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ". وإذا ما تركنا الوزن جانبًا ليحل محله الإيقاع الداخلي مثلًا، وأخذنا تخير اللفظ، لقلنا إن الشاعرة إيفا ليبسكا قد تميزت في تجربتها الشعرية، خاصة في غضون الخمس والثلاثين سنة الأخيرة.

ينقسم الشعراء إلى صنفين من حيث الحضور الشعري: صنف يومض، يبرق ويرعد أحيانًا في عمر قصير فتحس به وتقرأه، لكنه يغيب إمّا

بدأت كتابة الشعر خلال المرحلة المدرسية، وأصدرت ديوانها الأول "قصائد"، وهي في الـ 22 من عمرها.

لوفاته المبكرة أو لانطفائه، وآخر له نفس طويل لا يظهر أثره سريعًا إلّا بعد تراكم تجربته. وهكذا قرأنا امرأ القيس، طرفة بن العبد، أبا الطيب المتنبي، بدر شاكر السياب، حسين مردان، أبو القاسم الشابي، راشد حسين، وآخرين على الصعيد العربي. ورامبو، بايرون، بوشكين، راينر ماريا ريلكه أوروبيًا، وكشيشتوف كميل باتشينسكي، أنجي بورسا، رافاو فوياتَشك، وإدفارد ستاخورا بولندياً. مقابلهم هناك أسماء عاشت وعمّرت طويلًا وتركت أثرًا متفاوتًا، وبعضها بالغًا في الشعرية المحلية والعالمية وهي معروفة بالنسبة للقارئ الأدبي.

الذاكرة المخرومة

تحتفل الشاعرة إيفا ليبسكا بذكرى ميلادها الـ 78، فهي عندما ولدت يوم الثامن من أكتوبر/ تشرين الأول سنة 1945 في كراكوف، كانت الحرب قد وضعت أوزارها للتو في الثاني من سبتمبر/ أيلول 1945، أي بمسافة زمنية قدرها شهر وستة أيام، ولم تختف آثارها ومعاناة الناس بين عشية وضحاها نظرًا لحجم الدمار الهائل. في تلك السنة بالذات صدر ديوان الشاعر تشيسواف ميووش الشهير "الخلاص" (وارسو، 1945) وهو عبارة عن مختارات شعرية غطت الفترة من 1932 إلى 1945 اختارها الشاعر وقسمها على سبعة أقسام، وكان من أوائل الدواوين الشعرية الصادرة بعد الحرب. بعد سنتين صدر ديوان الشاعر تادؤوش روزيفيتش المهم "القلق" (كراكوف، 1947) وضم قصائد أصبحت بعضها مشهورة فيما بعد مثل "الناجي"، و"النواح" (رثاء)، و"أم المشنوقين". وكان هذان العملان الشعريان من أشهر الدواوين الشعرية الصادرة بعد الحرب وأكثرها تأثيرًا. في ظل تلك التجارب الشعرية المؤثرة لـ "الأساتذة" ولدت، ترعرعت ونشأت الشاعرة إيفا ليبسكا التي لم تتخلف في التعبير عن رؤية ومعاناة جيلها شعريًا، ويكفي قراءة قصيدتها "نحن" للتأكد من صحة ذلك. لقد قامت الحرب وتفشى الموت والدمار ولم يكن لها ولجيلها أي ذنب في نشوبها، لكنها أسوة باللاحقين تحملوا عواقبها، وتقل في قصيدتها "نحن":

"نحن مواليد سنة ما بعد الحرب المفتوحة على مصراعيها/ في حالتها الجسدية المريحة تمامًا/ نقرأ سارتر ودليل الهواتف/ نتأمل في جميع زلازل الأرض بعناية/ نحن من مواليد سنة ما بعد الحرب من المزهريات الهادئة/ المستمدين من الحسابات الإحصائية بلا منازع/ غير المسموعين في ضجيج البداية/ المعانين من الأرق والشبيهين بالفراشة/ مطلوبين للتركيز على (...)/ تقودنا إلى أيامنا أبواب صدئة/ وسلالم ناجية بعد موت مُربي الكناري/ وشلالُ خطوات. جنازة ترافقها أوركسترا. وصراخ أوانٍ تتكسر/ ننزل ببطء. بطيئًا جدًا. بجدية الشجرة/ قد تكون الساعة هي السابعة صباحًا/ ينضج اليوم تمامًا ويأخذ أحيانًا طعم تفاحة متعفنة/ يهرع الناس على شتى مشاربهم للخروج/ من السلالم والبوابات، الفنادق والأفواه، هنا وهناك (...)/ نحن نحسد أولئك الذين خاضوا الحرب/ بجزمات عالية ذات قياطين(...)/ في ذلك العالم/ تم نقل الخوف من المدينة/ على عربات يدوية/ وتم جرف الرصاص(...)/ لقد حيوا ميلادنا بتكريم الموتى/ لكن الذاكرة المخرومة بالرصاص، نحملها نحن" من ديوان (قصائد، 1967).

في العام 1963 دخلت إيفا ليبسكا أكاديمية الفنون الجميلة في كراكوف، لكنها بعد تخرجها تركت الرسم لإيمانها بسحر الكلمة.

إن تنظيف ما تركه الآخرون مرغمين عبء أخلاقي قبل كونه فعلًا عضليًا، أشارت إليه الشاعرة فيسوافا شيمبورسكا بقولها: "كان علينا تنظيف الشوارع". وكان بعض النقاد المرموقين (تادؤوش نيتشك، على سبيل المثال) لفتوا النظر منذ دواوين إيفا ليبسكا الأولى إلى موضوع الحرب والسلام في شعرها وكذلك إلى الحس الشعري الكارثي وإلى حضور هاجس الموت لديها. (انظر: المنزل المحترق، عن شعر إيفا ليبسكا، مجلة إبداع، 1974، العدد 9).

في العام 1963 دخلت الشاعرة أكاديمية الفنون الجميلة في كراكوف. وبعد تخرجها تركت الرسم لإيمانها بما للكلمة من سحر وتأثير يتجاوز الفرشاة واللوحة. بدأت ممارسة الشعر وهي في المدرسة، ولهذا فليس غريباً أن تنشر أولى قصائدها في "جريدة كراكوف" سنة 1961. إلّا أن حضورها الشعري بدأ في سنة 1964 حيث شرعت بالنشر الفعلي في صحف ومجلات مثل "الحياة الأدبية" (كراكوف)، و"اليومية البولندية"، وبفضل نشرها وصدور ديوانها الشعري الأول "قصائد" (1967)، تحصلت على عضوية اتحاد الأدباء البولنديين سنة 1968، ثم أصبحت عضوة في نادي القلم البولندي سنة 1978، وبعد حل اتحاد الأدباء سنة 1983 وانقسامه فيما بعد إلى اتحادين مختلفي التوجهات فكريًا إلى حد ما، أصبحت عضوة مؤسسة لجمعية الكتّاب البولنديين التي نشأت عام 1989 في أعقاب سقوط النظام السابق، وفي سنة 2009 أصبحت عضوة فاعلة في أكاديمية المعرفة البولندية.

من بين عادات الشعراء والكتّاب أن يشتغلوا- بعد توفر الفرص- في الصحف والمجلات الأدبية ودور النشر، ولم تكن الشاعرة إيفا ليبسكا استثناء، إذ عملت في الفترة من العام 1970 حتى 1980 محررة لقسم الشعر في إحدى أهم دور النشر البولندية وهي "الدار الأدبية" في كراكوف. أثناء تلك الفترة حصلت على منحة من جامعة إيوا فالتحقت ببرنامج الكتابة الإبداعية (1975 - 1976)، ونالت منحة أيضًا في برلين الغربية (1983). كانت عضوة في هيئة تحرير مجلة "الكتابة" (كراكوف). بيد أن عملها بالسفارة البولندية في فيينا (1991 - 1997) شكّل نقلة نوعية في حياتها الشخصية والأدبية. لقد عملت مديرة للمعهد البولندي هناك (1995 - 1997). وبعد عودتها إلى كراكوف أدارت ورشة شعرية في جامعة ياغيلونسكي لفترة، في الوقت ذاته واصلت تركيزها على مشروعها الشعري من خلال نشر كتبها الشعرية بشكل يكاد يكون منتظمًا: كل سنتين أو ثلاث تصدر مجموعة شعرية. حافظت الشاعرة على هذه الوتيرة في النشر وعلى المستوى الشعري في الوقت نفسه، مع تنويع في المواضيع.

القصيدة تتكلم

في البداية لم تعر الشاعرة إيفا ليبسكا أهمية إلى العناوين قدر اهتمامها بموضوع القصيدة وبنيتها ومجازها والحفاظ على بنائها وتناسقها ونهايتها اللافتة للنظر. دعنا نستعرض عناوين كتبها الشعرية الأولى لنرى من خلالها أنها لم تفعل ذلك دون وعي، وكأنها أرادت من القصيدة أن تكون مرجعًا قائمًا بذاته، مع انفتاحها على كل احتمال، والإيحاء بقراءتها بعيدًا عن أبوة عنوان

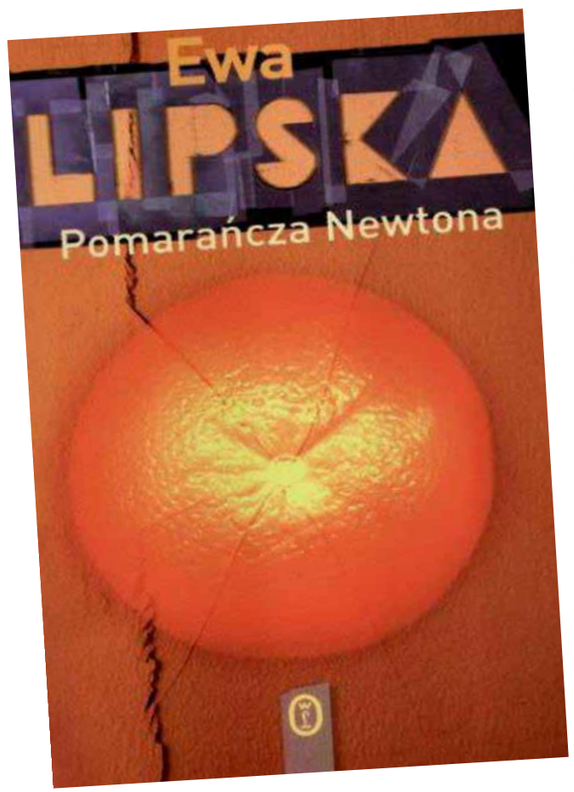

الكتاب الرئيس الذي من شأنه تحجيم مكانة ما في داخله بما يتضمنه من إيحاءات ناجمة عن تصدره المشهد البصري التأويلي قبل التوقف عند كل نص من محتوياته على انفراد. هل القصيدة جغرافيا قائمة بذاتها؟ تشي عناوين المجموعات الشعرية الأولى للشاعرة بأنها عبرت عن مرحلة مرنة ومنفتحة في مسيرتها، جاءت غير متكلفة، قد توحي للبعض بعجز الشاعرة عن وضع عناوين تجذب القارئ، لكنها لم تكترث للعناوين (الاستهلاكية) قدر اهتمامها وتركيزها على ما هو شعري ومعنوي في أعمالها. من اللافت للنظر أن وضع العناوين يعد من بين أصعب الأمور التي يعاني منها كل شاعر، حتى أن كثيرًا من شعراء أوروبا لم يضعوا عناوين لقصائدهم مكتفين بوضع نقاط.

صدرت المجموعة الأولى للشاعرة تحت عنوان

المرحلة النمساوية

أدرج النقد الأدبي البولندي اسم الشاعرة إيفا ليبسكا ضمن جماعة "الموجة الجديدة" (جيل 68)، على الرغم من أنها لم تعترف بهذا الانتماء علنًا ولم تساهم في بيانات الجماعة، واكتفت بتطوير نفسها شعريًا. وربما كان سفرها وإقامتها لبعض الوقت في الخارج، خاصة عملها بالسفارة البولندية في فيينا من العام 1991 حتى 1997، سببًا في بُعدها عن الفعل الثقافي الاجتماعي اليومي والاحتكاك المباشر بالشعراء في بولندا.

شكّلت "المرحلة النمساوية" نقلة نوعية في حياتها الشخصية والأدبية. فقد عملت مديرة للمعهد البولندي في فيينا من العام 1995 حتى 1997. وبعد عودتها إلى كراكوف أدارت ورشة شعرية في جامعة ياغيلونسكي، وواصلت تركيزها على مشروعها الشعري، فكانت كل سنتين أو ثلاث تصدر مجموعة شعرية.

"قصائد" (1967) هكذا ببساطة، والثانية بعنوان "المجموعة الشعرية الثانية" (1970)، والثالثة "المجموعة الشعرية الثالثة" (1972)، والرابعة "المجموعة الشعرية الرابعة" (1974)، تلتها "المجموعة الشعرية الخامسة" (1978). وهذه العناوين بقدر ما تشكل فواصل بين المجموعات، إلّا أنها "مصيدة" للقارئ والناقد على حد سواء، لكنها في النهاية توفر قسطًا من الاستقلالية لكل قصيدة بعدم خضوعها للعنوان العام. إنها نوع من الحرية والمرونة المتوفرتين بفضل مرونة العنوان أو تعويمه!

يبقى الواقع وأحداثه وتناقضات الحياة التي تبدو رتيبة ومجانية أحيانًا، و"ذاكرة الآن السائلة" ووضع الفرد في واقع هشّ، ومواضيع كالحرية، التشرد، الخوف، الوحدة، الحلم، الطفولة والبيت، تشكل الخيط العام الناظم لتلك القصائد على الصعيدين الفني والمعنوي وكذلك الجانب الفكري. ثمة نقد مشوب بالسخرية وغير مباشر لمجريات الأحداث الاجتماعية السياسية، أصبح أكثر ملموسية في دواوين الشاعرة اللاحقة، بدءًا من السادس "الموت الحي" (1979) الذي بقي حاضرًا في شعرها ولو بأشكال وأقنعة مختلفة، تعززت تلك الأفكار بفكرة الموت التي عاشتها الشاعرة بنفسها سريريًا ثم شعورها بالعجز إزاء إمكانية أن يتحول جبروت الكائن البشري في غمضة عين إلى حطام. لم تعش الشاعرة الحرب ومآسيها، لكنها عاشت تجربة شخصية جعلت الموت قاب قوسين أو أدنى. من خلال متابعتنا لنتاج الشاعرة بهذا القدر أو ذاك، لاحظنا حضور الموت بأشكال مختلفة، تقول في قصيدتها "تعّلم الموت":

"تعلّم الموتَ/ عن ظهر قلب/ طبقًا لقواعد كتابة العبارات الميتة/ اكتبه معًا/ كبولندا أو خطم الأسد/ لا تقسمه بين الموتى/ أنت مصطفى من قبل الآلهة/ تعلم الموتَ مبكرًا".

إنه الموت الذي لا مفر منه كتجربة فردية وجودية تنوس بين العدم المطبق وكسر حاجز الحياة للولوج نحو الجهة الأخرى المفصلة على مقاس فكرة "الانبعاث".

على أي حال، ستبقى كلمات الكاتب الروائي ستانيسواف لَم، حاضرة وذات مغزى، إذ يقول: إن "اختيار الكلمات التي تستخدمها في الكتابة غير طبيعي. هي لا تحدثنا بشعرية مختلفة. غالبًا ما يظهر لديها ترابط بين حالة أن يموت شخص أو شيء ما وبين أن يستمر الأمر وكأن شيئًا لم يكن. إنها فريدة من نوعها" (برنامج: أسرار ووقائع، مع ستانيسواف لم، الراديو البولندي، 2005).

صدمة الخاتمة

عند قراءة قصائد الشاعرة يتشكل انطباع بأنها تفكّك الجملة والأفكار من خلال استعارات بلاغية محورها خلق جو من التناقض والمفاجأة المتمثلة بصدمة الخاتمة على وجه الخصوص. لا تساعدك الشاعرة من خلال سياق وتنامي النص الشعري وتدفقه في توقع النهاية. صدرت مجموعتها الشعرية "السابعة" بعنوان "بيت الشباب الهادئ" (1979) وهي تورية أو إيحاء مشاكس لعبارة "بيت الشيخوخة الهادئة" المعروف في بولندا كدار للعجزة، فهل جيل الشباب في حالة تيه وعجز مفروضة، مقابل عجز طبيعي يواجه المسنين؟ هذا التناقض واللعب المقصود بالصور والألفاظ حاضر بقوة في مجمل نتاج الشاعرة. لنقرأ قصيدتها "سوء فهم":

"عندما ظهر في مخازن السلاح/ الكرنب والقرنبيط/ تصور الجميع/ أن السلام عمّ العالم/ لكن تبين/ أن المقصود/ هو تغيير العتاد" (المجموعة الشعرية الرابعة، 1974).

في العام 1982 صدر لها "الأمر لا يتعلق بالموت بل بخيط التطريز الأبيض" (وهو عبارة عن مسرحية مكثفة من ثلاثة مشاهد. ومن خلال شخصياتها يمكن أن نستشف الجو العام لها دون الخوض في مزيد من التفاصيل. شخصياتها هي: الأستاذ تمبوس (وهو تحريف لكلمة تنْبي وتعني الملل)، وإيدم يمكن أن يكون تلميذ الأستاذ، والعقيد، ورئيس الوزراء، ودريم يمكن أن يكون الشاعر، أو الإرهابي، وهما شخصان غير معروفين، شرطي، ومجموعة أطفال. الطريف في الأمر أن الشاعر هو من ينهي الحدث والمسرحية كلها بقوله الحافل بالسخرية والعبثية:

"انتظروا! جرس الهاتف يدق! أسمع الهاتف بوضوح... ربما هذه خطيبتي؟ ربما أوروبا العجوز؟ (مستسلمًا) وربما هو المطر فحسب؟ تقوم مجموعة من الشرطة بإزاحته من خشبة المسرح. يعم الظلام".

في العام 1985 صدرت مجموعتها الثامنة

35

مجموعة شعرية صدرت للشاعرة إيفا ليبسكا، لا تتجاوز عدد صفحات كل واحدة منها المئة صفحة، وفي الغالب هي في حدود 60 إلى 80 صفحة.

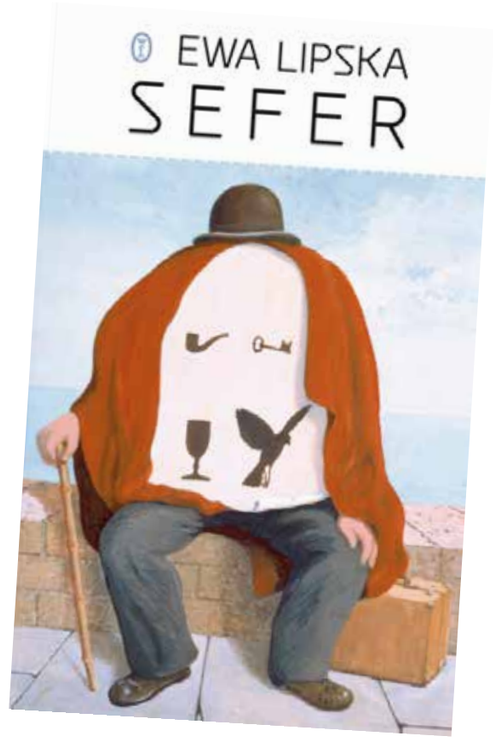

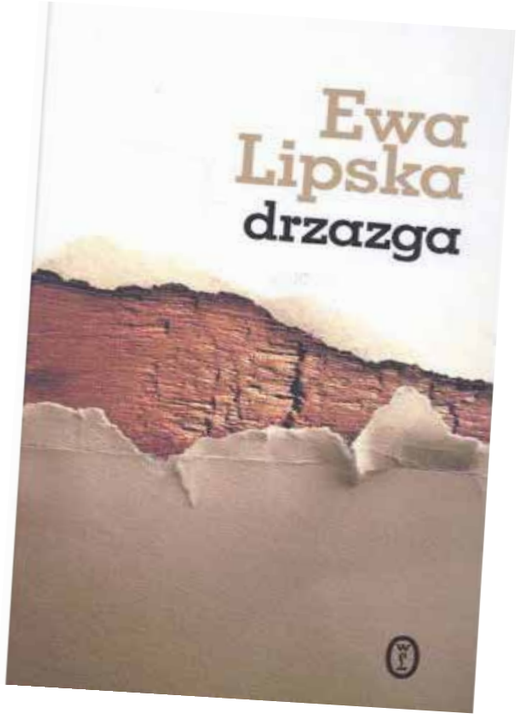

"مخزن الظلام". لو لاحظنا عناوين مجموعاتها الشعرية اللاحقة، بعد الخمس الأولى، لاتضح لنا أن الشاعرة اختارتها بعناية، لتعبر عن الأجواء العامة التي استحوذت عليها: الموت، الخوف، هشاشة الحياة والواقع، الظلام، الرحيل، التوقف، الحياة المضافة أو الممنوحة، الحب المجزوء أو الطارئ، ومواضيع تناولتها سابقًا، لكنها تظهر بشكل مختلف نوعًا ما.

هل الشاعر يواصل نسج ثوبه الشعري بناء على قصائده الأولى أو مجموعة من القصائد التي لا تتجاوز عدد أصابع اليدين، كما قال الشاعر الألماني غوتفريد بِن "عادة ما يكتب الشاعر سبع أو ثماني قصائد هي ذروة إبداعه لينسج على منوالها البقية". قادني إلى هكذا فكرة بخصوص شعرية إيفا ليبسكا إشارة أكثر من ناقد إلى أن التكرار بأشكال مختلفة هو "إحدى أهم صفات شعر إيفا ليبسكا"، حتى أن قسمًا من هؤلاء النقاد "يستخرجون من هذا الشعر قاعدته التركيبية الأساسية: التكرار. وهكذا يشيرون إلى الاتساق الاستثنائي لمؤلفة ديوان "منطقة التوقف المحدود" في خلق العالم الشعري. بعبارة أخرى، إيفا ليبسكا منذ لحظة إصدار مجموعتها الشعرية الأولى "قصائد" إلى آخر كتاب منشور لها "في مكان آخر" (2005)، تعود بإصرار، دون الكثير من المخاطرة، حتى يمكن القول، بهوس إلى بواعث ومواضيع معينة. في الواقع، تكرارها ظاهري، إذ إنها في الحقيقة، دائمًا ما تعدل، تكمل، وتستنفد موضوعها من جانب مختلف وغير معروف في حينها. لذلك يمكن أن تظهر مؤلفة "رنين" بمثابة نوع من الملحنين ذوي الخبرة ممن يستخدمون نفس المادة ويمكنهم إخضاعها إلى مثل هذه التعديلات، بحيث يتكون لدى القارئ انطباع دائم بالتعامل مع شيء جديد، غير معروف ورائع في كثير من الأحيان" (انظر، غجيغوز أولشانسكي، الموت المستأنس، تخطيطات عن الخيال الشعري لإيفا ليبسكا، دار نشر جامعة شلونسك، كاتوفيتسه 2006).

مارست الشاعرة عرفًا لدى الشعراء يقوم على نشر مختارات شعرية أو أكثر، وكان لها ذلك في 1986 بإصدارها ""أعمال مختارة". بعدها بأربع سنوات صدرت مجموعتها التالية "منطقة التوقف المحدود" (1990)، ثم "عطلة

مبغض البشر" (1993)، و"المبعوثون للوقت" (1994)، "للناس المبتدئين" (1997)، و"ساعات خارج الساعات" (1998)، و"الحياة البديلة" (1998) وهي مزدوجة اللغة بولندية -ألمانية، ومجموعة شعرية صدرت بعنوان فريد هو "1999" (1999)، و"أنا" (2003)، وقارئ بصمات الأصابع" (2015)، و"ذاكرة عملية" (2017)، و"الحب في حالة الطوارئ" (2019)، وصدر لها في هذه السنة آخر مجموعة شعرية نثرية بعنوان "تنويعات غيلدبيرغ" (2023). عموماً صدر للشاعرة أكثر من خمس وثلاثين مجموعة شعرية. لا تتجاوز عدد صفحات كل واحدة من مجموعاتها الشعرية المئة صفحة، وفي الغالب هي في حدود 60 إلى 80 صفحة. ومن الملاحظ أن باعث الرحيل أصبح أكثر وضوحًا منذ التسعينات في شعرها، وإلّا فكيف يمكن لإقاماتها في أوروبا وأميركا وتنقلها هنا وهناك أن تبقى دون أثر ملموس في شعرها، إذ إن موضوعة الرحيل واحدة من بين أهم المواضيع الحاضرة في الشعر الحديث والمعاصر. ففي قصيدتها "أنتظر انطلاق القطار"، تقول الشاعرة: "بيتي موجود في كل مكان الآن".

نلاحظ من خلال ما مر بنا أن الشاعرة أخذت توظف عناوين مثيرة وهي عبارة عن مزيج من التناقضات والمجازات، كما لو أنها مستمدة من "عالم يجمع بين الواقع ونقيضه" أو أنها "إشارات" في غابة أو على الطرق، تقول: "من هنا" ومن غير المعلوم إلى أين؟! ترى الناقدة الأكاديمية أنّا لَغجينسكا التي تناولت بعض دواوين الشاعرة وتجربتها وتوقفت عندها في دراستها الموسومة بـ"البيت وشعرية التشرد في الشعر المعاصر" (وارسو، 1996)، وفي تعريفها بالشاعرة في "الشعر البولندي المعاصر" في "الدليل الموسوعي" رابط على الانترنت) كتبت: "أعمالها التي تعود إلى سنوات السبعينات والثمانينات تعكس أجواء البلد". وقد لاحظت الناقدة بصواب أن الشاعرة، وبعد تغيير النظام السياسي الاشتراكي إلى الرأسمالي، أخذت تتناول "التغيرات التي تحدث في البلد، وهي موضوعات جديدة، حيث تتأمل في الآثار المترتبة على استهلاكية وعولمة الثقافة، وهي تحلل التحولات الاجتماعية وعمليات تفكيك الهوية ونسبية القيم".

كُتب عن الشاعرة كثير من النقد والدراسات، وترجمت أعمال لها إلى لغات عديدة، من بينها العربية، ونالت كثيراً من الجوائز الأدبية، كانت آخرها جائزة سيلسيوس الشعرية لمدينة كاتوفيتسه (2019) على كافة أعمالها، وجائزة مدينة وارسو الأدبية (2020) على ديوانها "الحب في حالة الطوارئ".

يبدو لنا أن الشاعرة إيفا ليبسكا، منذ مطلع التسعينات وإلى يومنا هذا، وجدت في التحولات السياسية والاجتماعية الجديدة مادة للمراقبة بله المقارنة بين الماضي القريب والواقع المستجد، والتأمل في تحولات عصرها ومستجداته على نطاق أوسع ليس في أوروبا فحسب بله في العالم أجمع. لقد منحتها التحولات فرصة لمراجعة الذات والقيم والعلاقات الاجتماعية المتغيرة في بلدها، وحتى المقارنة بين قيم الغرب والشرق. وهي تمتلك تجربة العيش في ظل نظامين سياسيين

الواقع الهشّ، الموت، الحرية، التشرد، الخوف، الوحدة، الحلم، الطفولة والبيت، تشكل الخيط الناظم لقصائد إيفا ليبسكا فنيًا ومعنويًا وفكريًا.

الناقدة الأكاديمية البولنديّة

أنّا لغجينسكا:

بعد تحوّل النظام السياسي في بولندا إلى الرأسمالية، أخذت الشاعرة إيفا ليبسكا تتناول "التغيرات التي تحدث في البلد، وهي موضوعات جديدة، حيث تتأمل في الآثار المترتبة على استهلاكية وعولمة الثقافة، وهي تحلل التحولات الاجتماعية وعمليات تفكيك الهوية ونسبية القيم".

متناقضين، لكن النظام الجديد خلق واقعًا استهلاكيًا ذا نفس قصير، غير معتاد من قبل، امتد إلى فضاء الثقافة وهدوء المجتمع النسبي وبساطة الحياة. لقد دفع الواقع الجديد منذ مطلع التسعينات، الشاعرة إلى وقفة تأملية جديدة. ولهذا فليس غريباً أن يركز عدد من النقاد على فكرة أن "الباعث الأساس في أعمال الشاعرة هو مفارقات الحرية المهددة على التوالي (بحسب رأي الشاعرة)، من قبل التقنين، وقوى خارجة عن إرادة الفرد، متمثلة بالأيديولوجيا، المرض والسوق" (أنّا لَغجينسكا، البيت وشعرية التشرد في الشعر المعاصر، وارسو، 1996).

تنتقد الشاعرة وتشكو، وهي ليست الوحيدة، من "تسفيه ثقافة ما بعد الحداثة" و"غزو الثقافة الشعبية"، و"أزمة الوعي". وغالبًا تنتقد المؤسسات الدينية والكنيسة التي تتماهى في رأيها "مع حزب سياسي وليست بطائفة مسيحية أو دينية تستند على مبادئ أخلاقية ومعنوية. والسياسيون يستغلونها بمهارة" (أنت تتحدث مع ربك وأنا مع الكون: حوار مع الشاعرة أجراها القس أنجي دراغوا، مجلة "الرابطة" سبتمبر/ أيلول 2020). تقول الشاعرة في نفس الحوار: "إلهي هو إله الطفولة. لقد تناسب مع الحكايات الخيالية التي قرئت لي، وكان رمزًا للخير، حكيمًا، وشبيهًا بأبطال ألف ليلة وليلة".

عالم ملتبس، منافق، حافل بالأوهام والمظاهر، تواجهه الشاعرة بجرأة، تفككه وتعيد ترتيب أوراقه بناء على هارمونية الخير والمشاعر الإنسانية. تواجهه من خلال إدخال عناصر "السخرية" و"المفارقة" و"المجازات" و"تفجير العبارة" و"تعرية الزيف"، وكأنها تبتغي خلق مسافة بين الحلم الإنساني النبيل وبين "تفاهة الأشياء" و"شراسة الواقع". فضاء تسلط الشاعرة عدستها نحوه، رغم أن اليقظة لا تتأخر في فضحه: يقظة الواقع والضمير والحس الشعري. ومع كل هذا وذاك تبقى الحياة ركضة- في رأي الشاعرة- تنتهي في ساحة المقبرة.

قصائد تنشر للمرة الأولى بالعربية من ديوان إيفا ليبسكا "تنويعات غيلدبيرغ" 2023

غيلدبيرغ 1

غيلدبيرغ يعرف أنه إذا خرجت بعض عربات
حياته عن مسارها،
هذا لا يعني أن القطار بأكمله خرج عن
مساره. مثل هذه الصرعات القدرية
تحدث على الطريق من هناك إلى الآن
ومن الآن إلى هناك. النظرية النسبية
تثبت أنه عندما نقف في المحطة، تغادر
حياتنا على أي حال.

غيلدبيرغ 2

يتساءل غيلدبيرغ، أي بلد يرغب أن يعيش
فيه.
استعان بتلسكوب ويب وحدق في
الفضاء.
من الأفضل ألّا ينتمي البلد للشرق ولا
للغرب،
لا للجنوب ولا الشمال. عليه أن يعلق في
الهواء ويتأرجح.
ومع ذلك فمن المهم ألّا يهزنا كثيرًا ولا
يتصرف كأرجوحة كاملة.
تظهر الأبحاث العلمية الأخيرة أنه حتى
التأرجح الطفيف
يؤثر على نمو الدماغ. يحلم غيلدبيرغ في أن
تتأرجح الأمة كلها،
وليس فقط اثنان على الأرجوحة.

غيلدبيرغ 3

يعتقد غيلدبيرغ بأن التفكير حارس غبي مع
فائض من العقل،
تمثال يقف على دعامة، حجر رصين،
طاغية لا يرحم.
على الجانب الآخر ثمة الحدس، مطار عدم
اليقين، تهبط فيه

هواجس سيئة. حاسة القدر السادسة.
غيلدبيرغ يعلم أن كلا الجانبين
متباعدان لكنهما قريبان دائمًا.

غيلدبيرغ 23

هناك بلد محنط على المكتب. كان حيًّا ذات
يوم، جاهد، صرخ،
نبح، خطب وحذر. والآن هو تاريخ محنط.
جثث من الحقائق
ملصوقة بالصمغ. غيلدبيرغ ينفض الغبار
عنه من وقت لآخر.
بعدها يجلس على مقعد ذي ذراعين وينظر
من النافذة. توجد حديقة
خلف النافذة تنمو فيها مومياوات وجوائز
أخرى للسلطة.
الحراس يدبغون العشب. وفوقهم تتساقط
بورصات المجرات
معلنة حلول عالم جديد.

غيلدبيرغ 24

إذا كانت للكلمات قلوب، فإن غيلدبيرغ
سيستمع إلى نبض معانيها.

***

قصائد من "قارئ بصمات الأصابع" 2015

يوم الأحياء

في يوم الأحياء
يأتي الموتى إلى قبورهم
يوقدون المصابيح
ويشتلون أقحوانات الأنتينات
على سطوح المقابر المتعددة الطوابق
ذات التدفئة المركزية
بعدها يهبطون بالمصاعد
إلى عملهم اليومي:
إلى الموت.

محاولة

عندما حاولنا التحدث مع بعضنا البعض
تبين
أن لغتينا مختلفتان
عندما شرعنا بالكلام
بلغة مشتركة
أخذوا منا اللسان.
عندما هبطنا من التلال
جمعتنا وحدها
ظلال الموتى.

رسالة

إذا متّ اكتبْ لي رسالة
رسالةً طويلة كعالم غير ملحوظ.
اكتبْ كيف تموت فِي الحياة. كيف الشعراءُ
مرّتْ دواوينهم في ذلك الصيف.
كيف تكشف المناظرَ عبر النافذة.
هل تُزرّر في الريح معطفك.
وهل الأنهارُ ما زالت تتبلل في المطر
أو على العكس تجري يابسة.
وهل ما زلت تستغرب من أن شاعراً ما
يكتب تمامًا كشاعر آخر.
وأن السيد ذا القميص الأحمر يحبّ التحدث
معك.
وأن اثنين زائد اثنين يساوي اثنين أيضاً.
اكتبْ كيف تسيرُ الآن:
بحذر؟ أكثر حزنًا؟ أو في شفقة؟
اكتبْ كيف تموت في الحياة.
أنا بانتظار رسالتك. أنت تعرف ذلك.
وإذا عرفت
سأجيب وأرسل لك الجواب عبر الحلم.
أو سآتي. نعم أود جداً.
لكن لا أعرف كيف سيكون الطقس.

قارئ بصمات الأصابع

نضع إصبعًا
على قارئ البصمات
ونبدأ بممارسة الحبّ.
ملفات جسدينا الافتراضية
في الألبومات
المدونات
في مفكرات معارفنا.
أحداث جديدة. رغبات جديدة.
تحبنا الكوكاكولا

رولاندو والبابا.
إذًا، نحن في الاتصالات
والإخطارات.
سريرنا في محور الوقت.
الْمسْني، وتمسكْ بي.
نحن نقبّل بعضنا
بمليارات الأفواه.

***

قصيدة من "الحب في حالة طارئة" 2019

حالة طارئة

هناك
حيث جرى الاستعداد للتحليق
سريرنا
هو الآن مطار.
لم يعد أحد يتذكر
أن حياة كانت ها هنا
وقد أقلعتْ
في حالة طارئة.

• (ترجمة: هاتف جنابي)

متخصص بحوار الثقافات

الدكتور هاتف جنابي شاعر وكاتب ومترجم وباحث متخصص بالحوار بين الثقافات، يعمل أستاذاً في قسم الدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو، منذ ثمانينات القرن الماضي. عضو في اتحاد الأدباء العراقيين، ونادي القلم البولندي، وجمعية المستشرقين البولنديين وعضو جائزة هوميروس الدولية للشعر.

نشرت أشعاره وأبحاثه وترجماته في عدد من أبرز المجلات والصحف العربية والبولندية والأميركية. كما ورد ذكره في أكثر من 20 موسوعة عالمية فكرية وشعرية، خصوصاً باللغتين الإنجليزية والبولندية. وكتبت أكثر من 30 دراسة عن الشاعر باللغات العربية والبولندية والإنجليزية والتشيكية والفرنسية.

صدر له أكثر من 15 مجموعة شعرية، وثمانية كتب مترجمة. كما تُرجم جزء من شعره إلى لغات عدة، وشارك في مؤتمرات ومهرجات عربية ودولية عدة. وترجم نحو 50 مؤلفاً بولندياً في الشعر والقصة والنقد والفكر، فضلاً عن ترجماته من اللغة العربية إلى البولندية.

حاز جوائز أدبية وتقديرية عديدة ذات طابع دولي، على أشعاره وترجماته، من بينها الجائزة الأولى للشعر العربي لسنة 1995 التي تمنحها جامعة أركنساس الأميركية، وجائزة أفضل ديوان شعري عن ديوانه "القارات المتوحشة" في مهرجان الشعر العالمي، بوزنان في بولندا في 1991. كما نال جائزة الشعر للعام 1997 التي تمنحها مجلة "ميتافورا" الفصلية البولندية، وجائزة جمعية الكتاب والنقاد والفنانين البولنديين في مجال الترجمة للعام 2003، وجائزة "فيتولد هوليفيتش" البولندية للعام 2003، على أعماله الأدبية، وجائزة "يوم الشعر العالمي" بالتعاون مع اليونسكو، للعام 2005 على أعماله الإبداعية، وجائزة الإبداع لسنة 2011 الصادرة عن مؤسسة المثقف العربي في سيدني، استراليا.

كليف أوبنهايمر.. الحلقات البركانية

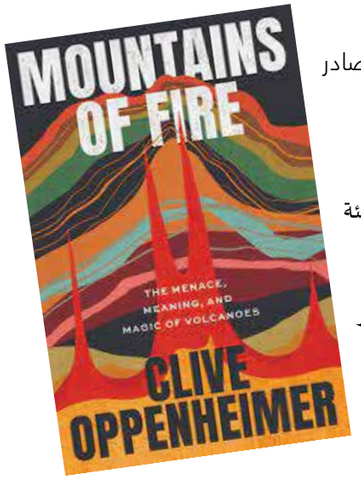

حوار: مايكل زيميرمان

يستكشف عالم البراكين مايكل أوبنهايمر البراكين في كتاب "جبال النار" الصادر حديثاً عن منشورات جامعة شيكاغو.

• قمت برصد تاريخ البراكين إلى جانب الأبحاث الحالية. لماذا ركزت على التاريخ؟

- لقد وجدت أنه من التواضع قراءة أعمال من سبقوني من رواد هذا المجال، والذي يعود تاريخه إلى آواخر القرن الثامن عشر. لقد سألوا نفس الأسئلة التي تملأ مقترحاتنا البحثية اليوم، وحتى أنهم توقعوا أن التقدم التكنولوجي قد يحل الألغاز. بالطبع، فإننا نمتلك المزيد من المعرفة الآن، لكني لا أعتقد أنه من المبالغة الاعتراف بمدى ذكاء المستكشفين الأوائل، ورؤيتهم، وشجاعتهم الصريحة.

• وصفت احتجازك من قبل الجنود في إريتريا والهجوم عليك من قبل متمردين في إثيوبيا أثناء إجرائك الأبحاث. هل تقلق أكثر بشأن المخاطر التي يشكلها البشر أم الطبيعة؟

- أنا قلق أكثر بشأن مخاطر المواصلات. على سبيل المثال، لقد رأيت العديد من الحوادث على الطرق في إثيوبيا. تعتبر بعض الأماكن مثل القطب الجنوبي أو الصحراء الكبرى مناطق محظورة، حيث يكون لديك شبكة أمان ضعيفة للغاية إذا حدث خطأ ما.

• هل يمكنك توضيح حجتك بأن علم البراكين يحتوي على دروس في علم المناخ؟

- نحن نتعلم من علم البراكين حجم وشدة الانفجارات التي لم نلاحظها في العصر الحديث، والتي تخبرنا عن الحلقات البركانية النادرة ولكن عالية الشدة التي يمكننا توقعها في المستقبل. كانت بعض الانفجارات البركانية التي حدثت في عصور ما قبل التاريخ كبيرة جداً وكارثية على مناخ المناطق المحيطة، مما جعل تكرارها من بين التهديدات الوجودية التي تواجهها البشرية. لقد تعلمنا أيضاً أن تأثير الانفجارات المستقبلية سوف يؤثر في الحالة المتغيرة للغلاف الجوي والمناخ، وهي القضايا التي ينبغي إدراجها في تقييمات الهيئة الدولية المعنية بتغير المناخ.

• هل أصبح التخفيف من مخاطر الانفجارات البركانية أكثر صعوبة؟

- في العديد من الدول، مثل الولايات المتحدة، التي لديها الكثير من البراكين، هناك وكالات ومراصد مراقبة على مدار الساعة. غالباً ما يكون العاملون منخرطين بعمق في المجتمعات التي يعملون بها وهذا لا يقل أهمية عن العلم. عندما تكون لدينا معرفة بالمخاطر، فإن ذلك يتطلب أن ننقل هذه المعرفة بفعالية كافية ليكون لها تأثير إيجابي على الاستعداد للمستقبل. وهذا يعني أنه يجب علينا أن نحاول إيصال أصواتنا وعدم الاستسلام.

• مع وجود ما يقرب من مليار شخص يعيشون حالياً على بعد 50 ميلاً من بركان نشط، إلى أي مدى يجب أن نشعر بالقلق؟

- لا أعتقد أن القلق هو الكلمة الصحيحة، بل الاستعداد. وينبغي لنا أن نكون مستعدين للتهديد الذي تشكله البراكين، وهو ما يعني مرة أخرى تعزيز المعرفة العلمية ونشرها للناس والسلطات.

Publishers Weekly – 10 July 2023

حنان الفياض ترصد القيود الاجتماعية في «أرض الحكائين»

عمّان - "الناشر الأسبوعي"

ترصد الروائية الدكتورة حنان الفياض في روايتها الجديدة "أرض الحكائين" القيود المفروضة على البشر.

وتتناول في روايتها الصادرة حديثاً عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في عمّان وبيروت إشكاليات عديدة من الواقع الاجتماعي العربي مثل الطبقية وظواهر متوارثة وقيود الحياة الاجتماعية المتعددة كالخوف من كلام الناس، والخوف من الحسد. ويطرح العمل هذه القضايا من خلال تصور الحياة بعد سبعين عاماً من اليوم لمجموعة من العرب الفارين من فتنة كبرى تحيط بهم، يستوطنون على إثرها جزيرة متطرفة في جنوب آسيا، ويقيمون عليها دولتهم، ثم تتطور هذه الأرض في العلوم والعمران والتكنولوجيا بينما يظل أهلها سجناء الإرث الذي يقيد علاقاتهم الإنسانية.

كما يحاول هذا العمل الروائي سبر أغوار شخصيات متنوعة، من المرأة الحالمة والمرأة الشرسة والمرأة الساذجة والمكابرة، وتعبر كل امرأة من هؤلاء عن رؤيتها في العلاقة مع الرجل من خلال سرد قصصي يحكي قصصاً متنوعة لكل حالة منهن. وكل ذلك يأتي ضمن الإطار العام للرواية التي تركز على مدى تأثير القيود الاجتماعية على حياة المرأة خاصة فيما يتعلق بالحب.

وعلى سبيل التجريب وظفت الكاتبة حنان الفياض حضور الجنين بوصفه بطلاً يحاكي الأم ويستنطقها ويبني على مجريات أحداث عالمه في عهد الأجنة عالمه الجديد حينما يكبر.

سيرة

الدكتورة حنان الفياض، روائية وشاعرة من قطر. رئيسة قسم اللغة العربية في جامعة قطر، أستاذة الأدب العربي فيها، والمستشارة الإعلامية لجائزة الشيخ حمد للترجمة والتفاهم الدولي. حصلت على درجة البكالوريوس في الآداب والتربية في تخصص اللغة العربية من جامعة قطر، وحصلت على درجة الماجستير تخصص النحو والصرف ثم درجة الدكتوراه في التخصص نفسه من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة.

عملت معلمة في عدد من مدارس قطر لمدة خمس سنوات ثم عملت في قسم المناهج بوزارة التربية والتعليم. كما عملت في الإعلام التلفزيوني.

شاركت في لجان تحكيم الأعمال المقدمة لنيل جائزة الدولة لأدب الطفل.

صدرت لها رواية بعنوان "لا كرامة في الحب"، ورواية "أرض الحكائين" هي عملها الثاني.

الإيحاء الشعريّ

بقلم: الدكتور صلاح بوسريف

يفرض علينا الحديث عن الإيحاء الشِّعريّ، الحديث عن الصُّوَر في الشِّعر، أو الخيال بوصفه دالاًّ بانيًا للعمل الشِّعريّ إلى جانب دالّ الإيقاع، ما سمَّيْناه في كتاب «حداثة الكتابة في الشعر العربي المعاصر»، بالدّالّيْن الكُبريَيْن، تفادياً لِعَطَب الشِّعرية المعاصرة، في تأكيدها على الإيقاع، فقط، بوصفه «دالاًّ أكبر». الصُّورة في الشِّعر مُتحَدّرة من اللغة، من الطريقة التي اختار الشِّعْر أن يتميَّز بها عن غيره من أشكال الكتابة والتعبير، رغم أنَّ عدداً من هذه الأشكال، بما فيها الرواية والقصة، التجأت إلى الشِّعْر في الإيحاء بالأفكار من خلال الصُّوَر والمجازات.

في الشِّعرية العربية القديمة، كان التشبيه، بين ما يَسْتَنِد عليه الشِّعر في التصوير: الدَّالّ [أ] مُقابل المدلول [أ]. الإبانة والتَّفسير، لا المُباعَنَة والتّحوير، ما سنجده لاحقاً عند شُعراء نَظَر إليهم النقد باعتبارهم خارجين عن المعيار، توخَّوا المُباعَدة لا التَّقريب، كما هجس بذلك «عمود الشِّعر»: الدَّالّ [أ] مُقابل الدَّالّ [ج]. طريق بالتواءاتٍ ومسافاتٍ، الوصول قد لا يكون بنفس ما يُتيحُه التشبيه أو المُقارَبَة، هنا نحن أمام التَّوتُّر والمُفارَقَة، أمام لغة تقول تَلْميحاً وتَلْويحاً، لا تُفْضِي بـ «المعنى»، بل تذهب إلى ما وراء عَتَبَة المعنى، أو إلى «معنى المعنى»، كما عند الجرجاني.

الشِّعر، إذن، هو طريقة تركيب اللغة، العلاقاتُ بين الـدَّوالّ والمداليل، بين الألفاظ فيما بينها، ما يَحْدُثُ فيها من تباعُد ومُفارَقَة [أ] لن يكون بالضرورة هو [ج]، لكنهما يتعالقان ويتجاوزان في علاقة من التوتُّر والتَّناثُر.

لم يعد التشبيه وحده ما تُبْتَنَى به الصُّوَر والأخيلة، الكناية والمجاز والاستعارة، هي أيضاً دخَلَت في بناء الجمل والصُّوَر لتصبح الجملة طاقةَ إيحاءٍ مشحونة بالتَّمثُّلات، وبما تُوحي به من مداليل، المَفْهَم ليس ما يتوخَّاه القارئ منها، لأنَّها، أساساً، لم تُبْنَ على شرط المَفْهَم والإفهام، بل بُنِيَت على شرط الإيحاء، ما يسمح بتعدُّد وتنوُّع القراءات، وما يُتيح للعمل الشِّعْرِيّ أن يبقى مفتوحاً على أكثر من قراءة، وأكثر من تأويل، لأنَّ ما كان في العمل الشِّعْرِيّ يُتيح الفهم، الْتَبَسَ بغيره من عناصر تخييلية وتصويرية أخرى، معها صار من الصَّعْب، الحَسْم فيما يقوله العمل، أو القطع بمعناه.

العمل الشِّعريّ، بخلاف «القصيدة»، ضاعَفَ من درجات تَوتُّره، ومن طاقته التعبيرية، والصُّوَر فيه بَدَتْ أكثر كثافةً، أو أكثر غموضاً، إذا ما نظرنا إلى الغموض باعتباره من ضرورات الفن والإبـداع، أو هو أحد الشُّروط التي تحمي الفن والإبداع من الابتذال والتعميم.

يمكن الاقتناع مع فكتور هوغو أنَّ الكلمة هي «كائن حـيّ»، وأنها «هي الكينونة»، لكن شريطة أن نعتبر الحياة والكينونة لا يتمَّان إلاّ بوجود الكلمة في سياقٍ ما، داخل بناء تعبيريّ يُتيح للكلمة أن تدخل في ماء النص، أن تتلوَّن بزرقة الجملة نفسها، لأنَّ الإيحاء لا يكون بالكلمة، مهما كانت حيَّة، بل بالتركيب، أو ما سمَّاه الجرجاني بـ «النظم».

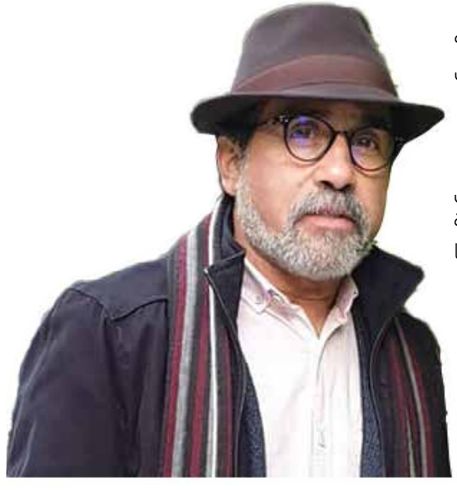

• شاعر وناقد من المغرب

أرملته ماريا أسونثيون ماتيو تصـــدر مذكراتها مع شاعر البحر والمنفى

رفائيل ألبرتي.. مزيج من القــوة النارية والحب اللطيف

بقلم: الدكتور عبد الهادي سعدون (مدريد)

سجّلت أرملة الشاعر الإسباني رفائيل ألبرتي، الكاتبة ماريا أسونثيون ماتيو، في كتاب مذكراتها الصادر حديثاً "حياتي مع ألبرتي.. لأجل شيء ما وصلت أيها الطير" تفاصيل من حياتها مع الشاعر قرابة عشرين عاماً. ومن المتوقع أن يجدد الكتاب إثارة "زوبعة" في الأوساط الثقافية الإسبانية، خصوصاً أن أرملة الشاعر أرادت من كتابها أن يكون رداً على أدباء وجّهوا لها تهمة "التلاعب" ببعض نتاج شاعر إسبانيا الكبير.

رفائيل ألبرتي، الشاعر الإسباني المعروف، واحد من أهم شعراء ما سمي بجيل الـ27 الشعري، إضافة إلى الشاعر فيديريكو غارسيا لوركا، والشاعر الحائز على جائزة نوبل للأدب عام 1977، بيثنته ألكساندره، من بين آخرين. ولد ألبرتي في قادش (بويرتو دي سانتا ماريا) عام 1902، وتوفي في المدينة نفسها عام 1999. ابتدأ حياته رساماً، ثم اتجه إلى كتابة الشعر، ونشر ديوانه الأول «بحار على الأرض» عام 1924، الذي يعد أهم كتبه الشعرية وأكثرها شهرة، إضافة إلى ديوان «حول الملائكة»، وديوانه «كنت أحمق، وعندما رأيتك أصبحت أحمقين»، و"عن فن الرسم".

أغلب أشعار رفائيل ألبرتي تتغنى بالبحر والحرية، وفيما بعد عن المنفى، إذ خرج من إسبانيا منفيّاً بعد الحرب الأهلية الإسبانية، ولم يعد حتى وفاة الدكتاتور فرانكو، حيث انتخب عضواً في الكونغرس الإسباني لدورة واحدة.

في كتاب له نشره قبل أعوام من وفاته هو «أغنيات إلى الطير»، يتغنى بالطير على سياق أناشيد المتصوفة العرب المسلمين، والشاعر يستخدم كلمة "الطير" العربية كتابة ومعنى وإيحاء. ومن هذا الديوان، اتخذت أرملة الشاعر، ماريا أسونثيون ماتيو، من السطر الشعري "لأجل شيء ما، وصلت أيها الطير" عنواناً لمذكراتها وتفاصيل حياتها الطويلة رفقة الشاعر حتى وفاته، مودّعاً العالم قبل أن تطأ قدماه عتبة القرن الحادي والعشرين. وقد تأخرت أرملة الشاعر بنشر كتاب المذكرات حتى صيف هذا العام 2023، ليكون من ضمن الكتب القليلة المهمة التي ينتظرها القراء والنقاد على حد سواء.

والكتاب الصادر حديثاً عن دار برنيثه. الموثارا الإسبانية بعنوان مركب هو "حياتي مع ألبرتي" رفقة عنوان فرعي هو "لأجل شيء ما.. وصلت أيها الطير"، في إيحاء بأن قصائد ديوانه "أغنيات إلى الطير" تتعلق بها شخصياً، من خلال تعريف القارئ المتتبع لأشعار ودواوين وحياة رفائيل ألبرتي الطويلة، بأنها المعنية بتلك الاشعار، وأنها خلاصه الأخير والمنقذ له في أيامه الأخيرة.

أول شيء يمكن ملاحظته في الكتاب أنه لم ينشر كما هي العادة من كتب ألبرتي أو ما يكتب عنه في دار معروفة وسلسلة متخصصة بأعماله، وصل معها الخلاف إلى درجة أن ماريا آسونثيون ماتيو لم تجدد عقود النشر ولم تسمح لكثير من السلاسل أن تعيد طبع أعمال شاعر إسبانيا الكبير. والحقيقة أن الخلاف يعود لسنين طوال، خاصة في سني حياة الشاعر وقد تجاوز التسعين من عمره، وكل ما كان ينشر لا بد وأن يمر بين يدي أرملته، وهو ما جعل الخلاف مفتوحاً ويرفع للمحاكم، بعد اتهامات العديد الشعراء والأوساط الأدبية المهمة بسوء هيمنة الأرملة على نتاج الشاعر والذي يعدونه كنزاً وطنياً. وتفاقم الخلاف بعد أن كتب شعراء مهمون كانوا مرافقين لألبرتي في فترات طويلة من حياته مثل الشاعرين غارثيا مونتيرو وبنخامين برادو، وأشاروا في كتاباتهم مباشرة إلى ماريا متّهمين إيّاها بأنها شوهت وزوّرت العديد من كتابات الشاعر، بل إن هناك تهماً تطالها تتعلق بإتلاف قسم كبير من الأجزاء الأخيرة من مذكراته المعروفة بعنوان "الغابة الضائعة"، ومن ثم إعادة صياغتها وتحريرها من قبلها بشكل يسيء للشاعر وتاريخه ويغيّر الكثير من الحقائق ويطمس معلومات مواقف وآراء له عن تواريخ وشخصيات مرت بحياته. على أية حال

رفائيل ألبرتي

رفائيل ألبرتي خلال ممارسته الرسم

الموقف لم يتغير، والكثير منها ما يزال عالقاً في المحاكم. من هنا جاء كتاب أرملة الشاعر "حياتي مع ألبرتي.. لأجل شيء ما، وصلت أيها الطير" ردّاً قوياً على أدباء اختلفت معهم وما تزال.

تقول ماريا أسونثيون ماتيو في تقديمها للكتاب "إنه محاولة وإن جاءت متأخرة للكشف عن الوجوه الحقيقية، وإزاحة الأقنعة عن الوجوه الكاذبة التي حاولت منذ عام 1999 وحتى اليوم، الخلط ما بين الشائعات والحقائق الناصعة، في موجة منظمة لتشويه علاقتي ووجودي في حياة رفائيل البرتي".

وكانت سلسلة من الجدل أثيرت بعد وفاة الشاعر ذي المكانة العالمية رافائيل ألبرتي، عام 1999، في الأوساط الأدبية الإسبانية، حول حياته والتي تركزت على ما يقرب من عشرين عاماً قضاها مع زوجته ماريا أسونثيون ماتيو. وهي اليوم تكشف لنا للمرة الأولى في هذا الكتاب الفريد عن شخصية الشاعر الأصيلة أثناء معيشتهما السعيدة للغاية كما تصفها هنا. والصحيح أن كل ما كتب عن ألبرتي لم يترك لنا أي شيء مثير للاهتمام، لكن هذا الكتاب يصف الحب العميق الذي كان يلهمها هي شخصياً، من خلال شخصيته الجذابة والأصيلة، وصداقاته وحيويته الفائضة، وتمرده والتزامه السياسي الثابت، وشجاعته وصدقه ووفائه، ثم تصميمه على ألّا يموت كأي شخص عادي، ثم أن أهميته الأدبية والحياة الأسطورية المديدة التي عرف رافائيل ألبرتي كيف يستمتع بها حتى عمر 97 عاماً، إذ لم يحظ سوى القليل من الناس بشرف مرافقته ومعرفة أسراره أكثر من ماريا آسونثيون ماتيو.

وجوه وأقنعة

جاء كتاب أرملة الشاعر "حياتي مع ألبرتي.. لأجل شيء ما، وصلت أيها الطير" ردّاً قوياً على أدباء اختلفت معهم وما تزال. وتقول ماريا أسونثيون ماتيو في تقديمها للكتاب "إنه محاولة وإن جاءت متأخرة للكشف عن الوجوه الحقيقية، وإزاحة الأقنعة عن الوجوه الكاذبة التي حاولت منذ عام 1999 وحتى اليوم، الخلط ما بين الشائعات والحقائق الناصعة، في موجة منظمة لتشويه علاقتي ووجودي في حياة رفائيل البرتي".

بابلو نيرودا

بنخامين برادو

في فقرات من الكتاب تعود لما سمته بالجوقة المنظمة لتشويه حياتها المشتركة مع ألبرتي، تقول أرملة الشاعر: "هذا الكتاب ليس انتقاصاً من أحد، بل هو رد مباشر على كل أولئك الذين كتبوا عني بالسوء وقاموا بتهميشي وعدم محني الأهمية والتأثير في حياة ألبرتي، ومن ثم عن أقوالهم وشهاداتهم المغرضة المشكوك بها والتي حاولوا نقلها عبر الصحف ومن ثم عبر المحاكم ليشيروا إلى كوني السيئة في كل هذه الحياة الطويلة لألبرتي. بل إنهم قالوا مباشرة أنني كنت المتسببة بتدهور صحته الذهنية والقطيعة مع الوسط الأدبي أو مع أصدقائه".

وتضيف في الكتاب: "هنا في هذه المذكرات التي أمامكم أسرد فيها بالوثائق والمعطيات الواقعية كل ما جرى، وأنا إذ أعرّي كل تلك الوجوه القبيحة، ليس لغرض شخصي، بل لتكون شهادة إنصاف لتلك السنين الطويلة التي عشتها رفقة ألبرتي، وألبرتي برفقتي".

وتتابع في مذكراتها: "منذ أن سمّاني نجمة فلكه السماوية الخاصة سراً أو علناً في أشعاره ونصوصه، تحوّلت حياتي الرتيبة إلى مساحة غير متوقعة، منطقة لم أتخيلها أبداً أسافر فيها بالخفة التي منحتني إيّاها حالتي الفلكية عبر السماء الغنائية لشاعر يطلبه الجميع ولا يشبع من الحياة والأحاسيس، مع القلق المزعج، الجريء والحساس في نفس الوقت، في مزيج متناغم من القوة النارية والحب اللطيف، جعلني فيها أنا المركز من دون ان أطالب بذلك".

وتتناول ماريا أسونثيون ماتيو تأثير حب رفائيل ألبرتي بحياتها، بقولها: "عالمه المحب العاطفي، أغرقني بشكل كبير وبلذة لا يمكن وصفها. ربما لهذه الأسباب العاطفية فقط ما يمنحني الحق بكتابة كل ما مرّ بحياتي مع ألبرتي، ولا أنتظر أن يتقبله أحد، فالمعني بكتابته هو ألبرتي نفسه الذي شعرت بأنه معي في كل فصول تدوين المذكرات".

حقيقة الأمر أن حياة ألبرتي لا تحتاج لكثير من الكتب، فقد سطّرها بنفسه في أجزاء مطولة من كتاب سيرته "الغابة الضائعة" الذي بدأ كتابته نهاية السبعينيات وليمتد في الزمن ومدة النشر حتى بداية التسعينيات. من هنا جاء الخلاف، إذ يعتقد نقاد ومقربون من ألبرتي أن الأجزاء الأخيرة منتحلة ومزيفة، وتلاحظ يد ماريا أسونثيون في الحذف والإضافة والتغيير، وفق أقوالهم. ولعل هذا المنحى هو المسبب لكثير من المواقف عن حياة شاعر البحر؛ حياته العميقة مع زوجته الأولى الشاعرة المعروفة ماريا تريسا ليون (1932 . 1988) وهي الأكثر أهمية وعمقاً، وقد تعرف عليها خلال جلسات جيله الشعري، أثناء نضالهما المشترك مع اليسار الإسباني، والهروب بعد انتصار الفرانكوية، والحياة العصيبة في المنفى وعيشهما من بيع لوحات ألبرتي، يتغنى ألبرتي بالطير في ديوانه «أغنيات إلى الطير»، وفق أناشيد المتصوفة العرب والمسلمين، ويستخدم كلمة "الطير" العربية كتابة ومعنى وإيحاء.

داماسو ألونسو

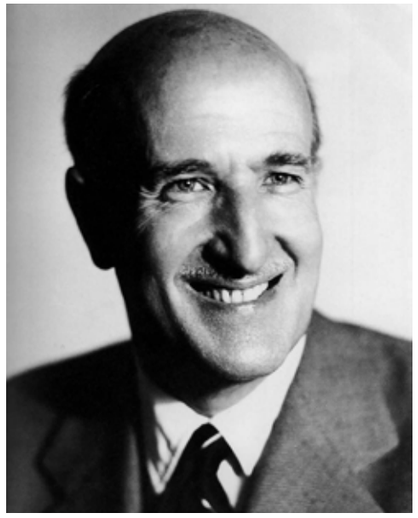

بيثنته ألكساندره

وترجماتهما المشتركة، كذلك علاقته بالجمهوريين والمنافي المتعددة وأثر الشاعر على أجيال شعرية عديدة ومن ثم صداقاته الأهم في تلك الفترة مع شعراء العالم وأهم شعراء اميركا اللاتينية، وفترة عودته الأولى إلى إسبانيا بعد سقوط الدكتاتورية وعودة الديمقراطية إلى إسبانيا بعد 1978.

مع ذلك كتاب "حياتي مع ألبرتي" وإن جاء متأخراً جداً، فعبر فصوله يدعوك للانغماس في حياة أحد أعظم الشعراء في التاريخ، رفائيل ألبرتي، من خلال ذكريات أرملته، إذ نتعرف على اللحظات الأكثر حميمية التي شاركته فيها، والبيئة الأدبية في عصره، خاصة فترة الديمقراطية التي عايشها ألبرتي وهو كبير في السن. كما يتيح الكتاب فرصة فريدة للتعمق في مسيرة رجل شغوف بالشعر والحرية والعدالة، واكتشاف العلاقة الحقيقية التي تربطه بأصدقائه ورفاقه في النضال الفكري والسياسي، مثل لويس بونويل وداماسو ألونسو وبابلو نيرودا وغيرهم.

هذا الكتاب، وإن كنا قد نختلف مع أجزاء كبيرة منه، لا بد أن نعترف بأهميته، ولا بد من قراءته ومقارنته بكل ما كتبه رفائيل ألبرتي نفسه، وكل ما كتب عنه من مذكرات وتقريظ ومعاينة. إذ إن حياة الشاعر لا يكتبها الشاعر نفسه فقط، بل يشارك في تدوينها أولئك الذين تعرفوا عليه في فترة من فترات حياته، وأولئك الذين لم يكونوا على وفاق معه، فما بال القارئ وهو أمام كتاب كتبته وقدمته أرملة الشاعر ألبرتي التي عاشت معه الربع الأخير من حياته، وفي خلاف أو وفاق أدبي مع نفسها أو مع الآخرين، وهي معركة مفتوحة آنذاك كما ستفتح بعد نشر هذه المذكرات التي سيقال عنها خلال الأيام والأشهر المقبلة الكثير.

*****

قصائد من ديوان رفائيل ألبرتي "أغنيات إلى الطير"

(1)
لأجل شيء ما وصلت أيها الطير
هبطت من برجك في وضح الصباح.
لم تهبط نجمة أبدًا
كي تتعلّق بأغصان شمس الزيتونات،
لا كلس القرى
يمضي في بياضه حتى بياض أنصع
ولا ريح الليلة
قد وصلت بأغنيتها أبعد من الفجر.
لم ير أبدًا نجمة في قارعة الطرقات،
لم يتوقف فجأة، يتمهل، يشير، يتعلم، يضيء،
شيء ما ينتظر.
لأجل شيء هبطت أيها الطير
هاويًا من برجك تلك الليلة.

لويس بونويل

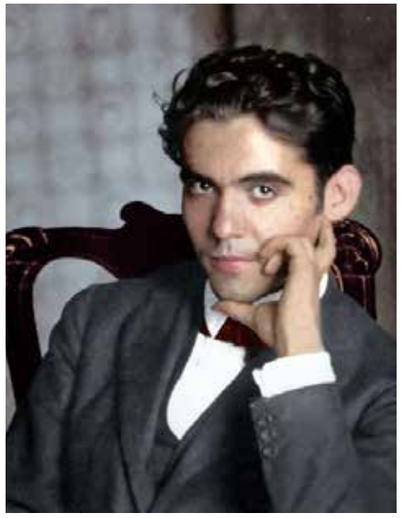

فيديريكو غارسيا لوركا

(2)
عندما يفرج عن قدميه الطير
منتصف السماء،
يسطع في منتصفه أروع ليل
مرصع بنجوم تنبض ماطرة على شفتي،
بينما هنا،
في الأرض البعيدة
الحدقة الوحيدة متقدة
تعلن وصول زائر جديد
قوال،
برجٌ أعمى مجهول.

(3)
على غفلة يصل الطير.
كبره كنجمة تضطرم.
سماء عارية تتوهج.
ليس بغمامة ضائعة في ليل.
نابض هو،
يجلب في حجره المتوهج
نجمة تلمس.
نار عالية تستهلك،
تختنق في لهيبها.
والطير يتلاشى.

(4)
يتأوه الطير أحيانًا، يميل
مطعونًا بالرّيح العاتية التي تلفه
مهتزّاً في هاويتها
زبدها الحلوُ يغمره
حتى الموت بلا صوت،
أن يخرج مرة أخرى من عمق
هذا البحر السري، بلا حدود، ومتطاول.
نجمة هو الطير، خفي ومقتدر.

(5)
كيف يكون أشبه بالصفير، كموسيقى ترتج
الطير العالي بعيد عن الأصوات،
بطعم القواقع السماوية، بطعم الطحالب السود
بتنهدات مالحة وصياح.
الأضواء تتسلقُ صاعدة روابيه الطيبة
متزحلقة على متنه المتأني حتى الوادي
بجريان نهر وهدوء ريح.
هكذا هو الطير، فيما لو يطلقها.

(6)
في ذاك الليل العميق، ابتدأ الطير تحليقه
منقبًا ربما بالأرض (أو دون ربما)،
حتى آلاف الكيلومترات
وفي حفرة مظلمة، حزينة

حياة الشاعر لا يكتبها هو فقط، بل يشارك في تدوينها أولئك الذين تعرفوا عليه، وأولئك الذين لم يكونوا على وفاق معه.

في درب التبانة
وجد نجمة واحدة، ضئيلة ومجهولة.
ذاك المثلث البديع
أصلحه الطير في برجه،
حطمه متعلقاً ببرج آخر،
اسمه غير الطير، لا يعرفه أحد.
هكذا، الطير المسكين
كشف لون بريقه حتى غاب
في أطلس السماء.

(7)
الطير العالي، الطير العالي،
يستيقظ.
في سماء السماوات،
نجمة وحيدة هناك.
أيها الطير العالي في سمائه
أنت هذي النجمة لا غير.

سيرة أرملة ألبرتي

ماريا أسونثيون ماتيو (فالنسية، 1944). تخرجت في كلية الفلسفة والآداب من جامعة فالنسية، وشغلت منصب رئيسة مؤسسة رفائيل ألبرتي لمدة سبعة عشر عاماً. تعاونت من خلال الكتابة في منشورات مختلفة في الصحافة الوطنية وألقت محاضرات عن "جيل 27" في جامعات القاهرة، هافانا، بوينس آيرس، تورينو، روما، وغيرها، وكذلك في مؤسسات ثقافية أوروبية وأميركية.
من بين منشوراتها العديدة: "مختارات شعرية.. دولثي ماريا لويناث" 1993، "البحر فحسب.. مختارات من نصوص البحر لرفائيل ألبرتي" 1994، "على القلب مرساة.. مختارات للأطفال" 2002، في سلسلة "صورة لمعاصرين عظماء"، أعدت المجلدات المخصصة عن رفائيل ألبرتي وداماسو ألونسو وروسا شاثيل. بالإضافة "مختارات من أشعار ونثر رفائيل ألبرتي، من 1920 إلى 1996" 2002، "أغنية الأغاني.. مختارات من شعر الحب باللغة الإسبانية"، تم إعدادها بالتعاون مع رافائيل ألبرتي 1995، و"رسم الشعر.. الفصول الأربعة.. مختارات من اشعار رفائيل ألبرتي" 2007"، "البحر مذكراً ومؤنثاً، منتخبات من أشعار ألبرتي" 2007، و"البدء بحياتي.. مختارات من شعر الحب لرفائيل ألبرتي" 2023.

عالية بلال.. قصص التهميش المضاعف

حوار: لارا كاندلاند

يصوّر الكتاب الأول للكاتبة عالية بلال "قوم العبادة" الصادر حديثاً عن منشورات دار سايمون آند شوستر، المسلمين الأميركيين من أصل أفريقي وهم يستكشفون عقيدتهم، خصوصاً أنهم يتعرضون لتهميش مضاعف.

• يتعرض المسلمون الأفارقة للتهميش بشكل مضاعف في أميركا، ما التحديات التي واجهتها أثناء الكتابة عنهم؟

- كان التحدي الأول هو تحويل مفهوم هذا العالم إلى الخيال. هناك جدل حول ما إذا كان أي شخص قد كتب عن تجربة المسلمين الأميركيين من أصل أفريقي. لأكون صريحة جداً، لم يكن هناك عمل من النوع الذي كتبته. شعرت بأنه كان جهداً رائداً للكتابة عن هذا العالم حتى يتمكن جميع القراء من التواصل مع الشخصيات على المستوى العاطفي. التحدي الثاني كان الصراع مع اللغة: كيفية جعل القصص تبدو أميركية بشكل أصلي. والتأكد من أن الناس يفهمون أن هذه مساحة ثقافية مميزة، وأنّ هناك شيئاً مشتركاً جداً وقابلاً للارتباط بهذه الشخصيات.

• لماذا لم تحددي اسم الرسول محمد صراحة بوصفه قائد أمة الإسلام؟

- كنت أعلم أنني بحاجة لبدء هذا الكتاب من النهاية، من وفاة الرسول وتأثيره على الأمة الإسلامية. أشير إليه بالرسول ولا أذكر اسمه صراحة لأن جزءاً من متعة القراءة هو أن يقوم القارئ بالبحث والتقصي. يجب أن تكون القراءة ممتعة وسهلة. التفاصيل الصغيرة والفجوات هي عنصر ممتع إضافي والتي يمكن للقارئ أن يملأها بنفسه من خلال البحث.

• يبدأ الكتاب بقصة رحلة تنتهي بشخصيات تبحث عن نجمها الشمالي. ما الذي أثار اهتمامك بالحركة والبحث عن الوطن؟

- المشروع الأساسي لهذا الكتاب هو استكشاف كيف تتناسب تجربة المسلمين الأفارقة مع القصة الأكبر لدين الأميركيين من أصل أفريقي. ربما كانت نسبة المسلمين الذي تم أسرهم ونقلهم إلى أميركا أكثر من 30٪. لكن الراوي بداخلي لطالما اختلف حول نقطة النهاية لتحرير الأميركيين من اصل أفريقي. تعرض قصة "اتجاه الشمال" حكاية الفتاة تقوى، والطريقة التي يتم بها قمع هويتها بشكل درامي لأن مكانتها لم تسمح لها باستكشاف هويتها بطريقة صحية.

• هناك قدر كبير من الفوارق الدقيقة في تصويرك لشخصيات مؤمنة، لديهم علاقة مركّبة مع عقيدتهم.

- غالباً ما تعني الممارسة الدينية الامتثال للتعاليم، وطرح أسئلة مثل: كيف استعيد نفسي؟ كيف تقربني هذه التجربة الدينية من نفسي؟ في مرحلة الأزمة من قصص "قوم العبادة"، يجب أن تسأل الشخصيات نفسها: كيف أتفاعل مع ما أعرفه الآن عن نفسي؟

Publishers Weekly – 29 May 2023

كتاب الشاعر الإيطالي الطليعي أدريانو سباتولا يصدر بالفرنسية في طبعة ثانية

أعمال تجريبية تفجّر الحــدود بين الفنون الإبداعية

كتب: أنطوان جوكي (باريس)

في الشعر التجريبي وشبكاته التي لا تحصى، وفي الدور المركزي الذي لعبه هذا الشعر في مختلف التحولات التي قلبت حقل الفن المعاصر وممارساته، ثمة كتاب أوّل. وأخير. وضعه الشاعر الطلائعي الإيطالي أدريانو سباتولا (1941. 1988)، صدر عام 1969 تحت عنوان "نحو الشعر الكلّي". كتاب فرض نفسه، منذ طبعته الأولى، كالمرجع الرئيس لولوج تلك الشعريات الجديدة: السمعية، البصرية، المحسوسة، والأدائية، أولاً لأنه كان الوحيد الذي قدّم المعلومات وسُبُل القراءة الضرورية لفهم كيف تبلورت هذه الكوكبة الشعرية المدوّخة، في كل تعددها وميولها، ثم لأنه بقي منقطع النظير، وهو الكتاب الذي منه ينطلق النقاش، وإليه تعود جميع الجهود التأملية.

من هنا أهمية الترجمة الفرنسية للكتاب، عام 1992، التي اضطلع بها الشاعر التجريبي والأدائي، الضليع أيضاً في علميّ الألسنية وعلم العلامات (السيميولوجيا)، فيليب كاستولان، وسمحت لهذا الكتاب بكسب انقشاع أكبر، وللقراء الفرنكفونيين ببلوغه. ترجمة نفدت نسخها بسرعة، لكنها تعود إلينا اليوم بطبعة جديدة ومراجَعة بفضل دار "ألدانت. منشورات الواقع" المتخصصة في الفنون الطلائعية، وهو حدث نغتنمه للتعريف بهذا العمل الفذ الذي لا يزال مجهولاً كلياً من قبل هواة الشعر التجريبي والطلائعي في عالمنا العربي، في انتظار صدور ترجمته العربية التي هي في طور الإعداد.

تجدر الإشارة بدايةً إلى أن سباتولا، قبل أن يكون باحثاً عليماً في الشعر التجريبي، هو أحد رواد هذا الشعر، وبالتالي واحد من أهم الشعراء الطلائعيين في النصف الثاني من القرن العشرين. فباكراً جداً، التحق بمجموعتيّ "نوفيسّيمي" ثم "63" اللتين لعبتا دوراً مهماً في الحداثة الشعرية الإيطالية بعد الحرب العالمية الثانية. وبسرعة تبلور اهتمامه بالممارسات الشعرية التجريبية، فأسس مجلة بعنوان "تام تام"، ودار نشر بعنوان "غايجر"، وأصدر سلسلة أشرطة مسجّلة مكرّسة للشعر السمعي تحت عنوان "باوباب". وبموازاة ذلك، جاب في مختلف أنحاء المعمورة، مسجلاً مشاركات باهرة في مهرجانات ولقاءات شعرية مختلفة، بأداءاته ومداخلاته المتنوّعة. وعلى الرغم من رحيله المبكر، ترك خلفه مجموعة كبيرة من الأعمال الشعرية والنظرية من كتب ومجلات ومقالات، وبحوث وأعمال بصرية، من بينها مؤلَّفه الشهير، "نحو الشعر الكلّي"، الذي خطّه على شكل بحث موثَّق وبيان، وسعى فيه إلى إبراز الدور الرئيس للشعر والشعراء في الثورات التي شهدها الفن المعاصر. كتاب ما زال يُعتبر إلى حد اليوم "إنجيل" الشعر التجريبي، بلا مبالغة.

وفعلاً، منذ نهاية الستينيات، وإثر تفتّت النوع الشعري إلى عدد كبير من الفئات المحرِّرة (سمعي، بصري، محسوس أو ملموس، أدائي، حَدَثي)، يعود الفضل إلى سباتولا، الذي كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بكل هذه الأبحاث الشعرية، في تشييد منظور، في كتابه "نحو الشعر الكلّي"، يبيّن علناً بأن هذه الأبحاث، أبعد من تنوّعها الوفير، تندرج جميعاً داخل فضاء مشترك، وبأن المحاور الرئيسية لهذا الفضاء خطّها وحدّدها شعراء الطلائع التاريخية، بدءاً بمالارميه، ومروراً بالدادائية والسريالية والمستقبلية والبنائية وكوبرا والحروفية، التي لا يتردد سباتولا في إعادة قراءتها انطلاقاً من هذا المنظور.

وإلى هذا الفضاء المشترك . واليوتوبيا التي يشير إليها، يمنح سباتولا تسمية "شعر كلّي" في كتابه الذي يشكّل منجماً توليفياً من المعلومات التي كانت، حتى صدوره، مبعثرة، يتعذّر أحياناً بلوغها. وهو ما جعل منه فوراً مرجعاً لا غنى عنه. كتاب يكفي التوقف عند عنوانه وحقل دلالاته المتعددة كي تتجلى لنا كل قيمته. وهو الباب الذي اختاره مترجمه إلى الفرنسية، كاستولان، لولوجه وتقديم مضمونه إلينا.

عند الوهلة الأولى، يبدو خيار التقديم هذا ضيقاً، في ضوء وسع موضوع كتاب سباتولا وثراء مضمونه. لكن بسرعة، وألمعية نادرة، يبين كاستولان لنا أن عنوان "نحو الشعر الكلي" لا يعكس فقط، بتعدد دلالاته، كل العبقرية التي يبديها سباتولا داخل كتابه، بل يشكّل أيضاً خير خلاصة لكل ما ينتظرنا داخله.

هكذا يتوقف أولاً عند صفة "كلّي" فيه، كاشفاً معانيَ ثلاثة لها: المعنى الأول فضائي أو جغرافي، ويشير، قبل أوانها، إلى حقيقة أن "عالمنا اليوم بات كلاً نظامياً وظيفياً، لا مركز فيه ولا طرف،

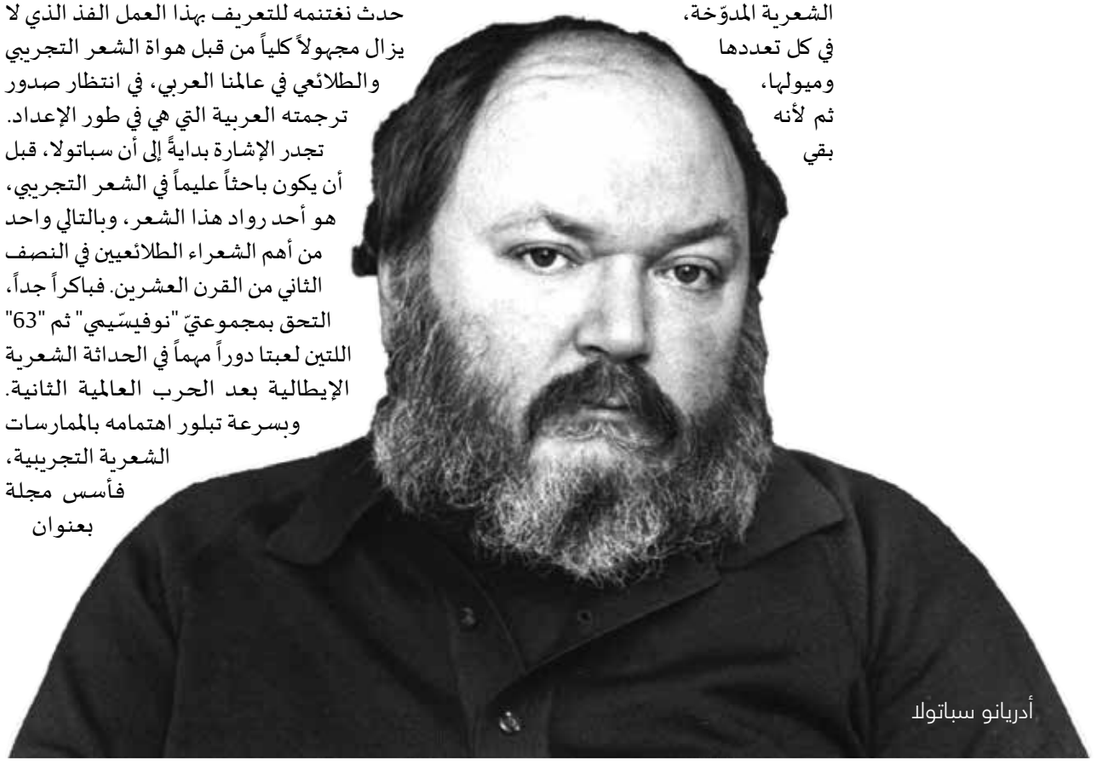
أدريانو سباتولا

جوليا نيكولاي

ستيفان ملارميه

بل عدد لا يحصى من المراكز، وعدد لا يحصى من الأطراف. وفي أي لحظة، يمكن لكل مركز أو طرف أن يتبادل مكانه ووظيفته مع مركز أو طرف آخر. عالم لا حدود أو ثقافة واحدة فيه، بل عدد من الحدود والثقافات". وفي هذا السياق، الشعر الكلي، وفقاً لهذا المعنى، هو فعل دهري، والدادائية، والمستقبلية، والبنائية، والشعر المحسوس، والشعر البصري والشعر الأدائي، حركات وتجليات "عديمة الوطن أو الهوية، عابرة للحدود والأوطان، في جوهرها". وبالتالي، صفة "كلّي"، بهذا المعنى، تدلل على "تلك الوحدة البنيوية للكوكب. الشعر التي يتعذر محاصرتها وفهمها من وجهة نظر فريق شعري واحد أو جغرافيا واحدة. وهو ظرفٌ جديد شكّل تربة خصبة لانبثاق لغة في متناول جميع الحواس.

المعنى الثاني لصفة "كلي"، وفقاً لكاستولان، يدلل على تحلل "الفئات" أو "الأنواع" الفنية، لصالح تواصلها وانبثاق أعمال تدفع المتأمل فيها إلى القول: "لكن هذه ليست قصيدة، بل لوحة"، أو "هذه ليست قصيدة، بل منحوتة"، أو "هذه ليست قصيدة، بل مدوّنة موسيقية". أعمال تفجّر الحدود بين هذه الأنواع وتشكّل تجسيداً لدعوة رامبو إلى دمج الفن بالحياة. وفي هذا السياق، سعى سباتولا في كتابه إلى لمّ شمل أفراد "قبيلة" الشعر، ليس فقط بإظهاره تواري الحدود الجغرافية والوطنية بينهم، بل بإبرازه الوحدة العميقة لمسعاهم، خلف التنوع اللامتناهي للوسائل والأعمال. فسواء استعانوا بهذه التكنولوجيا الحديثة أو تلك (برامج معلوماتية، منضدة خلط الأصوات الإلكترونية، مونتاج، فيديو...)، أو تلاعبوا بالترقيم، بفراغات الصفحة البيضاء بأحجام الحروف أو ألوانها، أو لجأوا إلى لغة الجسد والإيماء، تبقى غايتهم جميعاً واحدة: الشعر. ومن هذا المنطلق، أسس هذا الشاعر سباتولا مع المصورة والشاعرة الإيطالية جوليا نيكولاي (1934 - 2021) مجلة "تام تام" وفتحها إلى جميع أشكال التجريب الشعري، فكشفت أفقاً مشتركاً، استعادت كل هذه الاتجاهات فيه معنى وحدتها المتزامنة، وتجلّت كأجزاء متناثرة من حدث واحد في حالة صيرورة أو في طور الانفجار. وبالتالي، يشير عنوان "نحو الشعر الكلي" إلى حركة التناثر هذه التي تذهب في جميع الاتجاهات، ومع ذلك، تصيب المرمى نفسه.

المعنى الثالث لـ "كلّي" هو زمني، في نظر كاستولان، أي كمنظور يسمح بتحويل الواقعة إلى قصة، وبتملّكها عبر إعادة تشييدها. ولا عجب في ذلك، فسباتولا كان أيضاً صاحب ذاكرة ومشروع توليفي، عرف كيف يستفيد من مسيرته التي قادته إلى عبور كل من حركتيّ "نوفيسّيمي" والشعر المحسوس، وإلى الاختلاط بالشعراء البصريين، وإسقاط

> يمنح أدريانو سباتولا تسمية "شعر كلّي" في كتابه الذي يشكّل منجماً جمع معلومات كانت مبعثرة، يتعذّر أحياناً بلوغها، وهو ما جعل الكتاب مرجعاً لا غنى عنه.

أدريانو سباتولا مع ابنه ريكاردو

صوته وجسده في جميع محافل الأداء والشعر السمعي، ومن أعماله الجامعية مثل أطروحة في السوريالية، دراسات في الفلسفة وتاريخ الفن، مقدّمات عديدة لكتيبات معارض، كتاب حول المستقبلية. ومن مقالاته النقدية الغزيرة التي كتبها في مجلات مختلفة. وبالنتيجة، نظر إلى "الشعر الكلّي" باعتباره تشييداً لآنية حقيقية، وإثباتاً لأرضية مشتركة، على الرغم من الخلافات العقيمة بين المجموعات والحركات، وإمكانية استخلاص استمراريات، مقابل جميع الخطابات التي رفع أصحابها فيها شعار "الصفحة البيضاء" أو "الانطلاق مجدداً من الصفر".

بعبارة أخرى، سعى أدريانو سباتولا في كتابه ونجح في بناء نظام إحداثيات يسمح بإدراك رامبو في أضواء أخرى غير ضوء السريالية، وبقراءة أبولينير ومالارميه خارج المقاربات التقليدية المتوافرة حولهما، وعموماً، بإظهار أن إشكالية الشعر الكلّي شاسعة بما يكفي كي تشمل جميع وجوه الشعر الحديث، بدءاً بفيكتور سيغالين وتجربة اختلاط الحواس، ومروراً بهنري ميشو وشعرية العلامات، برونيه شار وليله "الطلسماني"، بفرنسيس بونج ونصوصه البصرية المتناغمة مع أبحاث رائديّ الشعر المحسوس في البرازيل، الأخوين أوغستو وهارولدو دي كامبوس. وأيضاً كي تبيّن بأن جميع هذه التجارب تغوص جذورها في ماضٍ سحيق، في كتابة لم تكن من كلمات، بل من علامات وصور، من أصوات وإيماءات، وبالتالي تعود في أصولها إلى الأسطورة والطقوس.

دلالات العنوان

يؤكد مترجم كتاب أدريانو سباتولا إلى الفرنسية، الشاعر التجريبي والمتخصص بالألسنية وعلم العلامات، فيليب كاستولان، أن عنوان "نحو الشعر الكلّي" لا يعكس فقط، بتعدد دلالاته، كل العبقرية التي يبديها سباتولا داخل كتابه، بل يشكّل أيضاً خير خلاصة لكل ما ينتظرنا داخله.

هكذا يتوقف كاستولان أولاً عند دلالات العنوان، وخصوصا عند صفة "كلّي" فيه، كاشفاً معانيَ ثلاثة لها: الأول فضائي أو جغرافي، ويشير، قبل أوانها، إلى حقيقة أن "عالمنا اليوم بات كلاً نظامياً وظيفياً، لا مركز فيه ولا طرف، بل عدد لا يحصى من المراكز، وعدد لا يحصى من الأطراف". ويدلّ المعنى الثاني لصفة "كلّي"، وفقاً للمترجم، على تحلل "الفئات" أو "الأنواع" الفنية، لصالح تواصلها وانبثاق أعمال تتداخل وتتراسل في ما بينها أشكال إبداعية متعددة، بصرية ولغوية وسمعية. أمّا المعنى الثالث لـ "كلّي" فهو زمني، أي كمنظور يسمح بتحويل الواقعة إلى قصة، وبتملّكها عبر إعادة تشييدها.

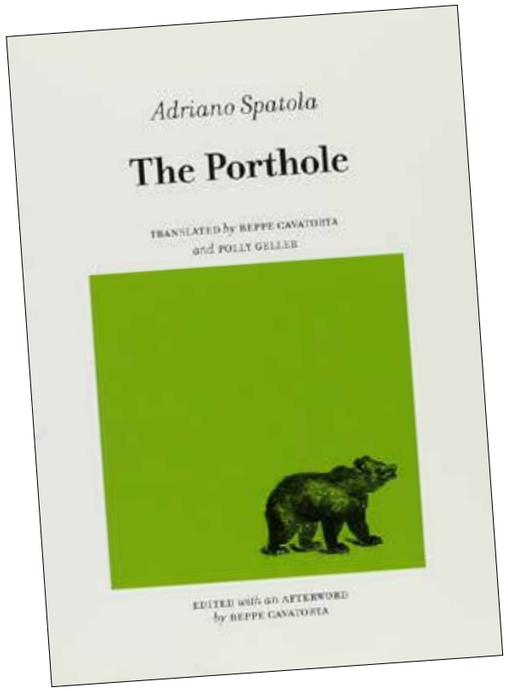

ومن هذا المنطلق، تحضر كلمة "شعر" في عنوان كتاب سباتولا بمعناها الأوسع. فـ"الشعر الكلّي"، كما يوضح كاستولان، لم يولد في يومٍ واحد، على شكل نظرية عامة حول الفن أو الفنون. وانهيار الفئات أو الأنواع الشعرية والفنية لم يحصل تحت تأثير قرار تهجينها، لأن الشاعر لم يختر، في أي لحظة من لحظات هذا التطور، الذهاب في اتجاه فن الرسم أو النحت أو التصوير، ولم يطرح على نفسه سؤال دمج هذه الفنون بالشعر، أو العكس. فـ"المقصد كان توسيع اللغة الشعرية عبر تعزيزها بعلامات غير تلك اللغوية، علامات مصادَفة ومختبَرة في شحنتها الشعرية، كلغة محتملة. المسعى كان عزل هذه المكونات المختلفة واستثمارها بشكل منفصل أو وفقاً لعلاقات محسوبة. هكذا، ومن دون أن يخرج من الشعر، بل بغوصه عميقاً فيه، اكتشف الشاعر أن الصفحة قيمة متغيّرة، فاتسعت ولم تعد تركن داخل كتاب، وغُلّقت داخل صالة فنية ونظر بعضٌ إليها وقال: (إنها لوحة). وبالطريقة نفسها، أصبح الكتاب يوماً قطعة، عملاً فنياً، لكن ليس لأن صاحبه رغب في أن يكون منحوتة، بل كتاباً جديداً، من هذا الزمن الجديد. وعلى الجانب الآخر كان الرسام، منشغلاً هو أيضاً بالرسم، وفقط بالرسم، وإذ به يكتشف القيمة التشكيلية للحرف، للحركة، أو للفعل. الأداء، وهنا أيضاً، عبر قيامه بتوسيع ميدانه الأول، ومن جرّاء التآكل التدريجي لما كان يبدو حاجزاً أو فاصلاً، من الخارج، وجداراً من الداخل، إلى أن تبدد هذا الجدار فجأة، من دون أن يدرك الرسام ذلك، فوجد نفسه لدى الآخر. هكذا، صار الرسم الأدائي مسرحاً"، على سبيل المثال.

حين ينهار الجدار، يذكّرنا كاستولان، لا نعود في ميدان الشاعر ولا في ميدان الرسام. وهو تعريف الدادائية الدقيق لذاتها، أي لا هذا ولا ذاك. وبين الشاعر والرسام، لم يحصل اللقاء إلّا من الخلف، حين تحوّل النص إلى صورة، أو الصورة إلى نص. ونتيجة ذلك، كان ذلك الشيء النموذجي المفارِق كلياً، الذي يتعذر تحديد ماهيته. شيء هو هذا أو ذاك أو شيء آخر كلياً، وفقاً للمتأمل فيه، لزمن تأمّله ومكانه، تماماً مثل "قصائد وأشياء" لجوليا نيكولاي، كي لا نذكر غيرها.

تبقى كلمة "نحو" في عنوان كتاب سباتولا، التي، بتدليلها على إرادة الإمساك بالشعر التجريبي في سيرورة تطوره، تشير، وفقاً لكاستولان، إلى حركة في طور حدوثها، وفي نظرنا، إلى عملية تقاطُر جميع أنواع هذا الشعر في اتجاه المرمى نفسه، وبالتالي إلى أن "الشعر الكلّي" هو مفهوم، فرضية أو فكرة منظِّمة غايتها ترتيب مشهد الشعر، السديمي في ظاهره. فكرة تشهد تأديتها الجيدة لوظيفتها على نجاعتها، أي "تحويل ذرات الشعر المبعثرة إلى تربة واحدة وخصبة". والدليل؟ كتاب سباتولا بالذات الذي يستنتج قارئه بسرعة أن هذا النص، مهما بدا مهيكلاً ومبنياً بإحكام، يستمد قيمته أيضاً من هذا العدد المذهل من المعطيات والوقائع والأحداث التي يمفصلها، وتنتمي في الواقع إلى عوالم شديدة التفكك والشرذمة.

وحين نعرف مسيرة سباتولا الشخصية، بمختلف مراحلها ومحطاتها وثمارها، لا يسعنا في النهاية عدم ربط فرضية "الشعر الكلّي" التي بلورها بتجربته الخاصة أيضاً التي قادته إلى عبور دروب لا تحصى داخل إبداعه الخاص، قد تبدو متفرّقة في الظاهر، لكنها تشكّل في الواقع جغرافيا عملٍ متماسك، وفقاً للمنطق الذي يتحكّم تحديداً ببحثه الباهر.

باختصار، غاية الشعريات الجديدة، كما قرأها سباتولا في كتابه، ليست فقط تحويل الشعر إلى شيء جديد، بالنسبة إلى التقليد الشعري المعروف، بل خصوصاً جعله فناً مطلقاً، كلياً، عن طريق هذا التحويل. وفي هذا السياق، استنتج أن الشعر التجريبي الجديد "لا يمكن تحديده فقط كقوة مغيِّرة لأدوات الإبداع الشعري التقليدية، أو كضرورة تجاوز الحواجز اللغوية الوطنية في اتجاه شعر عالمي بشكلٍ صريح"، بل أيضاً كفن يسعى إلى أن يصبح وسيطاً كلياً، إلى الإفلات من كل المحدودات ليشمل المسرح والتصوير الفوتوغرافي والموسيقى والرسم والطبوغرافيا والتقنيات السينماتوغرافية وجميع الجوانب الأخرى للثقافة، ضمن طموح يوتوبي إلى العودة إلى الأصول".

المقصد من التجريبية كان توسيع اللغة الشعرية عبر تعزيزها بعلامات غير تلك اللغوية، علامات مصادَفة ومختبَرة في شحنتها الشعرية، كلغة محتملة.

خطوط السيرة

أدريانو سباتولا (1941 - 1988) شاعر وفنان أدائي وناشر إيطالي. يُعدّ واحداً من أكثر الشخصيات تأثيراً في مجال الشعر التجريبي. أحد رواد الشعر الأوروبي الملموس، وهو من الشخصيات الرئيسية في مدرسة الشعر التجريبي الإيطالية. مؤلف العديد من المقالات حول الشعر المرئي والصوتي في مجلات ومجموعات أدبية وكتيبات مختلفة عن الفن المعاصر. من أبرز مؤلفاته كتابه "نحو الشعر الكلّي" الذي صدرت ترجمته إلى اللغة الفرنسية في طبعتين.

كاليب إيفيريت: اللغات تشكّل تفكيرنا

حوار: سوزان شابلوفيسكي

يدرس عالم الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) في جامعة ميامي، كاليب إيفيريت، في كتابه "عدد لا يحصى من الألسنة" الصادر حديثاً عن منشورات جامعة هارفارد، الطرق التي تشكل بها اللغة كيفية تفكير الناس.

• كيف أثّر قضاء طفولتك في غابات الأمازون - حيث درس والدك، وهو عالم أنثروبولوجيا أيضاً، الشعوب الناطقة بلغة البيراها، على هذا الكتاب؟

- أعطتني تلك السنوات فكرة عن مدى اختلاف اللغات والثقافات. أدركت في النهاية أن العديد من الناس، بمن فيهم كثيرون في الأوساط الأكاديمية، يستخفون بمدى التنوع اللغوي والثقافي. كان هذا الإدراك هو الذي أدى إلى تأليف هذا الكتاب.

• ما هي بعض الأمثلة المفضلة لديك عن كيفية تشكيل اللغة لتفكير الناطقين بها؟

- في اللغة الإنجليزية، نفكر في المستقبل على أنه أمامنا، والماضي وراءنا. في المقابل، تستخدم العديد من لغات وثقافات العالم طرقاً أخرى لفهم مرور الوقت. يتحدث شعب أيمارا في جبال الأنديز ويفكر في المستقبل كما لو كان في الماضي، كما تفعل بعض الثقافات التبتية. يعتقد المتحدثون في كوك تايور في أستراليا أن الوقت ينتقل من الشرق إلى الغرب. يتحدث سكان غينيا الجديدة عن الوقت كما لو أنه يتحرك بشكل تصاعدي. في بعض الثقافات، لا يتحدث الناس حتى عن مرور الوقت من منظور مكاني. في لغة "توبي كواهيب" في الأمازون ، لا يوجد دليل على أن الناس يتحدثون أو يفكرون في الوقت من حيث المكان، أو أنهم يشيرون إلى الوقت على الإطلاق.

• كيف أثرت دراسة لغات الشعوب الأصلية في جميع أنحاء العالم على طريقة تفكيرك في لغتك الإنجليزية الأم؟

- لقد أصبحت أقدّر نقاط القوة والضعف في اللغة الإنجليزية. المصطلحات التي نستخدمها لوصف الروائح فقيرة إلى حدّ ما. غالباً ما نقول عبارات مثل "رائحته كالفشار" ولكن ليس لدينا الكلمات المجردة للروائح التي تمتلكها بعض اللغات. في المقابل، تحتوي اللغة الإنجليزية على كلمات مجردة للألوان أكثر من العديد من اللغات.

• لماذا اخترت دراسة التنوع اللغوي؟

- تعد دراسة التنوع اللغوي أمراً ضرورياً لفهم كيف نتحدث ونفكر كبشر. كنا نعتقد أن هناك "قواعد عالمية" وأن جميع البشر يدركون العلاقات المكانية، ومرور الوقت، والأرقام، والظواهر المعرفية الأساسية الأخرى، بطرق متماثلة في الأساس. الآن نرى أنه لا توجد كل هذه السمات في جميع لغات العالم.

• كيف يمكنك تقريب الكتابة العلمية لعامة الناس؟

- أركز بشكل أساسي على الموضوعات التي لديها صدى بين طلاب الجامعات وغيرهم من غير المتخصصين. في بعض الأحيان، بصفتنا متخصصين، ننشغل في مناقشات يعتبرها الآخرون تافهة ومملّة. تعدّ المحاضرات والمحادثات خارج الأوساط الأكاديمية طريقة رائعة للتعرف على ما يجده معظم الناس رائعاً بالفعل. توجه هذه الانطباعات الموضوعات التي أختارها وكيف أقوم بتحريرها.

Publishers Weekly – 19 June 2023

الفنان والناقد بنيونس عميروش يبحث في رهانات الفن المعاصر

«مسالك البصري».. خطوط التحولات في الجماليــة المعاصرة

كتب: الدكتور عزيز أزغاي (الرباط)

لم يكن تحول الممارسة الفنية في الغرب الأوروبي، من الزمن الكلاسيكي إلى الحداثة ومنها إلى الفن المعاصر، مجرد انشغال تقني وأدائي، توخت منه جمهرة الفنانين البصم عن لحظات تفكير تروم الإمتاع والإدهاش، عبر إضفاء قدر من الجمالية عن لحظات العسر التي يحياها الإنسان في معيشه اليومي، وإنما تعدى الأمر هذا الفهم المُترف ليعكس صيرورة وجودٍ تماهى فيها الخطاب الفني مع مختلف الخطابات الأخرى، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، التي كانت ولا تزال تؤطر حياة الإنسان عبر التاريخ.

فإلى غاية نهاية العصر الوسيط، كانت أنشطة الرسم والنحت والتصوير تُصَنف في خانة العمل المهاري اليدوي، الذي يتطلب قدراً من التفنن والإجادة، ما جعل النُخب المتحكمة تُنزل الفنان منزلة العامل الحِرفي، الذي لا ترقى مكانته إلى مرتبة الفلاسفة والحكماء والمفكرين والسياسيين الذين ينتجون الأفكار. وبحلول القرن الخامس عشر، الذي شهد أحداثاً كبرى، تمثلت، أساساً، في اختراع المطبعة وسقوط القسطنطينية والتراجع النسبي للسلطة الكنسية وظهور الفلسفة الإنسية والوصول إلى القارة الأميركية، سيشهد العالم الغربي نهضة كبرى كان من نتائجها انتشار أفكار فلسفية جديدة مهدت الطريق، في وقت لاحق، لتكريس أفكار الحداثة وما بعدها، التي حملت العقل الغربي إلى إعادة النظر في كثير الاقتناعات المكرسة، لعل أبرزها تغيير نظرة النخب الحاكمة والجمهور لحقيقة العمل الفني ولمكانة الفنانين في المجتمعات الغربية الحديثة.

ولرصد هذه الصيرورة التاريخية، المتصلة بتحولات الخطاب والممارسة الفنية، يرصد كتاب الفنان والناقد الفني المغربي بنيونس عميروش، "مسالك البصري.. مرجعيات ورهانات الفن المعاصر"، الصادر حديثاً عن منشورات دار خطوط وظلال (الأردن - 2021)، خطوط التحولات في الجمالية المعاصرة، مقترحاً في الوقت ذاته زاوية نظر لا تكتفي بتقديم فرش لطبيعة الخطابات التي سرعت بتكريس أفكار الحداثة وما بعدها وصولاً إلى الزمن المعاصر داخل بنية الفكر الغربي فحسب، وإنما تتجاوَزها لبيان امتداد هذه التحولات داخل خريطة الفن العربي المعاصر، مع ما يلزم من حرص على ربطها بتطلعات وإشكالات إقليمية كبرى، من قبيل الصناعات الإبداعية والهجرة والعولمة واللجوء والتطرف وسؤال الحكامة والذاكرة وتفاعل كل ذلك داخل الأوساط الاجتماعية العربية.

وبناء عليه، سعى الكتاب في القسم الأول، المعنون بـ"وسائط الفن المعاصر.. التحولات والامتدادت"، إلى بيان الإرهاصات الأولى التي دعت إلى الانتقال من الزمن الكلاسيكي إلى الحديث. ومن ذلك سعي الفنانين إلى التمتع بهامش أكبر من الحرية مقرونة بالاعتراف بما يبدعونه من أعمال يُفترض أن تحمل تواقيعهم الخاصة، بما يؤكد انتقالهم من مجرد "عمال مأجورين" إلى فنانين مبدعين يحظون بمكانة اعتبارية داخل مجتمعاتهم. وحسب الباحث، يسجل للمصورين الفرنسي جاك لويس دافيد والإسباني فرانشيسكو غويا الفضل في اضطلاعهما بهذه المهمة التاريخية، التي دشنت للوضعية الجديدة التي بوأت

بنيونس عميروش

الفنانين مكانة اعتبارية جديدة ليس فقط من خلال تجاوز أعمالهما للأساليب الفنية القديمة، وخاصة فنون الباروك والروكوك، وإنما أيضاً عبر احتلالهما لمواقع متقدمة داخل هرمية السلطة في بلديهما، ما مهد الطريق، في تاريخ لاحق، لظهور ثورات فنية جديدة، كان لها الفضل في تحرير التصوير الغربي من المواضعات الفنية الموروثة ووضعه على عتبة الحداثة وما بعدها وصولاً إلى إبدالات الفن المعاصر.

ومن ذلك ظهور الانطباعية، كموقف إبداعي، التي حررت النظرة والأسلوب الفنيين من الإملاءات الأكاديمية الكلاسيكية، ما سرع الاجتهادات الفنية وقاد إلى ظهور التجريد الفني، الذي تكرس بعد الحرب العالمية الثانية وشكل خصوصية النشاط

الفني على امتداد القرن العشرين. هذه التحولات، سيكون لها صدى خارج القارة الأوروبية، حيث ستشهد الولايات المتحدة ظهور البوادر الأولى لما سيعرف، لاحقاً، بـ"الفن المعاصر"، الذي أشّرت على ميلاده "نافورة" الفنان الفرنسي الأميركي مارسيل ديشامب، وهو العمل الذي كان امتداداً لما دشنه التكعيبيون من مواد خام أضفوا عليها قيمة فنية طريفة. وبذلك، اتخذت النماذج المصنعة والأشياء الجاهزة قيمة مضاعفة تحدّت البعد السامي في كلاسيكيات الفن الغربي.

وإلى ذلك، أبرز الكاتب بنيونس عميروش أن هذه الانقلابات الفنية ستتضاعف بانتقال الفن الفوتوغرافي، باعتباره كتابة بالضوء، من مجرد وسيط لنقل الواقع كما هو إلى حالة فنية جديدة؛ أي إلى ما ينبغي أن يصير عليه هذا الواقع على مستوى التمثيل، ستسهم في تحرير التشكيل من عنصر الحكي، وهو ما قاد كاندنسكي إلى إرساء أسلوب تجريدي متحرر من الإكراهات المرجعية ومتخلص من رقابة العقل، بالتركيز على البعد الروحي، عبر رهانه على "الضرورة الداخلية" التي تجعل اللامرئي مرئياً. هذه التحولات، التي دشنتها الصورة الفوتوغرافية، ستتحول إلى سند تأسست عليه فنون البوب آرت والفن المفاهيمي والبادي آرت واللاند آرت وفن الفيديو، وكلها تعبيرات فنية زادت من حدة التجاوز الذي لحق اللوحة المسندية وسرّع بنشوء أشكال ما بعد الحداثة وصولاً إلى الفن المعاصر. وبذلك، تكرس تلاشي الفوارق بين مختلف الفنون، وظهور علائق جديدة لا تراتبية فيها بين التشكيليين والسينوغرافيين ومبدعي المضامين الرقمية والمسرحيين والأدباء. وهو الواقع الذي أسهم في أرساء الأسس الجديدة للجمالية المعاصرة.

أما القسم الثاني من الكتاب وعنوانه: "الفن العربي المعاصر.. قضايا ورهانات"، فراهن فيه الكاتب على ملامسة التراكم الإبداعي الذي حققه الفن التشكيلي العربي خلال القرن العشرين، بما جعله يتصادى مع ما تحقق في باقي الجغرافيات الفنية في العالم. ومن ذلك، رهان أجيال الفنانين العرب المتعاقبين على الجمع بين الممارسة الإبداعية والوعي الثقافي، في أفق تكريس وعي بصري يحمل بصمتهم الثقافية الخاصة. هذا الطموح الذي يُقدِّر الباحث أنه ما زال في طور استكمال

ترسانته النظرية والتقنية والفنية، أصبح يفرض ضرورة اضطلاع النظام التعليمي العربي، وخاصة التكوين الفني، بأدواره التاريخية، بما يجعل قطاع الفن متجاوباً مع التحولات العالمية المتسارعة، التي ألغت الحدود الثقافية بين الشعوب، ودشنت لقيام صناعات إبداعية تدعم الاقتصاديات الحديثة وتوفر مناصب شغل جديدة.

ومن القضايا الحساسة التي يركز عليها الكتاب في هذا الباب كذلك، الإكراهات التي يواجهها الفن العربي المعاصر في المهجر في سياق العولمة، ونظرة الآخر الغربي إليه ومحاولة تقييمه في ظل غياب معرفة كافية بخلفيات أصحابه التاريخية ومرجعياتهم الثقافية. ناهيك عن موضوعات الهجرة واللجوء والفن والمسألة الدينية والفن وسؤال الحكامة داخل الأوساط التشكيلية العربية، وعلاقة مختلف هذه العناوين الكبرى بالذاكرة العربية وبأبعادها الاجتماعية الراهنة. حيث اجتهد الكاتب في بسط وجهة نظرته المتفائلة في شأن هذه القضايا، بما يدعم تطلعات الفنانين العرب المعاصرين في الوصول إلى أسواق الفن العالمية الكبرى.

سيرة

بنيونس عميروش، فنان تشكيلي وناقد فني من المغرب، مواليد مدينة وجدة سنة 1960. نال جائزة لجنة التحكيم في الصالون الدولي السادس للفن المعاصر حول الموسيقى، في فرنسا 1996. شارك في العديد من الأيام الدراسية والندوات العلمية بالمغرب وخارجه. عضو هيئة تحرير مجلة "الفنون" التي تصدرها وزارة الثقافة والاتصال بالمغرب. عضو هيئة تحرير مجلة "أصدقاء ديونيزوس" في الدار البيضاء.

صدر له: "قراءات في التصوير المغربي المعاصر"، عن اتحاد كتاب المغرب، الرباط، 2015، "مسالك البصري.. مرجعيات ورهانان الفن المعاصر"، عن دار خطوط وظلال في عمّان، الأردن، 2021، "أوراق الكفاف.. الذات والفن والقناع"، مؤسسة بتانة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2022.

صدر له بالاشتراك مع مجموعة من الباحثين: "الشعر والسينما"، منشورات بيت الشعر في المغرب، الرباط، 2022، و"مقاربات نظرية في الحفر الفني العربي" (دراسات علمية محكمة)، وزارة الثقافة، تونس، 2020.

زياد خدّاش في مجموعته القصصـــية الجديدة يخدش الواقع بعمق

«الجراح تدل علينـــا».. كوميديا سوداء بنهايات مفتوحة

كتبت: الدكتورة مليحة مسلماني (القدس)

يقترب الكاتب الفلسطيني زياد خدّاش في مجموعته القصصية الجديدة "الجراح تدلّ علينا" من قراءة الواقع وشخوصه بحسّ ساخرٍ يكتسي حلّة الكوميديا السوداء في أغلب القصص، ما يتيح عرض التناقضات والمفارقات التي تترك في ذهن القارئ مساحة من التأمّل والتساؤلات. كما يقترب الكاتب، عبر بوابة الواقع، من عوالم الأدب المفتوحة على اتساع أفق الخيال المتجاوز للحدود الاجتماعية والمعايير المنطقية.

وفي مسافة تتردد بين العام والخاص، والذاتي والجمعي، والواقع والخيال، تقف قصص المجموعة الصادرة حديثاً عن منشورات المتوسط في إيطاليا، لتُخبِر عن تعقيدات وقسوة الحياة في المخيّم بخاصة، الذي نشأ فيه الكاتب، وفي فلسطين المحتلة بعامة، وكذلك عن إشكاليات الواقع الاجتماعي وتشعّباته وخريطة علاقاته. ينقدها ويفنّدها حيناً، ويتماهى معها حيناً آخر، بأسلوب يُجانب التكّلف، ولا يروم البلاغة وجماليات اللغة بقدر ما يصبو، عبر القصص القصيرة جداً والمتوسطة الطول، وأسلوب الحوار، إلى تصوير الشخصيات بما أمكن من الاختزال، وخلقِ عالمها الدرامي، ورسمِ نهاياتها المفتوحة على بدايات محتملة عديدة.

زياد خدّاش

يفتتح خدّاش مجموعته القصصية التي تصدر قريباً باللغة الإنجليزية بترجمة الدكتور فائق عويس، عن دار النشر العالمية إنرتشايلد، بقصة بعنوان "رجال غرباء"، التي هي عبارة توصيفٍ مختزَل للرواية الاستعمارية للنكبة والتهجير؛ تبدأ القصة بتساؤل طفلة من عائلة احتلت بيتاً فلسطينياً، عن الرجال "الغرباء" الذين يقفون باستمرار أمام البيت، معهم أطفال، وبأيديهم صور فوتوغرافية، وفي عيونهم دموع، ينظرون الى شرفة البيت وإلى الصور التي بأيديهم. لتجيبها جدتها مدعية أن "هؤلاء لصوص دائمون غير يهود، يحاولون سرقة سيارة جدّكِ. سأتصل بالشرطة كما أفعل دائمًا". وفي مدرسة ابتدائية صهيونية في القدس، تطلب معلمة الرسم من التلاميذ رسم مشاهد يرونها من نوافذ البيوت وشرفاتها، فترسم تلك الطفلة مشهد الرجال "الغرباء"، وفق وصفها، الذين تراهم من الشرفة. وحين تطلب المعلمة منها شرح اللوحة، تقدم الطفلة الإجابة ذاتها التي أخبرتها بها جدتها. تقوّض القصة، عبر الاختزال والتوصيف والحوار القصير، التصنيفات الاستعمارية للشعب الفلسطيني صاحب الأرض، وتسخر من النظرة العنصرية التي يتبنّاها الاحتلال الاستعماري في فلسطين في رؤيته للعالم "كيهود وغير يهود"، وتبيّن كذلك الكيفية التي يتم فيها تناقل الرواية الاستعمارية، المشوّهة للحقائق، بين أجيال المحتلين.

من تعقيدات الواقع السياسي تنتقل قصص أخرى إلى عالم الواقع الاجتماعي، الذي يبدو، عبر مجهر زياد خدّاش السرديّ، أكثر وضوحًا، وحقيقيًا دون تجميل أو تزييف. وتجنح العديد من قصص المجموعة، التي تتناول السياق الاجتماعي، والمرتبط بالسياسي والذاتي في آن واحد، إلى توظيف الأمراض النفسية والاضطرابات العقلية لخلق عالم إبداعي يتجاوز حدود المنطق والمعقول، ويفتح آفاق الخيال وتوالي الأحداث ضمن مسارات متعددة وغير متوقعة. كما يثير هذا النوع من القصص التساؤل حول الرؤية المجتمعية لكل من "الإنسان الطبيعي" وذلك "المضطرب نفسيًا أو عقليًا" الذي قد يرى ما لا يراه الآخرون من الحقائق وعمق الواقع وأبعاده، إلى درجة تفوق قدرته على الاحتمال. ومن بين هذه القصص واحدة بعنوان "الحقيبة ليست لي"؛ حيث يصبح مَن هم حول زياد وهو الشخصية الرئيسة في القصة نسخاً مكررة منها، كالممرض والطبيب في مستشفى الأمراض النفسية في بيت لحم. وحالة زياد كانت قد تفاقمت بعدما عاد إلى البيت ومعه حقيبة ليست له، ولكنها تشبه حقيبته تمامًا، كما أن اسمه ورقم هاتفة مكتوبان عليها، وبخطّ يده، لكن محتوياتها عبارة عن متعلقات نسوية لا تخصّه. وبعد صراع داخلي يقرر زياد تنفيذ فكرة مجنونة؛ وهي الاتصال برقم هاتفه المسجّل على الحقيبة، وبينما كان ينتظر صوتًا آلياً يقول إن هناك خطأً تقنياً، إذ لا يمكن الاتصال من رقم بالرقم ذاته، كانت المفاجأة حين سمع رنّة انتظار ثم إجابة شخص يقول له "أهلًا".

تتناول هذه القصة الهويات الفردية والجمعية والفروقات اللازمة لتميّز كل فرد في الجماعة، والتي قد تلغيها عوامل وضغوط تاريخية ويومية قاسية ومتشابكة، إذ لو اختفت هذه الفروقات فلا يعود الإنسان ذاته بل يخسرها ويفقد هويته الفردية. تحيل القصة كذلك إلى الضغوطات الاجتماعية الخفيّة بين سطورها، وإلى التشابه المتزايد بين الأفراد في المجتمع، ما يلقي بظلاله على الذات وقدرتها على التفرّد. كما تحتمل القصة دلالات الخوف من فقدان الهوية الفردية في المجتمع، أو من التحول إلى شخصية أخرى بعيدة عن الشخصية الأصلية.

تقترب بعض قصص مؤلف "أسباب رائعة للبكاء" وبشكل كبير من شخصيات الواقع، وتنجح في تصوير ملامحها النفسية وخريطة أفكارها وآمالها وآلامها وخيباتها عبر أسلوبي السرد والحوار، كما هو الحال في قصة "لي صديق من العالم السفلي"، التي تتمحور حول إسحاق، وهو "سائقٌ غير قانوني، مهرّب عمّال، لصّ سيارات، سجين جنائي سابق"، يعمل، في المؤسسة الإعلامية التي يعمل بها الكاتب، مراسلاً وصانع قهوة. يسرق إسحاق يومياً من الكاتب النقود التي يعطيه إياها لشراء الماء والفستق والترمس، ويتذرع مرة بأنها ضاعت، ومرة أخرى بأنه كان جائعًا فاشترى لنفسه لفافة فلافل. وفي نهاية القصة يجد الكاتب نفسه قد تورط بعقد صفقة مع إسحاق مربحة لكليهما؛ ففي حين سيكتب مقالات مستقاة من حياة إسحاق، سيأخذ هذا الأخير نسبة من المبلغ المالي الذي تدفعه الجريدة للكاتب مقابل المقالات. وحين يقول الكاتب "أنت الآن تتاجر بحكاياتك، يا إسحاق.. انتبه!" فيجيب إسحاق بدوره "وأنت أيضاً تتاجر بحكايات الناس، يا أستاذ.. انتبه!". ينهي الكاتب القصة بقوله "ستكون صفقة رائعة.. شخص يبيع حكاياته وكاتب يشتريها". تثير هذه النهاية السؤال القديم والمتجدد عن علاقة الفنون والآداب، وعالم الكتابة بعامة، برأس المال، والمدى الذي يمكن أن يلعبه النفوذ والمال في رسم حدود ومضامين الأدب، باعتباره صناعة. كما تفرض نهاية القصة سؤالًا أخلاقيًا حول ما إذا كانت القضايا الكبرى، والصغرى المتعلّقة بهموم البسطاء، تشكل جسرًا للأدباء لتحقيق المجد والشهرة؟

من الإشكاليات المادية والأخلاقية وعلاقات المصالح المتبادلة المحيطة بعالم الكتابة، تنتقل قصة "بلا شروخ" إلى العالم الداخلي للشاعر، عبر توصيف تجريدي لرؤية الشاعر الاغترابية لنفسه، ورؤية المجتمع له باعتباره كائنًا غريبًا؛ فبعد سماع الشاعر في أمسية شعرية "أنيقة"، يُذهل الناس "كم هو حقيقي مثلنا! ها هو يسعل، وله غمّازة، وفي يديه شامتان، وعلى حذائه آثار غبار". بينما يعود الشاعر وحيدًا وفي صمت إلى بيته، يُفاجئ بشرخ كبير في بنطاله، يخجل من ذاته، يشعر بالجوع ولا يملك مالًا لشراء طعام وقهوة، يلوم نفسه لأنه لم يأكل مع الناس من صفائح اللحم والسبانخ التي كانت موجودة في

القاعة حيث جرت الأمسية، يندسّ "في فراشه عارياً بلا شروخ". تتناول القصة الصورة النمطية التي يبقى المبدعون من أدباء وفنانين أسرى لها في الوعي الجمعي، واغتراب هؤلاء المبدعين في مجتمعاتهم.

تتمحور قصة "كريم الرومانسي محمّم الموتى" حول شخصية من الواقع أكثر إشكالية وغرابة من إسحاق السجين الجنائي السابق؛ وهي قصة تتحرك دلالاتها في المسافة بين الحياة والموت؛ فالموت يبدو حقيقة لا يودّ أحد الاقتراب منها أو مجرد التفكير فيها، وكل شخص يذكّر بها فهو غالباً غير مرغوب به، بل ومنبوذ، ويصبح عرضة للشك والتشويه ومادة لشائعات. هكذا كانت الحال مع كريم الذي يعمل في المستشفى مغسّلاً للموتى، ولكنه رومانسي ويعشق نزار قباني. يطلق سكان المخيم على كريم شائعات من قبيل أنه يسرق قطعاً من الجثث ويبيعها للاحتلال، ما يزيد من حدةّ حساسية وتوتر المحيط حوله. يخاف الناس من كريم ويتجنّبونه، وهو بدوره يمشي في طرق خاصة تأخذه إلى بيته في المخيم متجنباً خوف الناس وتقززهم منه. وحين يلاحقونه بالخوف والصراخ يطلق كريم الشتائم، متوعّدًا إياهم بالانتقام من جثثهم التي ستصل إليه في النهاية. يستمر الصراع بين مغسّل الموتى والناس الذين يحتارون "أيصالحون كريماً إنقاذاً لجثثهم وجثث أقاربهم من التشويه أم يشكونه إلى الشرطة؟". يقرر الكاتب الاقتراب من عالم كريم، فيزوره في بيته حاملاً علبة تحتوي على كتب لنزار قباني، لتلحق الشائعات بالكاتب أيضاً، بأنه يتاجر مع كريم بالجثث، كما تقول امرأة من الجيران.

يفرح كريم بكتب نزار قباني، ويكرم ضيفه بالعشاء والفواكة والمكسرات والحلوى والشاي، بينما يقرأ له الكاتب من أشعار قباني. يعانقه كريم وبعينيه الدموع ويسأله باللهجة العاميّة: "أستاذ، معقول واحد بحب نزار يقصّ قطع بشرية ويبيعها ويحمل راس بشري ويمشي فيه؟" وحين يبدي له الكاتب عدم قناعته مطلقًا بهذه الإشاعات، يقول له كريم في الصباح التالي "أريدك أن تطمئن تمامًا يا أستاذ، سأحترمها وسأحمّمها جيداً، وسأقرأ فوقها قصائد نزار التي أحبها". يسأل الكاتب في استغراب "تحترم من؟ وتحمّم من؟ لم أفهم، عزيزي كريم؟" يجيب كريم "جثتك الرائعة يا أستاذ؟". يبدع خدّاش في وضع نهاية مفاجئة لقصته، نهاية حبلى بالمفارقات، مضحكة ومؤلمة ومخيفة وتترك سؤالًا معلقًا بلا إجابة: هل تخضع جثث الموتى بالفعل لشكل العلاقة بين كريم وصاحب الجثة قبل وفاته، أو لشكل العلاقة بين كريم وأقارب الميت، أم أنها مجرد شائعات؟

تقترب قصص صاحب "خذيني إلى موتي" من موضوعات أخرى كالطفولة والذاكرة، والألم والقلق، والحب بجنونه ولوعته، كما في قصة تجنح إلى كثير من التجريد والاختزال بعنوان "لكنه لم يخرج" والتي تصبح للحبيبة فيها احتمالات ثلاثة هي: الطفولة، والشباب، والمرض المُنبئ بالموت. يشتري الحبيب باقة ورد وشطيرة زيت وزعتر ورواية، يصعد في سيارة أجرة ويقول للسائق "خذني إليها في احتمالاتها الثلاثة: روضة ومكتبة ومشفى". يعطي الشطيرة للطفلة في روضة الأطفال، وفي المكتبة يترك الرواية للمرأة القارئة، بينما يضع باقة الورد أمام الحبيبة "التي كانت تتحامل على بقايا أنفاسها" في قسم الأورام في المستشفى، ويعود إلى البيت "دخل بيته. لم يخرج أبداً"؛ ما يعني أنه لم يخرج إلى الحياة أبداً، ما يؤكد كون الموت هو الموضوعة الرئيسة الأخرى الملازمة للحب في هذه القصة. كما تحيل الجملة، إضافة إلى عنوان القصة "لكنه لم يخرج" إلى حبيب يعيش الحب في خياله مع حبيبة متخيَّلة باحتمالاتها المختلفة.

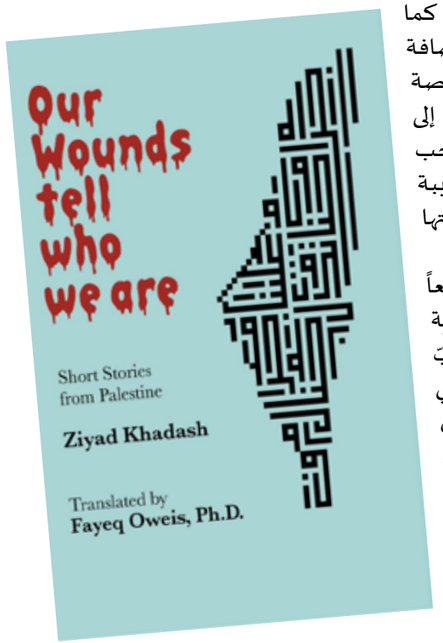

يأخذ الحب طابعاً أكثر درامية وحيوية في قصة "أحبّ الحبّ في القدس"، والتي تتمحور حول علاقة حب بين رجل من رام الله وامرأة من بيت لحم، يلتقيان في المدينة المقدسة ليعيشا فيها قصة

حيهما، الذي يصبح مرتبطاً بشكل وثيق بانتمائهم الوطني، والوجداني، للمدينة. تصف القصة الأوضاع في القدس المتراوحة بين حضور التاريخ، وحيوية الحياة، وبشاعة الاحتلال، وقوة المقاومة الشعبية العنيدة. ففي القدس جنود ينتشرون هنا وهناك يتمترسون في أقفاصهم الحديدية، والشباب المقدسيون الذين سمّوا أنفسهم "إمبراطورية شباب القدس"، يجلسون على درجات باب العمود مناكفة لجنود الاحتلال الإسرائيلي، أو هرباً من أزماتهم الناجمة عن سياسات الاحتلال الهادفة إلى تدمير حياة المقدسيين.

يقول الكاتب إن جلوس الشبان على الدرجات أمام الجنود هو بحد ذاته مقاومة. وفي القدس "قدسات أخرى" منها: كنيسة قديمة، و"بيت شاعر عظيم في عقبة المُفتي أقعده المرض وقتله الخذلان"، ونفق "دير المستنجدات" بحارة السعدية. تشتم حبيبته جنود الاحتلال طوال الوقت، لأنهم يحتلون كلَّ وقت الشعب الفلسطيني. تجنح بعض نصوص القصة إلى اللغة الشعرية؛ يقول زياد خدّاش في قصته "أحبّ الحبّ في القدس، الحبّ الذي لا وقت له، ولا شكل له، أحبه مؤجّلًا أو محوّلًا، أحبّ الحبّ في القدس، مكسوراً بنقص لذيذ، وغرابة ملهمة".

سيرة

زياد خداش كاتب قصصي من فلسطين، وُلد في مدينة القدس عام 1964. في رصيده اثنتا عشرة مجموعة قصصية. يعمل معلّماً للكتابة الإبداعية في مدارس رام الله. حصل على الجائزة التقديرية لدولة فلسطين، كما تأهّل للقائمة القصيرة في مسابقة الملتقى الأدبي للقصة العربية في الكويت لعام 2015. وحاز في العام ذاته جائزة فلسطين للآداب.

من بين إصداراته: "خذيني إلى موتي" (نصوص، 1996)، "الشرفات ترحل أيضاً" (مجموعة قصصية، 1999)، "خطأ النادل" (نصوص نثرية، 2006)، "أسباب رائعة للبكاء" (قصة، 2015). شارك في عدة مهرجانات وفعاليات أدبية دولية، من بينها: ملتقى القصة العالمية في إسطنبول عام 2015، ومهرجان الشعر العالمي في المنامة عام 2010. كما شارك في عدة أمسيات قصصية في كل من الإمارات والمغرب وتونس ولبنان.

بابوشا.. أُمّ الشِّعر الغجري في بولندا

بقلم: الدكتور مارك جيكان

يُعدّ الأدب روح الثقافة وهوية كل شعب. كتبت في هذه الزاوية عن الأدب البولوني والآداب الأخرى، كما قدمت للقارئ صورة عن شعر ونثر الأقلية التترية المسلمة في بولندا. ولكن في بلدي أقليات أخرى أيضاً، منها الأقلية الغجرية. وصل الغجر إلى أوروبا الوسطى في القرن السابع عشر الميلادي. الغجر كما هو معروف جماعة قدمت إلى الغرب من الهند ونجد آثار رحلتها الطويلة هذه في كتب عربية قديمة مثل "مروج الذهب" للمسعودي و"تاريخ الطبري" و"فتوح البلدان" لأحمد بن يحيى البلاذُري، وسمّوهم الزّط.

اما الأدب الغجري فهو أدب شعبي شفهي، فالشعر والأخبار والخرافات والأساطير والأمثال الشعبية دوّن بعضها للمرة الأولى في أوروبا في القرن التاسع عشر. ومع أن الأدب الغجري موجود منذ قديم الزمان فمن النادر أن نجد أدباء الغجر قبل الجزء الثاني من القرن العشرين.

تُعدّ الشاعرة بابوشا (1908 - 1987) واسمها الحقيقي (برونيسلافا فايس)، من أشهر ممثّلي الشعر الغجري البولندي المعاصر. وُلدتْ في شرق بولندا ولكن اتجهت قافلتها فيما بعد إلى الأراضي الأوكرانية والبيلاروسية والليتوانية (حالياً) ولم تعد إلى بولندا، إلّا بعد الحرب العالمية الثانية حيث أقامت في غرب البلاد.

كانت بابوشا إنسانة حساسة جداً نظمت الشعر المرويّ منذ صغرها، واكتشفها في بدايات الخمسينات الشاعر البولندي المشهور يجي فيتسوفسكي الذي ترجم أشعارها من اللغة الغجرية إلى البولندية ونشرها سنة 1956 في ديوان عنوانه "أغاني بابوشا". فيما بعد صدر ديوانها الثاني "الأغاني المرويّة" في العام 1973، وصدر الثالث "غابتي أبي" بعد موتها في سنة 1990.

يمتح شعر بابوشا من الأدب الغجري الشعبي ويعكس أوجهاً مختلفة من حياة القبائل الغجرية ولكنه ليس أدباً شعبياً بل هو أدب "حقيقي" له خصائصه المرتبطة بحياة بابوشا الشخصية ومفهومها للعالم. وهو عالم امرأة غجرية تربّت في بيئة معينة، امرأة تحب الحياة الجوّالة برغم المساواة القسرية المفروضة من قبل الحكومة الشيوعية البولندية.

ومن الموضوعات والرموز المهمة في شعرها هي الغابة التي سمتها بابوشا بأبيها (الغابة في لغتي الغجرية والبولندية كلمة مذكرة). كتبت في إحدى قصائدها:

"غابتي أبي/ أبي الأسود/ لقد رفعتني أنت/ وتركتني أنت".

ونقرأ في مكان آخر:

"لقد وقعت في حبّ الغابة/ أعطتني كلمة غجرية/اليوم أو غداً ستنتهي حياتي/ وستبقى في غابتي/ أغنياتي الغبية/ سوف تغنيها الغابة/ السوداء والخضراء والحمراء".

وبرغم المشاكل التي عاشتها بابوشا بعد صدور ديوانها وحوارها مع فيتسوفسكي، من قبل جماعتها التي اتهمها بخيانة الأسرار الغجرية، صارت اليوم من أكبر وأهم رموز الثقافة الغجرية البولندية. ترجمت أشعارها إلى لغات أجنبية مختلفة. ولم يقف الشعر الغجري عندها بل هناك شعراء من الجيل الجديد يكتبون وينشرون بالغجرية وبالبولندية. فاليوم الشعر الغجري يتطور ولكن وجود هذا الأدب غير ممكن بدون أمّه بابوشا.

• مستعرب ورئيس قسم دراسات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في جامعة وودج البولندية.

رواية الشاذلي القرواشي تدعو إلى المصالحة بين العقل والقلب

«ظلام منحوت».. تضافر الحواس في سردية متمرّدة

كتبت: هدى الهرمي (تونس)

في ضوء التحوّلات السريعة التي تمرّ بها البشرية وتنامي الاتجاه نحو العالم الماديّ الصاخب، فقد الإنسان البوصلة إلى حدّ كبير، بغياب اتصاله مع ذاته ودواخله التي تنبثق منها العوالم الرّوحية ليتّحد مع الكون. فكشفت رواية الروائي والشاعر التونسي الشاذلي القرواشي "ظلام منحوت" عن المُدركات التي تعتمد على تضافر الحوّاس والبصيرة لتكوين صورة حقيقية عن الوجود والكامنة في الذات الإنسانية، فتسهل القدرة على دحر الظلام وتشكيل الضوء. وحيثما وُجد الفعل الإبداعي، فثمّة مُحاورة للأفكار والنظريات لتتّسع دائرة التلّقي والتأويل عبر رحلة الاستكشاف المتصلة بموضوعات الوجود ومكنونات الإنسان.

لطالما كان التأمّل في الذات الإنسانية منفذاً إلى محاورة الوجود وإحياء الأطروحات الفلسفية، واستدعاء الخطاب الصوفيّ بما يكتنفه من شموليّة وقيم روحيّة تشكّل نقطة ارتكاز لجوهر الحياة. وبإمكانات واسعة وسرديّة متمرّدة وموصوفة بالانحياز للكينونة، تنقلنا "ظلام منحوت" الصادرة عن دار إفريقية للنشر في تونس 2020، إلى محاكاة الإيقاع الرّوحي العميق بدل الغرق في العالم الماديّ المرهق. تتمثّل الرواية الفلسفة والتصوّف، وتتجاوز السائد بالبحث والتقصّي عن الصفاء الإنساني. وتتفعّل هذه النزعة فيما أشار إليه الفيلسوف الألماني هايدغر ومن بعده هانز غادامير بعدم الاكتفاء بالظواهر الماديّة، بل ثمّة عوالم شاسعة غير مرتبطة بالإدراك الحسّي وبواعثه، إنّما تتجاوز ذلك بأصول فكرية وروحيّة كطرائق بديلة لـ"فنّ العيش" المؤدي إلى درجة عالية من النضج، بدءاً من الداخل والاشتغال على التنبيه الروحي ونحت "الذات" الملهمة للحقيقة عملاً بمقولة سقراط "اعرف نفسك بنفسك".

من هنا تتقاطع العوالم الماديّة والروحيّة لتشييد جملة من الموضوعات المختلفة كالمعرفة والعرفان الصوفي، وربّما من المثير أن يشكّل نصّ الرواية موسوعة من المفاهيم والنظريات الفلسفية والفكرية من خلال مُحاورات متنوعة وعميقة بين الشخوص، أبرزها التي تدور بين سارّة، الطالبة الجامعية المهتمة بمادّة الفلسفة وصديقتها رتاج التي ولدت فاقدة نعمة البصر، لكنها مختلفة بقُدراتها الفائقة والاستثنائية في التواصل مع العالم. أما الرابط القويّ بينهما فهو "عمق المعرفة وحبّ الاكتشاف" لإثارة قوى الإدراك والتخيّل والتحليل لدى القارئ بمنأى عن البديهيات والقوالب الجاهزة والمقاييس العقلية الصارمة، واستناداً إلى مضامين تنطوي على إشارات ورؤى متنوعة تنبع من الخطاب السردي المفعم بمقاصد الرواية والبحث في المقام الأول عن المعرفة أو بالأحرى عن النور بما يطبعه من طاقة خارقة في الكائن البشري على اختلاف أشكالها وتعدّد درجاتها.

تعكس العتبة الرئيسة لهذا العمل الروائي والمتمثلة في العنوان "ظلام منحوت" تلك القدرة في تعزيز الشعور بالاستكشاف والمتعة في آن واحد. فتفعيل كلمة النحت في اللغة هو توليد شيء من شيء، وبالتالي توليد النور من العتمة، وهذا تأويل مضمر وغير محدود لمفهوم الظلام. وذلك تبعاً لسياق النص الروائي. كما يختبر العنوان تلك القدرة في إعادة تشكيل المعنى كفنّ يُحوّل الأشياء المجرّدة إلى أشكال أو مجسمات فنيّة ثلاثية الأبعاد. من جهة أخرى يحرّر الكاتب الظلام من النزوع اللغوي الصرف، فتنجلي العتمة كفعل بشري لتقويم الذات المنغمسة في الظلام وقابليّة نحتها من الداخل. ورغم أن النحت فنّ مرئيّ، بالمقارنة مع حالة الظلام وغياب الضوء المانع للرؤية، ومن ثمّ دعوة لاكتشاف العالم الرحب بكل تناقضاته وأسراره العميقة، في رحلة تتضمّن مختلف الخبرات المعرفية التي تراكمت في الوعي الإنساني، كنافذة نعيد من خلالها النظر الى الوجود برمّته: "بعيداً إلى ما وراء النور والظلام والخير والشرّ".

تتجلّى جمالية المعرفة ضمن مسار فلسفي دالٍ على انخراط السرد الروائي في رفض النمطيّة والطّرح التقليدي، وجعل المُتلقّي في حالة انتباه ويقظة فكريّة، حيث يعرض الكاتب باقة من النظريات الفلسفية لعلماء عدة دون التحيّز لمذهب بعينه. مثل نظريّة التطور والنشوء الداروينية التي أطلقت سنة 1859 حول أصل الإنسان. ومن ثمّ محاربة هذه النظرية وحسمها علميّاً. ولا يتعلق الأمر هنا بالنسخ بل هو مجاراة لنظرية ما ومناقشتها، الأمر الذي يُجسّده هذا المقطع من حوار طويل في الرواية:

• رتاج: "... ولكن فقط أردت أن أنهك إلى أنك تمهدين لإعادة طرح نظرية داروين نفسها، حول النشوء والارتقاء، وأنت تعلمين أكثر منّي

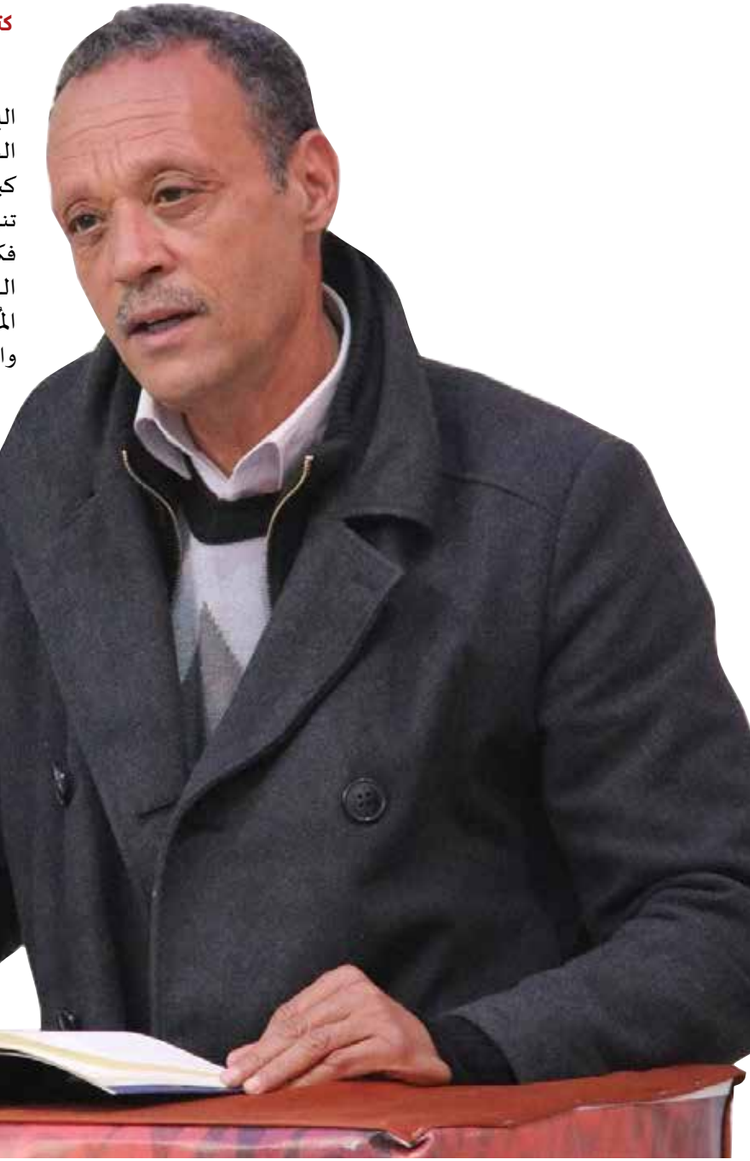

الشاعر التونسي الشاذلي القرواشي

أن هذا الموضوع قد تمّ حسمه علميّاً، وخاصة فيما يتعلق بمسألة عدد الكرموزومات لدى الإنسان والحيوان، وأثبتت الأبحاث أن جدّنا ليس قرداً على الأقلّ، بل هو آدميّ مثلنا خُلق من الأديم ذاته".

• سارة: "نعم، هذا كلام صائب من وجهة نظر علمية، ولكن العلم نفسه، عوّدنا بإعادة النظر في نتائجه، حسبما يتوفّر من معطيات جديدة، لذلك فإن الحسم في هذه المسألة نهائياً يبقى قيد النظر".

كما تتضّح أيضاً جمالية فنيّة بمقدار تنوّعها كنمط أساسي في السرد السلس بقالب أدبيّ ومقومات لغوية وأسلوبية مميزة، فتبدو الرواية مُحققة لمقاصدها وغرضها الفكريّ، لتنتقل بالقارئ وبدءاً باللغة، من ظلمة الواقع إلى نور المعرفة، وحسب تعبير المؤلف: "أفكار تحاول أن تلامس الكنْه الإنساني وتسبر أغواره".

ولعلّ من أهمّ ما يميّز "ظلام منحوت" هو نسيجها المتمثل بتعدد الأصوات "البولوفوني" والشّكل الحواري المتصّل بأسئلة الوجود، من خلال التعارض أو الاتفاق حول موضوعات بعينها: الطاقة النورانية، الكرامات، الانفعالات البشرية المتصلة بالأدرينالين، الجسد الأثيري، التخاطر الروحي والعالم الباطني. وذلك في أزمنة مختلفة ومنظورات متعددة، ثم إعادة تدويرها في الذهن. فأفاضت الرواية في تقديم أفكار مهمّة وعناصر مستحدثة لتوسيع أفق التلقّي النموذجي.

كما يقوم العمل على التأمّلات والغوص في الماورائيّات من خلال المنحى الصُوفيّ، بما ينطوي عليه من أسرار ومعارف خفيّة، ليترتّب عنها مقاطع سردية ذات مدلولات عميقة أشبه بشفرات ورسائل إنسانية، لعلّ أبرزها، الواقعة التي عاشها هشام الكفيف تماماً مثل حبيبته رتاج ودخوله معترك الوجدان، بعد تعرّضه لحادث سير مريع ودخوله في غيبوبة لأشهر، عاش خلالها أموراً عجيبة عدة في غرفة الإنعاش، مثل رؤية الأشياء والأطّباء والأشخاص المُقرّبين منه، رغم أنه لم يسبق أن أبصر. كما شاهد عوالم غريبة من الأنوار وأناساً سبق أن فارقوا الحياة، ثم عاد إلى الحياة وبدا كشخص زاهد يأتي من أقاصي السماء ليكتشف عالماً مُغايراً ومجهولاً.

ومن خلال زيارته للجنوب التونسي بمعيّة صديق له، تحديداً لمنطقة "الرديّف المنجميّة"، يحطّ الرحال بزاوية عريقة لشيخ من الأقطاب الصوفيين "سيدي أبي القاسم بلخيري" ليخوض تلك التجربة الصّوفية المرتكزة أساساً على المحبّة ومساعدة الآخرين، ويصبح أحد المريدين الباحثين عن الخلاص الروحيّ. ومن ثمّ تطّرق القرواشي إلى مرجعيات غيبية وعلوم الطاقة، أهمها قوّة الحدس والذّرات الأثيريّة للجسد وخصائصها أو بالأحرى "الجسد الأثيري وما يختزنه من الذّرات الأولى المستنسخة التي تحمل الوعي بذاتها وبالأشياء". وحسب الباحثين والعلماء تُعتبر طبقة الجسد الأثيري إحدى الطبقات السبعة للهالة النورانية أو النسيج الغشائي للجسم، وهو بمثابة المنبع الأساسي لطاقة الإنسان، كما أنه أداة روحيّة قويّة ووسيلة اتصال مع الآخر حسب علماء النفس.

يقول الفيلسوف الألماني أرنست بلوخ "لا

شيء يمنحنا انطباعاً بوجود إجابة ممكنة إذا لم يتوافر في البدء تساؤل ما، لهذا السبب وحده، نجد أن أشياء ساطعة بقيت في معزل عن رؤيتنا وكأنها لم تكن أبداً"، وهذا التساؤل المحوري الذي تكشف عنه الرواية على مستويات عدة تتعلق بالمرجعية الميتافيزيقية والبحث في جوهر الوجود. لذا تميّزت أصوات الشخصيات بحرارة النقاش وانحرافها عن النموذج الدرامي والكلاسيكي وتوجّهاتها حيال الموجودات وجوهرها وأسرار الكون اللامتناهية.

هذا التساؤل هو لبّ الحوارات القائمة على التأمل والتقاط ذبذبات الكون الفسيح، فتصير بمثابة "سفر ذهني" أو مأدبة شاسعة زاخرة بالعلوم والمعارف، فلا تخلو من توليد عوالم "يحتدم فيها الحاضر بالماضي" ولا تقتصر على مكان معين بل هي موزعة على أماكن عدة بالعالم، حيث يتناوب الشخوص (رتاج، سارة، هشام، زينب، عصام، وفيليب) في تأثيث الطابع الفكري والوجداني للرّواية لتتوافق مع المطارحات الفلسفية والصوفيّة داخل سياق الأحداث المؤطّرة لإثارة خطاب مُزدوج بين الإظهار والإضمار.

ولم يتوان الشاذلي القرواشي في ابتكار فضاء مفتوح على الأسئلة الوجودية، فصار متلبّساً بعالمه الميتافيزيقي، دون أن ينقض الطابع السرديّ والتخييلي للرواية وذلك من خلال رحلة سارة إلى ألمانيا، هذا البلد الذي يرمز لقوّة العقل "هذه الخليّة التي استقطبت تاريخاً مختلفاً عنها، وكأن طبيعة ثانية تهيأت في حياتنا فصعدت الرّغبة في داخلها إلى الأعلى حيث يكمن العقل". أو كما يراها نيتشه مماثلة في بنائها الفكريّ للمتاهة.

لقد كانت رحلة إصغاء للطبيعة، والكائنات، والموجودات، بعيداً عن "لغة التواصل الإنساني المخادع" والعجرفة البشرية وعدم احترام قوانين الوجود، وكأنها "متّحدة بالأرض"، إذ تحوّلت علاقة سارة بالطبيعة إلى اندماج كليّ على طريقة كبار الزّهاد المختنقين من الزيف والكدر الحضاري.

كذلك تنبغي الملاحظة أن الكاتب اشتغل على الأنساق العقلانية والروحيّة، كشكل من أشكال الحجج والبراهين، وبمنأى عن صرامة التاريخ والعلم والمنطق، بالدعوة إلى المصالحة بين الفكر والواقع والمعقول واللامعقول، والسعي للتوفيق بين الحسّي والغيبي. وقد تحقّق للكاتب الإلمام بجميع هذه الجوانب دون تنظير أو تعسّف، ممّا يشير إلى مقدرة على توظيف نوع أدبي متداخل مع أنواع أخرى، من خلال وظيفة "الكتابة" وظروف تشكّلها، حسب رؤيته الخاصّة المعوّلة على التفكير والبحث، دون ارتباط كليّ بالواقع المحلّي الضيق. بل كان التركيز على مفاهيم ورؤى إنسانية، لتأخذ الرواية منحى مختلفاً في ظلّ استراتيجيات ظاهرة وخفيّة، وبمنأى عن المدلول التقليدي للغيبيات. إذ تنبثق شتّى عوالم الرواية من وعي خاصّ، ووفقاً لطبيعة المجال السرديّ ومسالكه الأدبية والفنية. وهذا "التحّدي" نفسه لا يأتي من فراغ أو يتحدّد في مسار أدبيّ بحت، لأن ذلك يحتمل الصنعة وأبعاد ذهنيّة عميقة، ممّا يُفضي إلى مقوّمات عدّة تُحقّق الجدل بين ماهيّة "الظلام والنور" وتموقعات الإنسان المعاصر في أقاصي الوجود، بل هي أقرب إلى مخاطبة العقل والقلب على حدّ السواء، حتى لا يستحوذ العقل وحده على كلّ فكرنا.

سيرة

الشاذلي القرواشي، شاعر وروائي من تونس، من مواليد تونس العاصمة سنة 1965. شارك في عدّة مهرجانات ثقافية وطنية وعربية. أنتج أربع مسرحيات، فضلاً عن أوبريت شعري في التاريخ النسائي التونسي بعنوان "تاريخهن" ومجموعة أغانٍ ساهم بها في مهرجان قرطاج الموسيقي.

أصدر قصصاً للأطفال بعنوان "سلسلة العبر".

وأصدر المجموعات الشعرية: "بردة الغريب"، "ظلال الحروف الرائيّة"، "الارتفاع الأملس"، "حداء".

وفي الرواية صدرت له الروايتان: "القلادة" (لليافعين)، و"ظلام منحوت".

رواية أنس الفيلالي الفائزة بإحـــدى جوائز الشارقة للإبداع العربي

«وداعًا كولورادو» ترصد المــرايا المتشظية للمثقف

كتبت: بشرى الموعلي (طنجة)

يرصد الروائي والشاعر والباحث المغربي الدكتور أنس الفيلالي في روايته الجديدة "وداعًا كولورادو" انعكاسات الواقع المأزوم على تحولات المثقف العربي، في إطار مكانيّ وزمانيّ جاء بؤرة تتشظّى منها مرايا المثقف في واقع يتأرجح بين التهميش والفقر ومقاومة الإحباط. وتكشف الرواية أمراض ثقافية عبر صور وتمظهرات متباينة على المستويين النظري والعملي، مثلما توقّف عندها كتّاب ومفكرون من قبيل أنطونيو غرامشي وجون بول سارتر وميشيل فوكو وإدوارد سعيد.

في الرواية الصادرة حديثاً عن منشورات دائرة الثقافة في الشارقة، والحائزة المركز الثالث بجائزة الشارقة للإبداع العربي، يطرح بطل العمل، وهو الكاتب الشاب الفقير، سعيد بنقدور، أسئلة عدة عن الحاصلين على جوائز كبرى، وعن القرّاء والكتّاب المغمورين، وعن المعاناة المتمددة على خريطة الكتابة.

سعيد الذي لطالما حلم بأن يصير نجمًا روائيًا في الأدب، كان منشغلًا بموهبته في الكتابة التي كانت دائمًا مصدر فخر لأسرته وجيرانه، لكنه وفي خضم ذلك الانشغال المتواصل، لم يدرك قط أن موهبته ستتحول فجأة إلى منبع لآلامه وحزنه، وسببًا رئيسًا في هلاكه أيضًا. ينتسب سعيد إلى مدينة القصر الكبير؛ المدينة التي يرسم الراوي ملامحها في مطلع الرواية ويصورها على أنها "جنة مفقودة وجحيم سائد" في ذات الآن. إنها الفضاء الذي تتبلور فيه أهم شخصيات الرواية، خصوصًا حي دار الدخان الصفيحي الموجود بهامش المدينة، وهو الجو العام الذي يسيطر على حياة بطل الرواية. يقول الناقد عبد الرزاق اسطيطو عن الرواية: "كما أن التهميش بكل مظاهره من فقر وبطالة وغيرها الذي طال المدينة على مدار التاريخ، والذي معه تنعدم فرص الحياة السعيدة سوف يطال كذلك شخصيات الرواية وعلى رأسهم الشخصية المحورية سعيد بنقدور، وهو التهميش الذي سوف يدفعه إلى ترك الجامعة والاشتغال في الفرن".

رغم شغف سعيد بالمطالعة وحبه العميق للكتابة والأدب، إلّا أن الظروف المادية المزرية ستدفعه إلى ترك الجامعة والاشتغال بفرن تقليدي. ومع مرور الزمن وهو على حالته تلك يتعرف عبر الإنترنت على كاتبة من أصل مغربي، تعمل أستاذة للأدب المقارن في إحدى الجامعات الأميركية تدعى روزاليندا، التي أبدت إعجابها بقصصه القصيرة التي ينشرها من وقت لآخر في منابر مغربية، فشرعت بعد موافقته ترجمها إلى الإنجليزية. ثم أخذت أحلام سعيد بعد ذلك، تتراوح بين حبه لها ومحاولته الهجرة بوساطتها إلى الولايات المتحدة، وبين تحقيق طموحه بمساعدتها له في أن يصبح كاتبًا مشهورًا ومنتشرًا في مختلف دول العالم الغربي الناطقة بالإنجليزية. لكنه سرعان ما يكتشف سر زواجها برجل لم تكن ترغب فيه، وطريقة زواجها التقليدية، ثم حياتها مع زوجها الذي كان يرغمها على التشبث بالتقاليد والعادات المتعارف عليها في بلده المحافظ رغم استقرارهما، لتدخل الرواية في جملة من الأحداث المثيرة التي تنتهي بلقائهما في الدار البيضاء، حيث صدما بسطحية العلاقة الافتراضية التي كانت تجمعهما وزيفها، وبعلاقتهما الواقعية المختلفة تمامًا عن علاقتهما عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

وفي نهاية الرواية، يختفي سعيد عن الأنظار، ليعود مجددًا في خاتمة مأساوية يلتقي فيها بصديقه القديم شكري الناصري، الذي سرق منه روايته التي كان يحلم بنشرها ويتوقع لها أرفع الجوائز ليغير وضعه الاجتماعي، حيث نشرها شكري باسمه بعد أن صار عميد كلية بإحدى الجامعات.

على امتداد صفحات الرواية، يسلط الكاتب أنس الفيلالي الضوء على ثلة من القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، أبرزها: الفقر والتهميش اللذان عانت منهما بعض المدن الصغيرة في المغرب، كما يصوّر مختلف مظاهر وطموحات وأحلام المثقف المغربي وتحولاتها السلبية والإيجابية. ولأهمية ذلك تتكرر كلمة "المثقف" مفردًا وجمعًا 45 مرة في العمل، فمن جهة، تبرز صور المثقف من خلال مجموعة من التعريفات النظرية والمختلفة الأبعاد والتصورات على لسان شخصيات العمل وأبطاله الرئيسيين أو الثانويين الذين أوردوا تعريفات لدور المثقف لدى علماء الاجتماع، أو كما يرونها بشكل شخصي. يقول سعيد: "المثقف، لا نميزه بين عموم الناس، لا بإنتاجاته، ولا بصورة المثقف التي يصنعها وينعته بها الآخرون، ولا حتى بالذي يحمل كمًّا من المعلومات التي حفظها عن ظهر قلب، ولا يعرف معناها أو مدلولها أو ماهيتها. وإنما المثقف، هو ما يحمل همًّا إنسانيًّا، وحضاريًّا، سواء كان مكتوبًا، أو شفهيًّا". أما من جهة أخرى، فإن صور المثقف تبرز في الرواية على المستوى الواقعي من خلال ما تعيشه شخصيات الرواية وأبطالها من مواقف وسلوكيات وأحداث في مجتمع متغير بتغير شخوصه وعوالمه.

عمل المؤلف على إثارة فضول القارئ تجاه بعض فئات المجتمع، وتجاه همومهم وقضاياهم، بداية من معاناة العمال المياومين، ومشكلة القراءة الراجعة إلى انعدام وجود مكتبات وقاعات للقراءة في المدينة، وضعف القدرة الشرائية للكتب، وصولًا إلى القدرة على التغيير؛ إذ يستعرض المؤلف في روايته قدرة الفرد على تغيير واقعه، وكيف يمكنه تحقيق أحلامه وطموحه، من خلال التركيز على أهدافه والمثابرة والاجتهاد إلى أن تُفتح

الدكتور أنس الفيلالي

في وجهه أبوابٌ جديدة. كما تتطرق الرواية بعمق وبأسلوب يجمع بين السلاسة السردية والأناقة الشعرية في الوصف والتشبيه إلى موضوعات شائكة مثل الفساد الذي يطال بعض الأوساط الثقافية، والازدواجية التي يعاني منها مثقفون وكتّاب في عموم الوطن العربي، فيقول على لسان إحدى شخصيات الرواية: "من الأفضل أن نظلّ على ارتباط وثيق بكتابات الكاتب، لأن شخصيته في الأغلب مناقضة لما يكتبه وينشده في مواقفه"، داعيًا بذلك إلى التركيز على النص لا على الكاتب وشخصه في خطاب أشبه بالخطاب البارتي (نسبة إلى رولان بارت) المناشد لموت المؤلف، على اعتبار أن الكتابة حياد يجب تحريره من جميع الهويات، بدءًا بهوية مؤلفه. كما تذكرنا هذه المقولة بقولة أخرى للكاتب المجري آرثر كوستلر، مفادها: "هل أتيت لرؤية الكاتب؟ كن حذرًا، إنه أمر مخيب للآمال". وهو مجاز يقصد به صاحبه بأن الصورة المثالية التي نرسمها لشخص الكاتب من خلال مؤلفاته قد تكون مغلوطة وقد تتعرض للانكسار لحظة اللقاء به أو التعرف عليه عن قرب. وذلك ما حدث مع بطل "وداعا كولورادو"، سعيد، والكاتب عبد القادر قندقجي الذي كان يحترمه ويقدره إلى أن اصطدم بجشعه وزيفه في لقاء ثقافي نظم بالمدينة، وكان قد حضره بغية الحصول على نسخة موقعة من كاتبه المفضل الذي كان هدفه بيع الكتب، غير مكترث بوجود سعيد ولا بأسئلته. وهذه إحدى صور الكاتب، لكن من دون تعميم. إذ إن الرواية تظهر على الجانب الآخر شخصية كاتب آخر يدعى الشيخ الذي التقى به سعيد في حفل إطلاق قصته القصيرة، ولمس فيه عزة الكتّاب والمثقفين الحقيقيين وترفّعهم، حيث قال في وصفه: "نظر إلى الشيخ فرآه هادئًا وحده في هذه القاعة التي أصبحت مثل إسطبل من الهرج ينخرط فيه كلّ هؤلاء الفنانين والكتّاب ورجال المال والسلطة الشرهين". فكان الشيخ الذي نكتشف فيما بعد أنه ليس سوى الكاتب المغربي الشهير محمد شكري، الذي يمثّل لسعيد قدوة ونموذجاً يتمنى أن يصير كاتبًا مثله.

سيرة

الدكتور أنس الفيلالي؛ شاعر وباحث وروائي من المغرب، من مواليد مدينة القصر الكبير، عام 1986. حاصل على درجة الدكتوراه في التاريخ بكلية الآداب في الرباط سنة 2017. حاز جوائز وطنية وعربية في الرواية والبحث التاريخي وأدب الرحلة والشعر، منها جائزة الشارقة للإبداع العربي. كما كرّمته دائرة الثقافة في الشارقة رفقة مجموعة من المبدعين الشباب سنة 2012. ونال أيضًا الجائزة الأولى في الإبداع الشعري، بكلية الآداب في تطوان 2009، وجائزة ناجي نعمان الأدبية في لبنان 2009، وجائزة عبد الكريم الطبال في تطوان 2010، والجائزة الأولى للباحثين الشباب، من الجمعية المغربية للبحث التاريخي.

تُرجمت له أعمال شعرية إلى اللغات الثلاث، الفرنسية والإنجليزية والإيطالية.

من مؤلفاته في الشعر: "نشيد المقبرة"، "مديح الرماد"، و"مرثية البوح الأخير". وصدر له في حقل البحوث والدراسات: "القضية المغربية في الخارج 1938 - 1949"، "المغرب خلال عهد الحماية وأنشطة الوطنيين المغاربة في الخارج 1938 - 1953"، "المغرب والبرتغال.. تاريخ مشترك وذاكرة متقاطعة"، و"الاستعمار الإسباني لمنطقة مراكش الخليفية".

سيرة محمود درويش

بقلم: زهير أبو شايب

محمود درويش ليس مجرّد شاعرٍ كبيرٍ ارتبط اسمه بفلسطين من جهة، وبالحداثة الشعريّة العربيّة من جهة أخرى، بل هو، في نظري، مكتشف قارّة شعريّة لم يسبقه إليها أحد من شعراء الحداثة العرب، الّذين ما لبثوا أن تبعوه إليها ليكونوا من أهلها الأصليّين، حتّى إنّك لتجد جيشًا من الشعراء الدرويشيّين، الّذين يستخدمون المفردات ذاتها والمناخات ذاتها والأسلوبيّات ذاتها، ويقتاتون على المعجم الاستعاريّ ذاته الّذي ابتكره درويش أثناء مسيرته الشعريّة الطويلة.

والحقيقة أنّ أثر درويش لم يقتصر على الطبقة الوسطى من الشعراء، بل تعدّاها إلى طبقة الشعراء الكبار، الّذين أحسب أنّه قد مسّ معظمهم بشكل أو بآخر. إنّني أعتقد بأنّه ما من شاعر عربيّ- بدءًا من جيل السبيعينات- إلّا وفيه شيء من نزار، وشيء من أدونيس، وشيء من درويش، فهؤلاء يشكّلون الثالوث الأعظم الّذي قامت عليه القصيدة العربيّة الجديدة: (الجسد/ الهويّة/ المكان).

ويستطيع القارئ الحصيف أن يلمس بسهولة أنّ اشتغال درويش على (المكان) لم يقتصر على كونه (وطنًا)، بل تعدّاه إلى كونه جسدًا ممتدًّا، ثمّ إلى كونه شكلاً من أشكال الهويّة.

لكنّ ما لا تعرفه إلّا قلّة قليلة من الناس هو محمود درويش نفسه، الّذي لم يكن مجرّد منتج للنصوص؛ بل كان، مثل كلّ الكتّاب الكبار في التاريخ، منتجًا لذاته الإنسانيّة بالدرجة الأولى، بحيث غدا رمزًا وطنيًّا وقوميًّا بارزًا ينافس الرموز السياسيّة ويتفوّق عليها في كثير من الأحيان. لكنّ العجيب، مع ذلك، أنّه لم يكتب لنا سيرة تلك (الذات) الساطعة، بل تركها مبعثرة بالكامل في ذاكرات أصدقائه الكثيرين وأهله ومعارفه، ربّما لأنّ تدوين السيرة كان سيحوّله إلى كائن هرم ماضويّ يتذكّر، فيما هو كائنٌ يحلم ويتشبّث بقشّة الحلم الّتي ستنقذه من الغرق، ولا يدع متّسعًا في لغته ووجدانه للألم والتأسّي على المفقودات.

إنّ امتناع درويش عن كتابة سيرته لهو تعبير عن ضخامتها، من جهة، وعن كونها شكلاً من الإرث الجماعيّ الّذي آل إلينا، وبات من مسؤوليّتنا كلّنا جمعه وتحيّله وتدوينه والحفاظ عليه.

لقد ابتكر لنا درويش نموذجًا للشاعر الفذّ الّذي استطاع أن ينافس السلطة دون أن تلتهمه السلطة، وأن يكون (الناطق الشعريّ) باسم شعبه دون أن تلتهمه السياسة. وإنّ حديثنا، الّذي لا ينقطع، عن محمود، ليس حديثًا عن شاعرٍ مات ولم يبق منه سوى قصائده، بل هو حديث عن تلك (الذات) الحيّة الّتي حاورت الموت كثيرًا في القصيدة، وأبرمت معه اتّفاقًا سرّيًّا يقضي بحقّها في العودة إلى الحياة. وليس ذلك إلّا شكلاً من أشكال تخيّل درويش وإعادة إنتاجه، وابتكار نسخة جماعيّة منه تجعله ليس مجرّد شاعرٍ فلسطينيّ أو حتّى عربيّ، بل ملمحًا مضيئًا من ملامح ذاتنا الجمعيّة، وجزءًا من الهويّة الّتي نعرّف بها أنفسنا أمام عالم لا يهتمّ كثيرًا بمعرفتنا.

• شاعر وفنان تشكيلي من فلسطين/ الأردن

رواية الكاتب الفرنسي نيكولا ماثيو تفتح دائرة الماضي المغلقة

«كونيمارا».. نشيد لجـــيل الفرص الضائعة

كتبت: سلمى الغزاوي (المغرب)

يعود الكاتب الفرنسي نيكولا ماثيو بعد مرور ما يناهز الأربع سنوات على حصده جائزة غونكور عن روايته "أبناؤهم من بعدهم"، برواية "كونيمارا" التي تبدو ظاهريًا مختلفة عن مشروعه الأدبي الذي يتبناه، وهو الكتابة عن مشاكل المهمَّشين والمُغيّبين الذين لا نسمع صوتهم، ولا يتبادر إلى أذهاننا أنهم يعانون في مفترق طرقات الحياة الدامية، غير أن هذا الاختلاف الظاهري مضلل، كون البطلَيْن في روايته الجديدة الصادرة عن منشورات "آكت سود" عام 2022، يشكلان تجسيدًا حيًّا للعديد من الناس الذين نعرفهم أو نصادفهم يوميًّا، دون أن نفكر لوهلة فيهم، وفي الغوص في هاوياتهم الداخلية لنطلع على ما يعتمل في صدورهم. ببساطة، اختار نيكولا ماثيو هذه المرة أن يدعونا إلى تأمل لوحته الانطباعية عن أزمة منتصف العمر، المسكوت عنها والمُغيَّبة، عبر رواية اجتماعية سوداوية، بمثابة رحلة في الزمان والمكان بين رغبات وأحلام المراهقة والصبا التي دفنها الواقع، والاختيارات المصيرية التي تحدد نجاح أو فشل حياتنا، وخيبة الأمل إثر الصحوة الفُجائية في الحاضر، لهذا الجيل الذي فتح عينيه وتعرض لصدمة بلوغه الأربعين، دون أن يعي كيف تبخرت أحلامه وآماله وسنوات شبابه في زحام الحياة، بسبب السعي إلى تحقيق مكانة اجتماعية مرموقة، أو أحلام سحقتها صخرة الواقع.

من خلال فصول يتناوب فيها السرد كل من البطلة هيلين والبطل كريستوف، وعبر سفر في الزمن يمتد من منتصف التسعينات إلى عام 2017، بين الماضي المشرع على الاحتمالات المبهجة، والحاضر الناضح بالخيبة والأسى، نتعرف أكثر فأكثر على هذين البطلين: هيلين، التي يفتتح الكاتب الرواية بمقطع استيقاظها غاضبة وساخطة على وضعها، مع أنها تمثل المرأة "الناجحة" حسب التصنيف الاجتماعي، والتي شارفت على بلوغ الأربعين من عمرها، مما تسبب لها في صدمة وأزمة، جعلتها تفكر في أنها لم تعد صبية، كما أنها لم تبلغ الشيخوخة بعد، لكنها تعتقد أنها ما عادت سوى بقايا متهالكة لنُسختها السابقة، هيلين الشابة اللامعة، الجميلة والمثيرة، والمفعمة بالأحلام والإرادة القوية. إنها امرأة حققت الكثير في حياتها، مقارنة بالعديد من صديقاتها وبنات جيلها. غادرت مسقط رأسها الذي لا مستقبل فيه، درست وتفوقت في كلية التجارة بباريس، نجحت في الحصول على وظيفة ممتازة بأحد أكبر مكاتب الاستشارات، ثم اقترنت برجل جذاب وغني، رزقت منه بطفلتين. باختصار، لقد عاشت هيلين حياة باريسية مثالية، أخّاذة، تتخللها العديد من الأسفار على متن سيارة دفع رباعي فاخرة، وأمسيات باذخة في منزلها المُترف، إلّا أنها الآن، وهي تقوم بِجَرد حصيلة حياتها، تجد أنها امرأة ناجحة وغير سعيدة، أهدرت سنوات شبابها في الركض وراء النجاح وتبوّء مكانة اجتماعية مهمة، لتفكر وهي تتأمل حياتها السابقة ونجاحها الذي لا ينكره أحد: "منذ البدء، كانت القصة كلّها تتعلق بالنجاح، ولكن، أيستحق الأمر العناء؟".

على الطرف الآخر، نجد البطل كريستوف، الذي بلغ الأربعين من عمره، دون أن يغادر مسقط رأسه، المدينة الأصلية لهيلين، التي كانت زميلته في الثانوية، آنذاك، كان مراهقًا وسيمًا، ولاعبا يسطع نجمه في فريق الهوكي المدرسي، كانت هيلين معجبة به، شأنها شأن كل رفيقاتها، إلّا أنه وقتها، لم يكن يعيرها أدنى اهتمام. وبعد مرور كل هذه السنوات، فقد الكثير من وسامته وبنيته الجسمانية القوية، كما تنازل عن متابعة المسير صوب حلمه في احتراف لعبة الهوكي، ليكتفي بعمل بسيط في شركة لبيع أكل الكلاب. إنه حُطام رجل، انفصل عن زوجته، ويقوم برعاية ابنه الذي يشترك مع أمه في حضانته، وكذا يعتني بوالده المصاب بمرض الزهايمر، رافضًا تمامًا فكرة التخلي عنه وتسليمه إلى دار رعاية مختصة، ومع ذلك، نجد كريستوف مكتفيًا إلى حد كبير بنصيبه من الحياة، ويحاول إعادة ترتيب حياته وأوراقه بعد الطلاق، يثمل كثيرًا مع رفاقه، ويتشبث بالحلم، والاعتقاد بأنّ كلّ شيء لا يزال ممكنًا، إنه يحارب الشعور بالضعف، الضياع، الملل، اللاجدوى من حياته البسيطة، واستحالة الرجوع بالزمن إلى الوراء.

الكاتب الفرنسي نيكولا ماثيو

رغم أن جميع من يعرفونه مقتنعون بأنه فَوَّتَ الحياة، ومر بمحاذاة أحلام وفرص أضاعها بحماقة وطيش الشباب، إلّا أن الفرق بينه وبين هيلين، يكمن في الصوت الموشّى بالمواساة الذي يخاطب به نفسه قائلًا: "رغم كل ما حدث، يلزمك أن تعيش، أن تتشبث بالأمل، رغمًا عن العد التنازلي لشبابك، وعن الشيب الذي غزا رأسك، تيقّن من أنّ الأيام القادمة أفضل!".

قد يبدو أن الحياة والمسارات المختلفة التي اختارها كل من هيلين وكريستوف ستجعل لَمَّ شملهما بعد كل هذه السنوات المنفرطة شبه مستحيل، إلّا أن عثورهما على بعضهما البعض، يأتي بعدما قررت هيلين، إثر إصابتها باحتراق نفسي بسبب ضغوط وظيفتها، الرحيل من باريس رفقة زوجها وطفلتها للاستقرار بمنطقة اللورين، وتحديدًا مدينة جذورها "نانسي"، لتعود إلى خانة البداية، هي التي ناضلت طويلًا لتبتعد عن أسرتها "غير الطموحة"، وعن أهالي بلدتها المثيرين للشفقة في نظرها لأنهم يرضون بمكانهم في الحياة ولا

يسعون إلى تغيير ظروفهم إلى الأفضل.

برع الكاتب نيكولا ماثيو في كتابة مشهد وصف تجدد اللقاء بين هيلين وكريستوف، إنه مشهد يعزز الرسم النفسي العميق لشخصية وروح هيلين المضطربة، التي تتخذ كهواية لها إطلاق الأحكام والأوصاف الكاريكاتورية الساخرة على الناس وعلى نفسها أيضًا، نقرأ: "تلاشت الموسيقى في حلبة رقص ويلسون، وأخلى الراقصون المنتحبون كالعادة المكان وهم يجرون أقدامهم، لتلمحه هيلين، وهو يمسك بيده كأسًا أخرى، كان يتململ، ويبدو أنه يشعر بوحدة قاتلة. وفي أجواء هذا القبو الخانق بأدخنة التبغ وبالصمت الرهيب، المفاجئ الذي أعقب الضجيج الاحتفالي، وجدت نفسها تفكر في أن وجهه يتماهى مع وجه رجل يُصارع الغرق".

هكذا، يتجدد اللقاء بين هذين الزميلين السابقين، اللذين انقطعت سبل الاتصال بينهما مذ كانا شابين يافعين. لقاء تصدح في خلفيته أغنية مضمخة بالحنين إلى ماضٍ لا سبيل إلى استعادته، لأن جيل الخيبات هذا كان يشغلها ويرقص على نغماتها في كل الحفلات الدراسية والمناسبات العائلية السعيدة، إنها أغنية "بحيرات كونيمارا" للمؤلف الموسيقي والمغني ميشيل ساردو، والتي اقتبس منها الروائي ماثيو عنوان هذه الكوميديا الإنسانية، كونها صارت بمثابة نشيد يعبر عمّا يحس به جيل الفرص الضائعة، لذا، نلاحظ الحضور المكثف لمقاطع من هذه الأغنية الكلاسيكية طوال النص: "كونيمارا، جزء من الجحيم/ لأنه، هناك، في كونيمارا/ يقال إن الحياة حماقة/ ونحن نراقص الحماقة/ فوق الأرض المحترقة/ التي تنثر الرياحُ رمادَها".

تنشأ رابطة معقدة بين هيلين وكريستوف الذي صار معجبًا بها ويرى فيها نموذجًا لكل ما لم يتمكن من تحقيقه، في حين تشعر هي بالتفوق وبأنها لا تزال امرأة مثيرة للإعجاب ومرغوبة، لكن هل بوسعنا أن نسمي هذه العلاقة حبًّا؟ بالتأكيد لا، إذ أن هيلين استحالت امرأة بلا مشاعر، جثة تتنفس، لا شيء يسعدها، لكنها تعترف بأنها تفضّل أن تكون غنيّة وتعيسة، ثم نجدها تتساءل عن سر أفول حبها لزوجها وطفلتها اللتين تهملهما وتتركهما في عهدة المربيات، بينما يعترف كريستوف بأن ثمة ما يثيره ويشدّه إلى هيلين، لكنه "ما عاد يشعر بأنه قادر على أن يقول كلمة أحبك، ربما أفَلَتْ هذه

الكلمة بداخله مع أفول شبابه".

من بين نقاط قوة نيكولا ماثيو، أنه يمتلك فن سرد الأحداث الاعتيادية، رسم صور الأشخاص المألوفين، غير المثيرين للاهتمام، بكل واقعية. في هذه الرواية، يتدفق السرد، تارة بلغة شعرية عالية، وتارة بلهجة محلية عارية وتعابير فجّة. سردُ اليومي، برتابته، بمهامه وطقوسه، بضجره، بفوارقه الطبقية، بأمكنته الخالية من البهرجة، وبتكراره المتواصل. ما من حبكة فعلية في هذه الرواية، عدا ما يشبه "تلصّصًا" يوميًا على الحياة العادية جدًا لهيلين وكريستوف، وأبناء جيلهما، مع حضور مكثف لعدة أسئلة، ظلت معظمها بلا أجوبة نهائية، مثل: لماذا تقص الحياة والواقع أجنحتنا؟ ما الذي بوسعه أن يجعل الانسان سعيدًا وراضيًا؟ ما هي الخطيئة الفعلية: الطموح أم انعدامه؟ ولمَ يَغلَقُ الانسان في دائرة الماضي المغلقة، ويغفل اللحظة الراهنة؟

نيكولا ماثيو، هو بدوره ابن هذا الجيل الحائر، المتذبذب، لذا يجيد الوصف الداخلي لأبطاله وأزمتهم الوجودية، لكنه لا يبحث عن إجابات حتمًا، بقدر ما يريدنا أن نقرأ هذا الكتاب المليء بالسخرية المريرة، بالحنين، وبالأسى، كما لو كنا نتأمل ذواتنا في مرآة ضخمة، أو نتصفح ألبوم عائلتنا الذي يزخر بالصور المؤرخة لتلك الفترة الذهبية، لتسري القشعريرة في أجسادنا، ونجد قلوبنا تنبض بالحنين إلى زمن لم نكن نعتبر فيه الحياة حماقة، أو نتخيل فيه أن رياح العمر ستذرو رماد أحلامنا المحترقة. لتأتي نهاية هذه الرواية المُرَّةِ على شكل وصية أو حكمة خَلُصَتْ إليها هيلين بعد استسلامها أخيرًا للواقع: "ذاك الزمن لن يعود أبدًا، ربما يلزمنا أن نمحو تلك الصور، وأن نحكم على أنفسنا بالعيش في الحاضر فعليًا!".

سيرة

نيكولا ماثيو، كاتب من فرنسا، من مواليد أبينال عام 1978. وحاليًا، يعيش بمدينة نانسي ويقسم وقته بين الكتابة والنضال الاجتماعي.

بعد دراسته للتاريخ والسينما، وحصوله على درجة الماجستير في الفنون المسرحية، انتقل إلى باريس ليشتغل صحفيًا ومحررًا بوكالة للأنباء.

أصدر روايته الأولى "إلى حيوانات الحرب" عام 2014، ليحصد عنها ثلاث جوائز أدبية، ويتم تحويلها إلى مسلسل، ثم أتبعها بروايته الثانية "أبناؤهم من بعدهم"، التي حازت على جائزة غونكور المرموقة. آخر إصداراته "كونيمارا" التي صدرت طبعتها الألمانية بترجمة لينا مولر وأندريه هانسن، تحظى باهتمام كبير من الإعلام والنقّاد داخل فرنسا وخارجها.

دور نشأت في ظروف صعبة لكنها لم تفقد بوصلتها رغم "ضباب" الأزمات

ناشرون جدد يواجهون التـحديات بالخطط والأحلام

كتب: شريف الشافعي (القاهرة)

في خضم الأزمات الكبرى والمفاجآت الصادمة، تولد التحديات، وتتجلى العزائم، ويشمّر عن سواعدهم أصحاب الإرادة الحقيقية، وذوو الطموح الذي لا يتوقف عند حد. ولأن الفترة السابقة كانت الأصعب في مجال صناعة النشر، عربيّاً ودوليّاً، فإن الناشرين والناشرات الجدد، الذين أطلقوا دور النشر العربية الخاصة بهم خلال السنوات العشر الأخيرة، يمكن وصفهم بأنهم مغامرون أو محاربون بكل المقاييس. وهم يستحقون توجيه التحية لهم بالتأكيد، لمواصلتهم عملهم الدؤوب باجتهاد وصبر، متسلحين بالأفكار والخطط والاستراتيجيات المبتكرة، والآمال والأحلام العريضة، في مواجهة التحديات.

شهدت السنوات القليلة الماضية سلسلة من العواصف التي أثرت سلبياً على صناعة النشر في الوطن العربي، وفي العالم كله. فمع الأزمة المالية العالمية في عام 2008، انكمشت مبيعات الكتب حوالي 50% في سائر في المعارض العربية. وفي فترة ما يسمى "الربيع العربي" وما أعقبها من اضطرابات، تراجعت حركة النشر والتوزيع في سوق الكتب العربية بشكل كبير.

ثم جاءت ضربتان موجعتان لصناعة النشر، الأولى في عام 2020 مع انتشار جائحة كورونا قرابة عامين كاملين، حيث انخفضت مبيعات الكتب بنسبة تناهز 75%، وأوقف ثلاثة أرباع الناشرين العرب نشاطهم، وانصرف أكثر من ثلث العاملين في النشر عن هذا المجال، وبلغت خسائر دور النشر حوالي 80%، كما تفيد إحصاءات اتحاد الناشرين العرب، وبيانات اتحاد الناشرين المصريين.

أما الضربة الثانية، فقد تمثلت في اشتعال الحرب الروسية الأوكرانية في مطلع عام 2022، ما أضر بشكل بالغ بصناعة النشر، في ظل الأزمة

الاقتصادية العالمية، وارتفاع أسعار الورق ولوازم الطباعة التي يجري استيرادها بالعملة الأجنبية، وزيادة تكلفة النقل وسعر النفط، واضطراب حركة التجارة الدولية، فصارت أمور النشر "مأساوية"، حسب وصف منظمات نشر دولية واتحادات نشر في دول عربية.

وبالرغم من ذلك، فلقد شهدت الفترة ذاتها تأسيس مجموعة من دور النشر العربية الجديدة، التي نشأت وانطلقت في ظروف دقيقة وصعبة للغاية، ولكنها لم تتخلّ عن أهدافها، ولم تفقد بوصلتها في الضباب المحيط، ولم توقف نشاطها، لأنها لا تزال تؤمن بالمستقبل.

في الاستطلاع الذي أجرته "الناشر الأسبوعي"، يتحدث ناشرون عرب جدد عن تجاربهم الواعدة، ورؤيتهم لصناعة الكتاب، وأحلامهم وخططهم، وقصص بداياتهم ونجاحهم، وأبرز التحديات التي تواجههم في ظل الأوضاع الاقتصادية الراهنة، وضعف إجراءات حماية الكتب من القرصنة والتزوير، وغيرها من الصعوبات والمشكلات.

الرهان على القيمة

عن تجربة دار حابي للنشر والتوزيع، التي تأسست في مصر عام 2020، يقول الروائي والناشر ومؤسس الدار محمد إبراهيم طعيمة إنه تعرّف على عالم النشر في البداية كمؤلف وليس كناشر، عندما أصدر روايته الأولى عام 2011. ويضيف طعيمة "فوجئت بأن دار النشر التي أصدرت روايتي لم تهتم بالترويج والتسويق، واضطررت إلى أن أعمل ذلك بنفسي، وأتواصل مع المكتبات والإعلام والنقاد للتعريف بعملي، خصوصاً أن لي خبرة سابقة في ميدان الصحافة الثقافية".

ويتابع "حدثت لي صدمة، حين وجدت أن كثيراً من دور النشر تكتفي بإصدار الكتب والحصول على رقم الإيداع والترقيم الدولي والموافقات المطلوبة، لكنها تفتقد أبجديات التوزيع والتسويق والترويج، ولا تقيم حفلات توقيع، ولا تكترث بالتسويق الإلكتروني، ولا بالاشتراك في المعارض الخارجية، ولا ترسل نسخاً إلى المكتبات".

وبإصدار كتابه الثاني عام 2014، وهو كتاب يتناول حياة الفنانة سامية جمال وسيرتها الفنية والإنسانية، أضطلع محمد طعيمة بكل تفاصيل الكتاب التسويقية، كما حدث مع روايته الأولى. ومن هنا جاءت فكرة إنشاء دار للنشر، تقوم بدورها إزاء منشوراتها كما ينبغي، من الألف إلى الياء.

ويشير طعيمة إلى أن عمله صحفياً ومؤلفاً أجّل خوضه تجربة النشر بعض الوقت، وظل الحلم يداعبه دون امتلاك الجرأة على تحقيقه. ويقول "في عام 2020، وفي ذروة أزمة جائحة كورونا، وبعد خمس تجارب لي كمؤلف مارستُ فيها الترويج والتسويق، تسنى لي افتتاح دار حابي للنشر، التي يعود اسمها إلى الصديق الروائي أشرف عبد الشافي، شريكي الروحي، ويعني (إله النيل)، المسؤول عن العطاء". ويردف "نحن نسعى في الدار إلى العطاء من خلال رمز إله النيل ووافد النهر. ومع الانطلاقة الأولى للدار، توالت إصداراتنا للأعمال الإبداعية، خصوصاً الروائية، للكتاب المعروفين من أمثال محمد شعير وأيمن الحكيم، إلى جانب مجموعة من المبدعين الشباب الموهوبين، الذين أخذنا على عاتقنا مهمة تبنّيهم وحل مشكلاتهم التي كانت تقابلني من قبل كمؤلف شاب"، موضحاً أن عمل الدار لا ينتهي بنشر الكتب المجاني واكتشاف المواهب، وإنما يمتد إلى كل أمور الترويج والتسويق وصناعة أسماء المؤلفين. ويقول "خلال ثلاث سنوات، أصدرنا

مؤسس دار حابي للنشر والتوزيع

الروائي محمد إبراهيم طعيمة:

لا نتعاطى مع النشر باعتباره نشاطاً تجاريّاً ربحيّاً فحسب، لكننا تعتبر النشر عملاً ثقافياً في الأساس، يهدف إلى تقديم محتوى جيّد ومناسب.

قرابة تسعين عنواناً، معظمها روايات وقصص قصيرة ومجموعات شعرية لمبدعين من مصر والإمارات وسوريا والسعودية والكويت وسائر الأقطار العربية، ووجدت إصداراتنا حضوراً طيباً لدى قطاعات متنوعة من القراء العرب".

ويؤكد محمد إبراهيم طعيمة أن "الصعوبة التي تواجه دار حابي الناشئة هي أنها لا تتعاطى مع النشر باعتباره نشاطاً تجاريّاً ربحيّاً فحسب، ولكنها تعتبر أن النشر عمل ثقافي في الأساس، يهدف إلى تقديم محتوى جيّد ومناسب، للكبار والناشئة والأطفال على السواء، بالإضافة إلى الكتب المتخصصة في السينما والمسرح ونصوص المسلسلات وغيرها"، مثل سيناريو مسلسل "بيت الشدة" الذي نشرته الدار بعد عرضه تليفزيونيّاً، للتعريف بآليات كتابة السيناريو.

ويستطرد طعيمة "التحدي الأكبر لدار حابي هو القيمة، في مقابل المكسب. القيمة هدفنا، وتقديم مضمون يثري الوعي والذائقة. والمشكلة دائماً في نشر المنتج الثقافي تتمثل في التمويل الذاتي الفردي، في ظل ركود سوق النشر، وقلة الإقبال على الكتب الورقية والإلكترونية حتى في معرض القاهرة للكتاب والمعارض العربية والدولية، وارتفاع سعر الورق والأحبار ومستلزمات الطباعة، ما يجعلنا نتكبد خسائر فادحة، ويقلل حماسنا تدريجيّاً لإنتاج الكتب الجديدة". ويقول "لكننا نواصل التحدي، ونتمنى أن تصير الأمور أفضل، أو أن تتعاون الدار في المرحلة المقبلة مع ممول أو شريك لدعم سياساتها ومخططاتها في نشر المحتوى الثقافي الجاد واللائق".

أساليب حديثة

يقول المترجم والناشر ومؤسس دار سامح للنشر في السويد في عام 2019، سامح خلف، إن "تأسيس الدار يأتي ضمن رؤية تهدف إلى نشر النتاج الأدبي العربي في السويد وفي عموم الدول الإسكندنافية، بالإضافة إلى ترجمة بعض الأعمال الأدبية السويدية إلى العربية". ويتابع "قد يكون من المفيد الإشارة هنا إلى أن اللغة العربية أصبحت هي اللغة الثانية في السويد، بحسب مركز الإحصاءات السويدي. وربما كان الأمر كذلك، أو قريباً منه، في عدد من الدول الأوروبية الأخرى، بخاصة ألمانيا، وذلك بعد موجة اللجوء والنزوح الكبرى في عام 2015. وفي مرحلة لاحقة، نأمل في أن نتمكن من التفاعل أكثر مع وطننا العربي، من خلال المشاركة في معارض الكتب العربية، بالتعاون أو الشراكة مع إحدى دور النشر العربية".

ويوضح سامح خلف لـ "الناشر الأسبوعي" أن الدار لم تواجه أي نوع من صعوبات التأسيس من الناحية الإجرائية، إذ لا توجد في السويد قيود على تأسيس الشركات وإطلاق المشاريع الجديدة، بل تتميز بوجود تسهيلات وتبسيط في الإجراءات، بالإضافة إلى الدعم المادي من الجهات الحكومية في بعض الحالات.

ويستكمل "صادفتْ انطلاقتنا بعد بضعة أشهر قليلة انطلاقة جائحة كورونا في 2020، التي فعلت بالعالم ما فعلته. ثم لم نكد نتحرر من قيود كورونا وينتعش عملنا قليلاً، حتى اندلعت حرب روسيا وأوكرانيا في 2022، فتأثرنا مثل غيرنا في أوروبا والعالم بالتضخم الاقتصادي، وارتفاع أسعار السلع والخدمات، وجمود الحركة التجارية"، معبّراً عن أمله في مواصلة المسيرة، "نأمل في أن نتجاوز المرحلة الأصعب،

مؤسس دار سامح للنشر في السويد

المترجم سامح خلف:

نطمح إلى تطوير عملنا باستخدام أساليب النشر والتوزيع الحديثة، خصوصاً تقنيات "الذكاء الاصطناعي" التي بدأت العديد من دور النشر السويدية باستخدامها بالفعل.

ونطمح إلى تطوير عملنا باستخدام أساليب النشر والتوزيع الحديثة، التي تعلّمنا بعضها ولا نزال نتعلم المزيد منها، بخاصة تقنيات الذكاء الاصطناعي، التي بدأت العديد من دور النشر السويدية باستخدامها بالفعل".

ويأمل صاحب دار سامح للنشر في الوصول إلى التفاعل المباشر مع القارئ والكاتب في البلدان العربية، على الرغم من أن منشورات الدار الورقية والإلكترونية متوفرة للقراء العرب من خلال موزعين مثل "أمازون"، وعلى وجه الخصوص متجر "نيل وفرات"، أكبر متجر إلكتروني للكتب العربية، الورقية والإلكترونية.

ويشير سامح خلف إلى تأثير القرصنة والتزوير وضياع حقوق الملكية الفكرية السلبي على صناعة النشر العربي، قائلًا "أعتقد أن هذه القضايا نوقشت على نطاق واسع حتى لم تبق زيادة لمستزيد، كما يقال، وقد تبيّنت القوانين والإجراءات التي يتوجب على المعنيين اتخاذها". لكنه ذكر مثالاً لاحظه حين فازت الكاتبة الفرنسية آني أرنو بجائزة نوبل للآداب لعام 2022، إذ عبّرت الناشرة السويدية لكتب أرنو، ليزا ليندبرغ، عن سعادتها وبدأ هاتفها يرنّ من دون توقف من أجل الحصول على تعليق أو إجراء مقابلات معها، واحتفل موظفو دار النشر "نورستيدت" بالخبر، وبادروا إلى الاتصال بالمطابع لطلب طبعات جديدة من كتب أرنو. وفي تصريح للناشرة ليندبرغ لإحدى الصحف، قالت: "سنعمل على طباعة المزيد من الكتب ليتمكن القراء الذين لم يتعرفوا بعد على كتابات إرنو المذهلة من الحصول على كتبها". وفي المقابل، كيف كانت الاستجابة على الضفة العربية؟ لقد بدأت على الفور حركة نشطة على مواقع التواصل الاجتماعي، لتداول النسخ المقرصنة من كتب آني إرنو المترجمة إلى العربية، على الرغم من أن المؤلفة حيّة ترزق ولها حقوق يفترض أن تكون محفوظة لها ولناشريها العرب الأحياء، الذين ترجموا ونشروا عدداً من كتب أرنو، وفق قول صاحب دار سامح للنشر في السويد.

تجربة للصمود

من الدور العربية الواعدة، دار اقرأني للنشر والتوزيع، التي تتنوع إصداراتها بين النسخ الورقية والإلكترونية. وعن تجربة الدار الجزائرية، تشير مُؤسِّسة الدار، هاجر مكاوي، إلى أن مشروع دار نشر يعتبر من المشاريع المهمة، لأنه يسهم في خلق بيئة صحية فكريّاً ونفسيّاً، توفر للقارئ خلاصة تجارب الكتّاب والمؤلفين. وتنطلق دار اقرأني من فلسفة "أن تقرأ.. يعني أنك تقرؤك"، أي أن الكتاب يطلب من القارئ قراءته "اقرأني"، لينعكس ذلك عليه بقراءته لنفسه من خلاله.

وتوضح هاجر مكاوي فلسفة الدار وأهدافها بقولها "نؤمن بأن لدى الجميع تجارب ومعارف تمكنهم من أن يفيدوا بها غيرهم، لكن هناك من حباهم الله القدرة على التعبير وطرح تجاربهم ومعارفهم بطريقة يستوعبها القارئ. ومسؤولية دور النشر اكتشافهم ودعمهم، من خلال تسهيل ظهور هذا الإبداع للعالم أجمع. ودورنا هو أن نعزز هذه الصلة ونوثقها بين الكاتب والقارئ".

وتضيف هاجر مكاوي "تتعرض دار اقرأني للنشر لتحديات وصعوبات كبرى، في ظل الظروف المادية القاسية في الفترة الأخيرة، ما يستوجب منا جهداً وتركيزاً. لكنها تجربة للصمود والبقاء، وتجربة تستحق أن تعاش وتنمو وتتطور رغم الأوضاع الحالية"، مشيرة إلى أن الرهان يبقى على مواكبة التطورات السريعة، سواء التكنولوجيا في صيغ النشر الرقمية، وتعاطي القارئ مع كل ما هو جديد، شكلاً ومضموناً. وتقول إن "الدار تميل خلال الفترة الأخيرة إلى توسعة نطاق الكتاب الإلكتروني، لقلة تكلفته، وسرعة تجهيزه ونشره، وسهولة وصوله إلى المتلقي دون عناء أو طول انتظار".

مؤسِّسة دار اقرأني للنشر والتوزيع

هاجر مكاوي:

الدار تميل خلال الفترة الأخيرة إلى توسعة نطاق الكتاب الإلكتروني، لقلة تكلفته، وسرعة تجهيزه ونشره، وسهولة وصوله إلى المتلقي دون عناء أو طول انتظار.

النشر الآمن

ثمة دار عربية واعدة أخرى تأسست في ستوكهولم، في عام 2020، هي دار رقمنة الكتاب العربي، المختصة بالنشر الإلكتروني غير الربحي، وهي تتيح الترقيم الدولي للكتاب والإيداع القانوني مجاناً لدى المكتبة الملكية السويدية. وعن تجربة الدار، يقول مسؤول الدار ومؤسسها الروائي الدكتور مجدي صالح إن "سياسة دار رقمنة لم تختلف طوال الفترة الماضية. يتم إصدار الكتاب مجاناً، ثم تخيير المؤلف، بين إتاحته للتحميل الرقمي مجاناً، أو توليه بنفسه بيع كتابه عبر منصات البيع الإلكترونية. ثم يحصل المؤلف على النسخة الجاهزة للطبع، ويذهب إلى أقرب مطبعة منه لسحب نسخ بحسب حاجته وحاجة السوق، وذلك من أجل تقليل النفقات". ويوضح أنه يتم طرح الكتاب الآن إلكترونيّاً تحت الطبع في منصة "اطبع"، للطباعة تحت الطلب. ويتم التوصيل لأي بلد في العالم. وهذه الطريقة، التي يتم توجيه المؤلف نحوها حتى يتابع مبيعات كتابه بنفسه، ويحصل على أرباحه كاملة، كون دار رقمنة غير ربحية، ولا تتدخل في أمور البيع.

ويوضح الدكتور مجدي صالح أن فكرة تأسيس دار رقمنة نبعت من أنه مؤلف روائي، عانى من نهب حقوقه، فقام بتأسيس الدار بغرض المحافظة على الكتاب العربي، وعدم تعرض المؤلف لأية عملية احتيال. ويستطرد "قدمت الدار للنشر حتى الآن حوالي 180 كتاباً، وست مجلات، وكلها نشرت مجاناً كمبادرة للحفاظ على الكتاب العربي وتشجيع الكاتب العربي والابتعاد عن دور النشر المستغِلّة". ويشير إلى أن لدى الدار وثائق رسمية من الجهات المختصة السويدية، وفي سجل الناشرين العالميين. ويقول "لدى الدار منصة كبرى في المكتبة الوطنية الملكية السويدية، وتقوم الدار بالإيداع القانوني للكتاب بشكل عام والبحوث والمدونات الموسيقية والأفلام الوثائقية والدراما والمعزوفات وكل أنواع الفنون".

ويشير إلى أن إصدارات الدار تعرض لزوار المكتبة داخلياً، مع الحفاظ على الملكية الفكرية وحقوق النشر للمؤلف، من جهة إصدار شهادة إيداع ووثيقة ملكية للكتاب للمؤلف بهذا الكتاب. وتحتفظ المكتبة والدار برابط للكتاب وعنوانه، ويمنح ذلك للكاتب في حال تنازع مع أي طرف، ليثبت به ملكيته، ولتطلع المحكمة على الإيداع والشهادة بشكل واضح، والكتاب نفسه يمكن أن تصل إليه جهات التحقيق.

ويختتم مجدي صالح حديثه بقوله "أتصور أن دار نشر رقمنة الكتاب العربي هي الوحيدة أو من الدور العربية النادرة التي تهتم بالإيداع القانوني الإلكتروني. هذه الأمور كلها تتم إلكترونيّاً لدى دار رقمنة، ونحاول تقديم ما نستطيعه، الآن ومستقبلًا، في هذه الشؤون والصيغ المتطورة للنشر الآمن الموثوق به".

مؤسس دار رقمنة الكتاب العربي في ستكهولم

الروائي الدكتور مجدي صالح:

لدينا منصة كبرى في المكتبة الوطنية الملكية السويدية، ونقوم بإيداع الكتب والبحوث والمدونات الموسيقية والأفلام الوثائقية والدراما ومختلف الفنون.

المدير التنفيذي لدار كتوبيا للنشر

أيمن حويرة:

عمدنا إلى الاهتمام بالتواصل الدائم والمستمر مع الجمهور بصورة مباشرة وغير مباشرة، وإلى استخدام أفكار جديدة ومبتكرة في التسويق تجعل التجربة مميزة.

النوعية والإدهاش

دار هنّ المصرية للنشر تأسست عام 2017، وتواصل إصداراتها بانتظام رغم الأزمات المتتالية. ويقول محرر الدار رجائي موسى إن "قدرة الدار على العطاء والإنجاز معقودة على الكتب التي تصدرها، وهي كتب نوعية مختصة بالثقافة النسوية والإبداع النسوي وقضايا المرأة، إلى جانب الرهان الدائم على أهمية المحتوى، وقيمته الفكرية والمعرفية المجردة، وقدرته على الإدهاش والإمتاع وإثارة التساؤل والجدل وإثراء الوعي الإنساني".

ويؤكد رجائي موسى أن "المعايير التسويقية لا يمكنها أن تقف عائقاً أمام تطلعات الدار، وأي دار، عندما يكون المنتج جادّاً وطليعيّاً ومتحرراً ومتسلحاً بالمسؤولية المجتمعية والإنسانية". ويقول إن "الكتاب المتميز يجد طريقه بالضرورة إلى المتلقي، الباحث عن القيمة، وعن الأثر، وعن الرؤية المعاصرة، وعن الأمل في التغيير، وفي تحريك القيم السائدة والرجعية. وهذه التوجهات الطليعية والجريئة والمحفّزة هي التي تكفل الاستمرار والبقاء للناشر، مهما بدت الظروف صعبة ومعاكسة".

حلول غير نمطية

يشير المدير التنفيذي لدار كتوبيا للنشر، أيمن حويرة، المقيم في أستراليا، إلى أن الدار التي تأسست في الإسكندرية في عام 2016، قد نتجت عن مبادرة فريق بصمة للبحث التاريخي، وحصلت على عضوية اتحاد الناشرين المصريين واتحاد الناشرين العرب، وأدرجت بعض إصداراتها ضمن قائمة الأكثر مبيعاً في معرض القاهرة الدولي للكتاب، ومعارض عربية أخرى.

وتتنوع إصدارات كتوبيا بين الكتب الدينية والدراسات النقدية والتاريخ والشعر وأدب الرحلات والمجموعات القصصية والروايات وكتب الأطفال والمقالات والنصوص والتسويق وغيرها من المجالات. ويقول أيمن حويرة "قمنا بتأسيس دار كتوبيا كخطوة لاحقة للتدوين على الإنترنت في مجال التاريخ، والذي كان يفتقد إلى حد ما للتبسيط الذي انتهجناه كمدخل للقارئ غير الأكاديمي أو المتمرس على قراءة التاريخ. ثم تطورت منشورات الدار لتشمل أنواعاً أدبية وغير أدبية مختلفة، ووصل عدد إصداراتنا إلى أكثر من 150 كتاباً ورقيّاً وأكثر من 170 كتاباً إلكترونيّاً وأكثر من 40 كتاباً صوتيّاً".

محرر دار هنّ المصرية للنشر

رجائي موسى:

نراهن على أهمية المحتوى، وقيمته الفكرية والمعرفية، وقدرته على الإدهاش والإمتاع وإثارة التساؤل والجدل وإثراء الوعي الإنساني.

ويوضح أن الدار عمدت على مدار السنوات السبع الماضية إلى التجديد والتطوير وتحويل الأمر من "دار نشر" إلى كيان لصناعة المحتوى وتوزيعه بوسائطه المختلفة الورقية والإلكترونية والصوتية والمرئية وغيرها. ويقول "كانت رؤيتنا مختلفة عن المعتاد في عالم النشر، حيث وضعنا المتعة في المقام الأول ثم المعرفة. فقد درسنا تجارب عديدة، وتوصلنا إلى فكرة أن المتلقي يحتاج إلى أن يتحول الأمر إلى نشاط حماسي ممتع لكي يستطيع لاحقاً الاستفادة منه واستخلاص المعرفة المرجوة". ويتابع "عمدنا إلى الاهتمام بالتواصل الدائم والمستمر مع الجمهور بصورة مباشرة وغير مباشرة، وإلى استخدام أفكار جديدة ومبتكرة في التسويق تجعل من الأمر تجربة مميزة".

وعن التحديات التي صادفت دار كتوبيا أثناء رحلتها نحو التطوير والتحول الرقمي، والحلول التي انتهجتها، يقول أيمن حويرة "من أبرز هذه التحديات، عدم وجود الأرضية التي تمهد لذلك، وعدم اعتياد القارئ على استخدام القنوات الجديدة، وأحياناً صعوبة توفير فرص القراءة بصورة تتوافق مع الظروف الاقتصادية للجمهور". ويضيف "تزامن ذلك مع تصاعد أسعار الورق، ما جعل الوسيلة المعتادة للنشر أكثر كلفة وأكثر صعوبة في التوزيع والمبيعات. وقد تغلبنا على ذلك كله بعدة طرق، أهمها توفير خصومات وعروض ترويجية طوال عام للبيع المباشر، وتطوير متجر إلكتروني للشحن المباشر للعميل، إلى جانب الاهتمام بالنشر الإلكتروني وتوفير الإصدارات على منصات إلكترونية ذات اشتراكات شهرية مقبولة جدّاً".

الشغف الشخصي

في القاهرة، تأسست دار نشر لدعم المواهب الشابة في عالم الكتابة والقراءة في عام 2014، هي دار ليان للنشر والتوزيع، التي أصدرت عدداً كبيراً من المؤلفات الإبداعية للمواهب الصاعدة، وأطلقت الكثير من المبادرات الثقافية. وعن تجربة الدار، يوضح مدير عام الدار، فتحي المزين، أن منطلق الدار الأساسي أن النشر شغف شخصي أكثر منه تجارة رائجة أو صناعة مربحة. ويقول "كانت البداية واعدة، وتنوعت إصدارات الدار. ولكن في السنوات الخمس الأخيرة، صارت الأمور صعبة، وبدأت المكتبات الكبرى إغلاق فروعها، وقل عدد الفعاليات الثقافية، وسادت حالة فتور في الكتابة والإنتاج. ومنذ مرحلة كورونا، والضربات تتلاحق، بين الحرب وارتفاع الأسعار والأزمة الاقتصادية وغيرها".

ويؤكد فتحي المزين إلى أن "الآمال العريضة التي كانت معقودة على دار النشر صارت ضيقة، ومع ذلك فإن الدار باقية على عهدها في صناعة الكتب الثقافية ودعم المواهب الأدبية".

لدى المزين رؤية شخصية، يوضحها بقوله "القرّاء الذين تعايشوا والكتاب بـ40 جنيهاً (حوالي دولار)، سيتعايشون حالياً ومستقبلاً وهو بسعر 250 جنيهاً أو أكثر. لقد صار القارئ نخبويّاً بشكل ما، ولكن بعد فترة سيتعوّد القرّاء على الأسعار الجديدة". ويتابع "لم يكن الأمر مجدياً من قبل، والآن هو غير مجدٍ أيضاً، فهو مرهق للأعصاب وللحسابات المالية، لكن عشق الصناعة يدفعنا للاستمرار وليست الحسابات التجارية".

تحديد الفئات المستهدفة

يؤكد مدير دار مسار للنشر، التي تأسست

المستشارة الإعلامية لدار الياسمين للنشر

رشا ماهر:

التحديات التي واجهتنا خلال السنوات القليلة الماضية نتج عنها خفض عدد العناوين نسبيّاً، والتركيز على الكتب الأكثر رواجاً كالروايات والماورائيات.

مدير عام دار ليان للنشر والتوزيع

فتحي المزين:

الآمال العريضة التي كانت معقودة على دار النشر صارت ضيقة، ومع ذلك فإنها باقية على عهدها في صناعة الكتب الثقافية ودعم المواهب الأدبية.

في مصر عام 2019، عماد رشدي إسماعيل، أن "القيمة الفكرية تظل دائماً أساس صناعة الكتب، وضمان استمرار هذه الصناعة، قبل الأمور التسويقية". ويوضح أن نجاح الدار في الإبقاء على حظوظها في توزيع الكتب يستلزم تحديد الفئات المستهدفة من القرّاء، من أجل توفير الكتب الملائمة لكل فئة، وفق سياسة الدار ورغبات القرّاء في آن واحد.

ويشير إلى أن الكتابات الأدبية المبسطة والرومانسية والبوليسية تلائم مثلاً ذائقة الناشئة، في حين يميل الكبار إلى قراءة الأعمال المترجمة والآداب الفائزة بجوائز دولية. ويقول "من المهم أن تراعي الدار احتياجات الجمهور، لتتمكن من تدبير الحد الأدنى من نفقاتها، وتبقى على قيد الحياة، رغم الأزمات الحالية".

خفض عدد العناوين

دار "الياسمين" للنشر والتوزيع، إحدى الدور الصاعدة في مصر، حيث تقول رشا ماهر المستشارة الإعلامية في الدار إن "التحديات الكثيرة التي واجهت الدار خلال السنوات القليلة الماضية نتج عنها خفض عدد العناوين نسبيّاً، والتركيز على الكتب الأكثر رواجاً كالروايات والماورائيات، لكي تتمكن الدار من الصمود ومواصلة الإنتاج، والعودة إلى المعدلات الطبيعية في النشر المتنوع، وهذا ما لجأت إليه دور نشر عربية كثيرة".

وتضيف "تجربتي في العمل مع دار الياسمين جعلتني أرى بوضوح الكثير من التحديات التي تواجه دور النشر الناشئة، مثل ندرة الأعمال الجيدة المقدمة، فمعظم الكتاب يفضّلون دور نشر ذات اسم معروف"، متابعة "هذا الأمر كان يجبرنا على قبول أعمال ليست على قدر كبير من الجودة، لكنها قد تلامس فئة معينة من جمهور القراء، لكي نحافظ على دخل مادي متوازن في الدار".

وتردف "تظل القوة الشرائية للكتب ضعيفة بالمقارنة مع دور النشر الكبيرة، إلى جانب ارتفاع أسعار الورق والمواد الخام، وهذا كله يعد مصروفات لن تحصّل سوى على المدى البعيد. وعلى الجانب الآخر، تأتي التكلفة العالية للمشاركة في معارض الكتاب، حيث يصعب على دار النشر الناشئة استئجار جناح فيها، وهذا جزء تسويقي أساسي ومهم للدار، يصعب الاستغناء عنه". لكن رشا ماهر تؤكد "رغم المعوقات كلها، تجتهد الدار قدر استطاعتها للبقاء في مشهد النشر المصري خصوصاً والعربي عموماً، على أمل في تتحسن الأوضاع قريباً".

مدير دار مسار للنشر

عماد رشدي إسماعيل:

القيمة الفكرية تظل دائماً أساس صناعة الكتب، وضمان استمرار هذه الصناعة، قبل الأمور التسويقية.

الواجب سلاسل ومنازل

بقلم: خلود المعلا

يبدأ الشعور بالواجب مثل الطيف في المراحل المبكرة من العمر، ويكبر في مراحل النمو الإدراكي والفكري والجسدي. ومع تطور مهارات الشعور بالمحيط وقدرة الطفل على تمييز الكلام والأسماء والإرشادات، يبدأ الشعور بالواجب بالتشكل خلال تلويحات وإشارات لا ينتبه لها الطفل طبعًا لكنها تندرج تحت واجبات يقوم بها للتواصل وفهم ما حوله. ومع النضج تتكاثر تلويحات الواجب وتكبر وتتنوع وتتشابك دوائره في كل مرحلة من مراحل العمر.

البعض يفعل الواجب بطريقة خافتة خيّرة ودودة دائمة وبمحبة خالصة للقريب والبعيد دون حساب أو اعتبار ملزم ومفروض. هكذا يصير الواجب شرفًا، وفاءً، كرمًا ونبلاً. والبعض يفعل الواجب كالتزام وفرض وتضحية بدافع المسؤولية أو القرابة، ويشعر بالإجهاد والضيق حين تضيع مساحته في سبيل ذلك، فيضعف أحيانًا ويتمنى في داخله أن يتحرّر من هكذا التزام. وهناك من يفعل الواجب مجبراً ودون محبة، مجاملة أو طمعًا في الثناء والمقابل، ويداوم على فعل الواجب رغم تذمره الداخلي وشعوره بثقل ما يفعل. والأنواع الثلاثة من الناس، حتى الأخير للأسف، يدرجون تحت مسمى "أصحاب واجب" ويفوزون باللقب. لهذا لا أستسيغ قول البعض "هذا واجب أو واجب علينا" لأن معايير ومتطلبات أداء الواجب لا تقترن بالمفروض واللازم، وإنما بالشعور والصدق في تأديته بمحبة بعيدًا عن التظاهر بالالتزام دون الإحساس به.

نحن في غنى عن الواجبات المُجهِدة التي تثقل النفس حين نقوم بها مجبرين لا محبين. والواجب له وجهان حاله حال كلّ شيء في الحياة، محبوب ومكروه، خفيف وثقيل، مريح ومُجهِد. فالطفل مثلاً يمقت واجباته لأنه لا يفهم منها سوى أنها سبب في حرمانه مما يحبّ. لم يتعلّم كيف يرى الخير فيما يفعل ليحبه. وغالبًا ما يمتدّ كره تأدية الواجب في المراحل المبكرة من العمر حين يشعر الأبناء أو الشباب بأنهم محاصرون بتوجيهات وإرشادات وتوقعات من حولهم أو بالقيود الدراسية والمنزلية والاجتماعية وافتقاد الحرية. الواجب كلمة ثقيلة لدى معظم الناس إذا ما تقاطعت ورغباتهم الشخصية وعرقلت خططهم الخاصة. الواجب ثقيل ومتعب حين يتجرّد من المحبة وينحصر في المفروض. كثرة الواجبات تشعر الإنسان بالإجهاد والثقل وأنه واقع تحت قبضته فيغلب إحساس "مكره أخوك لا بطل" وفق المثل.

الواجب مسؤوليّة وتعهّد والتزام أخلاقيّ وفي الوقت نفسه تقييد وانقياد وخضوع.

الواجب أيضًا عطاء، تضحية، ربح متصل، وضيق مستتر. الواجب غالبًا ما يكون ضد الحرّيّة. لا مجال للاختيار فيه، ولا تحرّر من الالتزام به لأنه فرض أخلاقيّ، دينيّ، اجتماعيّ، عائليّ، قانونيّ، شرعيّ، فرديّ وجماعيّ . أمام الواجب يتخلّى الإنسان عن حاجته ورغبته وحرّيّته في أحيان كثيرة.

الواجب أخفّ من ريشة وأثقل من جبل، حسب وصف الإمبراطور الياباني ميجي. وهذا صحيح إذا ما أدركنا أن ما نفعله بمحبة هو ما يجعل الواجب خفيفًا مثل ريشة وأن يكون مقرونًا بنتيجة الفعل، عندها يصير الواجب نبلاً ويستحقّ القائم به صفة "صاحب واجب". إذًا للواجب سلاسل علينا التحرّر منها للتخلّص من الشعور بالتضحية والـدوران تحت رحى المفروض؛ ثم السعي خلفه لنرتقي منازل الوفاء، ندركها عند الامتلاء بالمحبة ونحن نقوم به ،والمحبة لا تحتاج أسباب، فلا أسهل من المحبة إنْ صفت القلوب، ولا أخفّ من الواجب إنْ تشرّبَ نبضَها!

• شاعرة من الإمارات
hawawahawaa@gmail.com

استمرت 10 أيام وتضمنت أكـــثر من 150 فعالية في 42 دولة

حركة الشعر العالمية تطلق حملة تضامنية مع أفريقيا

الشارقة – "الناشر الأسبوعي"

أطلقت حركة الشعر العالمية حملة عالمية تضامنية مع الشعوب الأفريقية، في الفترة من 21 حتى 30 سبتمبر/ أيلول الماضي، تحت شعار "أفريقيا حرّة". وتضمنت الحملة أكثر من 150 فعالية بين قراءات وورش عمل وندوات بمشاركة شعراء من 42 دولة من القارات الخمس. وأكدت الحركة أن قارة أفريقيا لا تزال تعاني من تبعات الاستعمار القديم والتي تمتد حتى يومنا هذا، مشيرة إلى أن الشعوب الأفريقية تعاني من الفقر والتهميش والنهب والتجهيل والحروب والاستغلال والظلم والمجاعات وانتهاكات حقوق الإنسان، مع أن لدى القارة إمكانات كبيرة على صعيد القوى البشرية والثروات الطبيعية والإرث الثقافي الكبير.

وتضمنت فعاليات "أفريقيا حرّة" التي استمرت عشرة أيام، قراءات شعرية ميدانية وأخرى عبر الإنترنت، وورش عمل شعرية لطلاب المدارس، وإصدار مختارات شعرية بمختلف اللغات، إذ خصصت مجلة حركة الشعر العالمية "بويتري بلاتنيتاريت" عددًا خاصًا بالشعر الأفريقي، فضلاً عن قصائد تنشرها ضمن الحملة التضامنية العالمية. كما تنشر مختارات "أدب طريق الحرير" طبعة جديدة بعنوان "قصائد النانو لأفريقيا" بمشاركة 152 شاعرًا من 50 دولة أفريقية.

وكان المنسق العام لحركة الشعر العالمية، رئيس مهرجان ميديين الدولي للشعر في كولومبيا، الشاعر فرناندو ريندون أعلن عن إطلاق نداء عالمي للشعراء من جميع أنحاء العالم، للمشاركة في الحملة العالمية، قائلًا إن "الحملة الشعرية تأتي لمناصرة حقوق شعوب أفريقيا في الحرية والعدالة والتخلص من الهيمنة الغربية والحروب والفقر، حتى تتمكن من تحقيق السلام وبناء حاضرها مستقبلها، وتعزيز الحياة الكريمة للأفارقة وتحقيق نهضة شاملة في القارة".

وأكد على دور الشعر في مساندة حقوق الشعوب، من خلال صوت الشعر، مضيفاً أن "صوت الشعر هو صوت الشعوب المقهورة، وصوت الجمال، وصوت القيم الإنسانية السامية، وهو صوت الضمير الحيّ".

وكانت مدينة ميديين الكولومبية ومدينة كراكاس الفنزويلية شهدتا انعقاد المؤتمر الأول لحركة الشعر العالمية، ومهرجانين للشعر، في يوليو/ تموز الماضي، بمشاركة شعراء من مختلف دول العالم، من بينهم شعراء من قارة أفريقيا. وكان فرناندو ريندون الحائز جائزة نوبل البديلة في السويد على تجربته الشعرية، وعلى دوره في تأسيس المهرجان الذي يُعدّ أكبر وأهم مهرجان شعري في العالم.

وكان ريندون قال إن "الشعر يحمل رسائل محبة تضيء القلوب والعقول، فالشعر طريقة لتنمية الأمل والحياة والسلام والوحدة والوعي، إنه طريقة أخرى للعيش والإبداع في الحياة. وأن قوة الشعر تسهم في تحقيق الوحدة والتعايش وفي نصرة قضايا التحرر والدفاع عن المظلومين أينما كانوا".

وتابع أن "مهرجان مديين الدولي للشعر نجح في خلق نموذج إنساني إبداعي في المدينة، وأوجد بديلاً جمالياً ومعرفياً للأجيال. وأحدث في الواقع عملية تحوّل ثقافي وروحي بعمق شعري، حتى وصف كثير من الشعراء ميديين بأنها عاصمة الشعر في العالم".

وكانت "الناشر الأسبوعي" أجرت حوارًا مع الشاعر فرناندو ريندون، قبل ثلاث سنوات، قال فيه عن تأسيس مهرجان ميديين الدولي للشعر إنه بادر مع مجموعة من أصدقائه الشعراء بإطلاق المهرجان "ليقاوم الحب موجة الموت الواسعة"، مؤكدًا أن "المهرجان كشف لمدينة ميديين وعموم كولومبيا عن طريق روحي وإبداعي بديل للكراهية والدمار والموت، ففي بداية التسعينات من القرن الماضي، كانت ميديين عُشّاً لتهريب المخدرات وفرق الموت، لكن الوضع تغير اليوم".

وأضاف أن "الشعر برق يعبر مناطق غير مرئية

لعين العالم المرهقة. كما أنه حساسية تتجاوز كل الحواجز، ولا تعترف بالحدود بين البشر".

يذكر أن فرناندو ريندون، شاعر وصحافي، وُلد في مدينة ميديين في كولومبيا عام 1951.

المنسق العام لحركة الشعر العالمية، ومؤسس ورئيس مهرجان ميديين الدولي للشعر في كولومبيا الذي انطلقت دورته الأولى عام 1991. نال جائزة نوبل البديلة عام 2006 "تقديرًا لدوره بتعزيز الأمل في أوقات اليأس". أسس مع خايرو غوزمان "مدرسة الشعر" في جامعة أنتيوكيا في ميديين، عام 1996، وأسهم في تأسيس "مجلة الشعر" عام 1972، وأسس مجلة "بروميثيوس" الشعرية 1982، و"مجلة شعر الشباب" 1988.

تُرجمت له قصائد إلى 15 لغة، من بينها اللغة العربية. صدرت له مجموعات شعرية عدة، من بينها "تاريخ مضاد"، "تحت شموس أخرى"، "غناء في حقول المريخ"، و"السؤال المشرق" الذي صدر بطبعة عربية بترجمة صفاء رجب عن الإسبانية، ومراجعة شعرية وتقديم للشاعر أحمد الشهاوي. شارك في عدد كبير من المهرجانات الشعرية الدولية، ونال جوائز عدة عن دواوينه ودوره الثقافي، من بينها الجائزة الوطنية للشعر، وجائزة رفائيل ألبرتي للشعر في هافانا، والجائزة الدولية للشعر "شعراء ضد الحرب".

المنسق العام لحركة الشعر العالمية

الشاعر الكولومبي فرناندو ريندون:

الحملة الشعرية العالمية تأتي لمناصرة حقوق شعوب أفريقيا في الحرية والعدالة والتخلص من الهيمنة الغربية والحروب والفقر، حتى تتمكّن من تحقيق السلام وبناء حاضرها مستقبلها، وتعزيز الحياة الكريمة للأفارقة وتحقيق نهضة شاملة في القارة.

شاعرة كولومبية ترى الصمـــت طريقة للوجود في العالم

كارولينا كارديناس: قصـــيدتي مكان للمنسيّين

حاورها في ميديين (كولومبيا): علي العامري

كان لطفولة الشاعرة الكولومبية كارولينا كارديناس أثر واضح في تجربتها الشعرية، إذ تبدو زياراتها لجدّتها في البيت الريفي علامة أساسية في ذاكرتها. لذلك ترى أن قصائدها ترتبط بالأرض وتفاصيل الحياة، حيث تكون الذاكرة موسوعة للحياة وخزّاناً للتجارب. وتقول الشاعرة في حوار لـ "الناشر الأسبوعي" التي التقتها في الدورة الـ 33 من مهرجان ميديين الدولي للشعر، إن "قصيدتي مكان للمنسيّين"، فهي تسلط الضوء على المهمَّشين الذي يعيشون على حافة الحياة وفي الظّلّ.

تميل مؤلفة "الرماد يتساقط على مدينتي" إلى الصمت، فهي تعيش الحياة، وترى وتتأمل التفاصيل المنسيّة. صمتها تأمليّ، وفي صمتها حزن تراكميّ أيضاً. لا تكتفي بالنظر إلى سطح الحالات والأشياء، بل تغوص في العمق، مستكشفة مجاهيل الذات والمحيط والحياة وغوامضها. وترى أن "الصمت بالنسبة لي هو الصوت والضجيج والأغنية. إنه طريقة للوجود في العالم".

وتؤكد على وحدة الفنون الإبداعية، بقولها إن الأشكال الإبداعية "تتداخل في علاقة تكاملية، كما تتراسل في ما بينها. واليوم، وقبل كلّ شيء، في الأدب، تتجلى الكتابة المرئية في كلّ من الشعر والقصص والروايات المُصوّرة".

وتعدّ قصائد كارولينا كارديناس، في جانب منها، شهادات شعرية على قسوة الحياة في عالم استهلاكي، وتقول إن "كل قصيدة هي صورة من الأهوال التي تحيط بمجتمع اليوم".

• يبدو أن الطفولة ترافق المبدعين، وخصوصاً الشعراء، ماذا تتذكرين من طفولتك، وما أماكنها وأثرها في تجربتك الشعرية؟

- أتذكّر، قبل كلّ شيء، زياراتي إلى بيت جدّتي الريفي حيث كنت أشعر بفرح كثير. أذكّر جدتي حين أخذتنا في جولات إلى الأنهار والمدن والقرى القريبة. في تلك النزهات رأيت عن قرب ضفادع عملاقة وفراشات مختلفة الألوان، ويراعات، وأسراباً من البط تحلق في الريف. لا شك أنه بفضل كل ما رأيته وعايشته في طفولتي، امتلأت ذاكرتي بمشاهد من الطبيعة التي كانت أساساً لترابط شعري بتيارات أرضية.

• "واستيقظت مشاهد الموت في الليل"، تعدّ الذاكرة جزءاً من قصائدك، كيف تدخل الذاكرة في اللحظة الشعرية، خصوصاً أنها تواصل فعلها، إلّا أنها "في الأبدية كانت آخر بقايا الذاكرة تموت" كما جاء في إحدى قصائدك؟

- الذاكرة هي خزّان تجاربنا وهي ما نحن عليه، وتعدّ موسوعة الحياة التي تذكّرنا عبر اللاوعي بما يسكن فينا من ألم أو فرح. وفي هذه الحالة، تذكّرنا الذاكرة بما نحتاج إلى تغييره أو الحفاظ عليه لكي نكون أنفسنا.

كارولينا كارديناس. «الناشر الأسبوعي»

الشاعرة الكولومبية

يوجينيا سانشيز نييتو:

تقيم الشاعرة كارولينا كارديناس في مجموعتها الشعرية "الرماد يتساقط على مدينتي" "حواراً صريحاً مع المنسيين والبائسين والجوعى والمنفيين، ومع فوضى المدينة، وتريد الشاعرة كارولينا كارديناس أن تترك شهادة على الأوقات العصيبة التي اتسمت بعدم المساواة والظلم والهجر؛ تريد أن تجعل هذه الكائنات المُستبعَدة حاضرة، لتذكيرنا بأنهم موجودون وأنهم ليسوا وحدهم؛ على الرغم من وجود "عالم بلا كلمات" ومحكوم علينا جميعاً بالنسيان".

• الصمت أحياناً يكون محتشداً بالكلمات الجوّانية، ماذا يعني الصمت لك؟

- الصمت بالنسبة لي هو الصوت والضجيج والأغنية. إنه طريقة للوجود في العالم، ومن هنا يمكن فهم الآخر والتأمل في العالم. ومن خلال الصمت يتم التأمل في الكون، وعبر الصمت أيضاً ينفتح الباب إلى الوحي الشعري.

• تجمعين بين الشعر والقصة والرسم، كيف ترين "تآخي الفنون"، أي العلاقة بين مختلف الأشكال الإبداعية؟

- أعتقد أن الاتحاد بين الفنون المختلفة أصبح أكثر وضوحاً الآن، سواء في الكتابة أو في الفنون الأخرى، على سبيل المثال الفنون التشكيلية والمسرح والشعر وغيرها تتداخل في علاقة تكاملية، كما تتراسل في ما بينها. واليوم، وقبل كلّ شيء، في الأدب، تتجلى الكتابة المرئية في كلّ من الشعر والقصص والروايات المُصوّرة.

• يبدو لي أن عينك الشعرية تذهب إلى رصد الهامش والخفيّ والمنسيّ، ماذا تقولين عن ذلك، وهل القصيدة صوت هؤلاء القابعين في الظلال؟

- بالطبع، قصائدي تكشف ما لا يريد أحد رؤيته؛ علاوة على ذلك، فإن شعري يثير أسئلة لا تهم الأغلبية، لأنه في مجتمع متسارع يبجّل التافه والسطحي، فإن التعقيد الكامن وراء الروح لا يهم النظام الاستهلاكي.

نعم، إن قصيدتي في لحظات كثيرة هي مكان المنسيين حيث أعطي مكاناً للمهمشين ولأولئك الذين يبقون على حافة الحياة، أي أولئك الذين يرفضون أن يكونوا جزءاً من مجتمع هلاميّ، وبالتالي، تمثّل قصائدي صرخات هؤلاء المهمَّشين، فهي تنقل صوتهم واحتجاجهم وتفكيرهم وآلامهم.

• ديوانك "الرماد يتساقط على مدينتي"، هل هو مرثية للمدينة، وهل تعتبرين بعض قصائدك "شهادة" على جرح عميق في خاصرة الحياة؟

- نعم، إن "الرماد يتساقط على مدينتي" كتاب ينتقد الظلم الاجتماعي والاقتصادي في أي مدينة، ويسلط

الضوء على الأمراض العقلية التي تصيبنا بصورة فردية في مجتمع منهك. وبطبيعة الحال، كل قصيدة هي صورة من الأهوال التي تحيط بمجتمع اليوم.

• "نحن واحد عندما نغمض أعيننا/ والسماء ونجومها تسقط علينا"، هل هذا "حلم"، أم أنه "المعنى المفقود" في حياتنا المعاصرة؟ وماذا يفعل الشعر لك أولاً، وللزمن ثانياً؟

- هذا المقطع جزء من قصيدة لي بعنوان "عيون مغمضة" تتناول موضوع اللحظة الحميمية بين زوجين. ومع ذلك، فإن الشعر لديه إمكانية تفسيره وفقاً للقارئ. إن الشعر خصوصاً، والأدب بشكل عام، أنقذني وساعدني على فهم هذا العالم. ولعل الزمن يساعد على تخفيف حدّة الموقف وتعزيز المسار المتبع.

• ما أهمية المهرجانات الشعرية في تعزيز صوت القصيدة في العالم، خصوصاً أنك شاركت في مهرجانات دولية عديدة، من بينها مهرجان ميديين الدولي للشعر 2023؟

- حسناً، عندما يتم حشد الشعر مراراً وتكراراً في مكان ما، فإن هذا ينجح في تنمية الذائقة الجمالية لدى الجمهور والأجيال الجديدة، ويحفزهم على التفكير والتأمل في الواقع من خلال الشعر والفلسفة، لأن هناك علاقة قرابة بين اللغة الفلسفية واللغة الشعرية. ومن خلال هذه الفعاليات يتم فهم القيمة الهائلة للشعر في تحوّل الإنسانية.

قصائد للشاعرة كارولينا كارديناس

صحيح فقط

• إلى الجياع

هناك كثيرون،
حياتهم منتشرة في جميع أنحاء العالم باعتبارها الحقيقة الوحيدة.
وما علينا إلّا أن نخترع وندعو ربّ الفقراء.
نركع ونصلّي من أجل أولئك الذين ولدوا في زمن عدم اليقين،
نتوسّل أن تختفي الصرخات عند الفجر،
ونخبره أننا لا نعرف كيف تختلف أيام هؤلاء الناس.
لأننا لا نعرف من أين تأتي الآهات،
وكيف نسكت الكثير من القلوب المكسورة
وأننا نميل إلى الشعور بالدوار عندما نكون في الصباح
نلتقي مرة أخرى بنفس الضربة على الصدر،
مع تكرار الأقدار المستحيلة.
وتلك النضالات المستمرة لهم ليكونوا آخرين
عندما ذهبوا إلى السرير كانوا أنفسهم.

***

غير المرئيين

• إلى المدينة

لم يخبرنا أحد أنّ الأبواب مغلقة
وأننا غير موجودين.

وحتى الصراخ لا ينقذنا.
لذلك نحن لسنا أسماء بل أرقام
ولا أحد يتذكّر.
بيوتنا تحترق
نضالاتنا غير مشروعة
ونحن نكذب على الكذب.
ونعلم أن المصادفة وحدها هي الجواب،
طريقة الهروب من الجوع،
من الوجود الذي لا يمكن استيعابه.
رغم أننا لا نفتقر إلى الخبز على المائدة
سنظل مطرودين ومنبوذين.
الالتحاق بالفقر
نحمله على وجوهنا، بكلماتنا
وبأسمائنا.
الفقر يتجاوز مجرد التملك أو المعرفة،
إنها الطريقة التي نسمّي بها العالم،
الإصرار على أن تكون صرخة ممزقة،
الابتعاد عن النعمة والاقتراب من التضحية.

***

V

• كان الاستحضار صمتاً ممتداً وملموساً

في تلك الليلة من الليالي نسيَ الناس ما أظلم زمانهم أو زيّنه. لم يكن هناك شيء يثقل كاهل العقل الباطن، لقد تم إفراغ كلّ شيء. يتنفسون دون أن يستحضروا أسماءهم والآثار التي أحاطت بأيامهم، يتأملون العالم بلا ذاكرة، حاملين الكلمات إلى الساحل.
السماء أصبحت صامتة، وكانت الصور الباهتة هي الوحيدة التي تتدفق من جدران الحياة.
في الأبدية كانت آخر بقايا الذاكرة تموت.
لقد غاب استحضار الرجل والمرأة في الوقت الذي نستسلم فيه لنسيان ما كان في السابق.

***

X

• الريف يغرق بالمحنة

وكان هناك ارتعاش الأغصان وانفصال الجذور عن المحسوس. تفرقت أغصان الظلام وأسكتت أيّ حركة. لم يكن هناك صوت. سقطت طيور من أغصان الأشجار مثل الفاكهة الفاسدة. لم تكن تغاريدها أغانيَ بل صرخات.
الطيور المكسورة حاولت الهروب من حالة العماء أو المحنة التي حلت على العالم مثل سلسلة من الظلال.
كان الظلام جائحة صرخات من أجل الوجود.

خطوط السيرة

كارولينا كارديناس، شاعرة وكاتبة قصة ورسّامة ومحرّرة من كولومبيا. متخصصة في الإبداع القصصي من الجامعة المركزية. درست العلوم الإنسانية واللغة الإسبانية.
أصدرت مجموعتها الشعرية "الرماد يتساقط على مدينتي" عام 2021. ونشرت قصتها "غريب" في مختارات القصة القصيرة "رماد على المنصة" 2009. أصدرت كتابها "نحن غرقى السفينة" 2013. تكتب حالياً عموداً صحافياً في صحيفة "إل تيمبو" (الوقت) في كولومبيا. وصلت إلى المرحلة النهائية في مسابقة الشعر التاسعة للمحررين بديوانها "بعد اللاشيء"، 2021. حازت جائزة الشعر الدولية، والجائزة الثانية عن عملها "لا أرض تسكنني وأنا كذلك" عام 2018. فازت في مسابقة القصة القصيرة لتحفيز الإبداع الفني عن كتابها "أماكن غير متوقعة". كما حصلت على المركز الثاني في المسابقة الوطنية الثانية للقصة القصيرة، عن عملها "إلى الانجراف" 2011. حصلت على المركز الثاني في المسابقة الوطنية الثانية للقصة القصيرة "النفق" 2011، (2012). نشرت قصائد لها في مجلة "داتورا" 2014، وفي المختارات الشعرية لأميركا اللاتينية في سلفادور 2015.
شاركت في العديد من اللقاءات والمهرجانات الشعرية التي أقيمت في تابيو، فاكاتاتيفا، فنزويلا، بوغوتا، هافانا، سيريتي، وفي مهرجان ميديين الدولي للشعر 2023.

خوان بيورو.. كاتب عابر للأجناس الأدبية

كتبت: زكية حموش

تبدو التجربة الأدبية للروائي المكسيكي خوان بيورو، تمرداً صارخاً على هوية الأديب الذي يتخصص في كتابة نوع أدبي واحد أو اثنين، إذ اقتحم بيورو مختلف الأجناس الكتابية، من الرواية والقصة وأدب الطفل، إلى التقارير الإخبارية والمقالات، مروراً بالكتابة التأريخية، والنقدية، وصولاً إلى الأفلام، وكلمات الأغاني، والنصوص المسرحية، فضلاً عن تجربته في الترجمة من الألمانية والإنجليزية إلى الإسبانية.

خوان بيورو

هذه الهوية المتعددة يختصرها صاحب رواية "الشراع" في علاقته بالكتابة من دون حدود وحواجز، فهو يؤمن بأن الكتابة وسيلته للتعبير عمّا يشغل جيله وبلاده وما يجسد حضوره في العالم، لذلك ألّف أعمالاً أدبية تتداخل فيها الأجناس السردية، وتتمظهر في قالب جديد خاص به، يستفيد من السرد الروائي والقصصي ويستند إلى التحقيق والتقرير الصحفي ويحمل في طياته ملامح لغة غنائية صافية، وفي الوقت نفسه يقدم خطاباً نقدياً وتأريخياً، ولا تغيب عنه بعض المشهدية السينمائية.

يكاد يكون خوان بيورو قد ورث الكتابة عن أبيه، فهو ابن الفيلسوف وكاتب المقالات لويس بيورو، صاحب كتاب "المنزل يخسر"، فقد وُلد في العاصمة المكسيكية في 24 من سبتمبر/ أيلول 1956، وفتح عينيه على خطاب عالٍ، ورؤى بعيدة للحياة والسياسة والتاريخ، ودور الفرد في مجتمعه، فلم يكن يكبر كطفل، بقدر ما كان يعد ليكون كاتباً عابراً للأجناس الأدبية، ومغامراً في فتح بوابات جديدة للمعرفة.

شكّل ذلك الميراث الذي حمله خوان بيورو من أبيه، أمانةً ثقيلةً، وفي الوقت نفسه طاقةً هائلةً للعبور في مشواره الأدبي، فقد كان بالنسبة له مثل ضربة لاذعة على ظهر الحصان، ليعدو في مضمار السباق بسرعة هائلة، كما كان -من جهة أخرى- أشبه بواجب يظهر فيه احترامه لتاريخ والده، إذ قال في مقابلة مع الصحفية المكسيكية مونيكا ماريستين: "فعل أي شيء يجلب العار لوالدي كان أمراً مستبعداً، فعلى سبيل المثال العمل بالسياسة كان سيعتبره والدي بمثابة خيانة لقناعاته. لديّ شقيق طبيب ويعمل أيضاً في البورصة الأميركية وهو أمر يعد شجاعاً للغاية من جانبه، لكنه تسبب في حدوث شرخ كبير بعلاقته مع والدي، لهذا يمكنني القول إنني كنت الأقرب لاهتمام والدي".

وضع هذا التكوين الممتد بين جيلين في المشهد الثقافي المكسيكي، وتلك التجربة الأدبية المتعددة الأوجه، الكاتب بيورو في مسارات مهنية مختلفة، فمن صحفي، إلى مقدم برنامج إذاعي، ومؤلف كلمات أغانٍ، مروراً بمترجم، وملحق ثقافي في سفارة المكسيك لدى ألمانيا الشرقية، وصولاً إلى أستاذ جامعي، فقد درس علم الاجتماع والأدب في عدد من الجامعات.

إلى جانب هذه التجربة، وضع صاحب "محاضرة في المطر" لنفسه علامةً واضحةً في تعزيز خزانة المعرفة المكتوبة باللغة الإسبانية، إذ ترجَم عن الألمانية أعمالاً أدبيةً كبيرةً من بينها "حيل" لآرثر شنيتزلر، و"الأمثال" لجورج كريستوف ليشتنبرغ، وعن الإنجليزية نقل "الجنرال" لغراهام غرين. وكتب أيضاً في السينما وأدب الأطفال والفتيان والقصة القصيرة. وكتب مؤلفات بعضها عن كرة القدم وأشهرها "حينما لا نخسر أبدًا" الذي تناول فيه تجربة نادي برشلونة الإسباني، وتوقف فيه عند النجم الأرجنتيني ليونيل ميسي.

في العام 2022 تعرّف القارئ العربي إلى رواية خوان بيورو "محاضرة في المطر" التي صدرت عن دار تكوين الكويتية، بترجمة مارك جمال. وكان الكاتب أراد لروايته- وفق مترجمها- "أن تكون محاضرةً، فجاءت اعترافًا حميمًا وحديثًا صادقًا تحرَّر فيه المُحاضِرُ من القيود كما يتحرَّر الشعراء من العالَم بالمطر".

وضعت كل هذه المسيرة الأدبية الحافلة خوان بيورو على رأس قائمة الأباء المكسيكيين، حتى أنه بات ينظر إليه بوصفه الصوت الذي يعبّر عن هوية المكسيك الأدبية في الألفية الجديدة، لكنه كعادته في الكتابة، يرفض هذا التوصيف، وقال في أكثر من حوار صحفي معه: "لا أعتقد أنه يجب علينا نحن الكتّاب أن نصبح مرجعيات عليا، فالفكرة الأكثر تشويقًا بالنسبة للكاتب هي ضرورة أن يكون شاهداً وراوياً للأخبار بشكل أفقي أكثر منه رأسي، وليس أن يتم اعتباره نبياً، بل أن يشارك الجميع قصصه".

سيرة

خوان بيورو كاتب من المكسيك، وُلد في العاصمة المكسيكية في 24 من سبتمبر/ أيلول 1956.

من بين أعماله الروائية: "لقطة من أرغـون"، "القضية المعدة"، "الشاهد"، "نـداءات من أمستردام"، و"شراع".

نال عدداً من الجوائز والأوسمة تقديراً لتجربته الأدبية المتفردة، من بينها: جائزة كواوتيموك للترجمة، عام 1988، جائزة خابير فياوروتيا للكتاب 1999، جائزة ماثاتلان للأدب 2001، جائزة هيرالد لكتاب الشاهد 2004، الجائزة الوطنية للصحافة باثكيث مونتالبان 2006، جائزة أنتونين أرتاود في المكسيك 2008، ونظير عمله في الصحافة توّج بجائزة ثيودات دي برشلونة، عن مقاله "اكتشاف 3000 صورة من الحرب الأهلية"، والجائزة الوطنية للصحافة في إسبانيا.

الشعر عابراً للغات والمنافي

بقلم: الدكتور نجم والي

من جيل الشباب لمواليده 1949 لم يبق على قيد الحياة إلّا النفر القليل، "المواليد التعيسة" أو "مواليد المصيبة" هذه كما يصفها مَنْ عاشها في العراق، وهم يعنون الشباب من مواطني البلاد الذين قضى القسم الأكبر منهم نحبه في مطحنة حرب الشمال التي دارت رحاها بين الحكومة المركزية في بغداد والأكراد في كردستان العراق. ولحسن حظه، لكي لا نقول لحسن حظ البلاد، أن الشاعر شوقي عبد الأمير المولود في الناصرية، جنوب البلاد، عام 1949 وعلى العكس من أولئك الشباب الذين كان عليهم الخدمة في الجيش في الشمال، غادر البلاد في عمر مبكر ليواصل دراساته العليا في الأدب المقارن في جامعة السوربون في باريس والتي تخرج فيها عام 1974، وقبل إستدعائه للخدمة العسكرية. في ذلك الوقت وقبل سفره بسنوات قليلة قدم الشاعر الشاب آنذاك ديوانه الأول "أجنة وسراويل صحراوية" إلى دائرة الرقابة الرسمية، ليتفاجأ بقرار الرفض بسبب مقطع واحد من الديوان. وجاء في حيثيات الرفض الذي حدث عام 1969 أن الشاعر يدين "القومية والعروبة"، وكان ذلك إشارة الإنذار الأولى للشاعر بأن الأمور لن تسير على ما يرام فيما يخصه وأن ما حدث هو بداية لقمع قادم لحريته كإنسان وكشاعر.

الإيرلندي جيمس جويس صرح ذات يوم: "إذا لم تتمكن من تغيير البلد، فعليك تغيير المحادثة. لكن مهما حدث، الشيء الصحيح الذي يجب فعله هو المغادرة". وكأن الشاعر الذي وُلد قريباً من أور التاريخية، لم يبق أمامه غير المغادرة، كأنه في سيره على خطى منفيين قبله، يلبي نداء جويس، حتى قبل أن يسمع به. كان الأمر واضحاً له، عليه مغادرة العراق قبل فوات الأوان، وكأن قدر المولود في مكان قريب من سلف له خط تلك العبارة على رقيم طينيّ في أو نصّ أدبيّ مكتوب في تاريخ الإنسانية وما زال خالداً حتى اليوم "هو الذي رأى". المفارقة، بعد مرور نصف قرن على تلك الحادثة، تتحدث الصحافة عن الشاعر شوقي عبد الأمير بوصفه أول عراقي يحصل على أعلى وسام ثقافي في فرنسا "وسام الفارس للفنون والآداب"، فيما على الطرف الآخر لا أحد يتذكر مسؤول لجنة الرقابة آنذاك، الذي أصبح طيّ النسيان، لا ذكر له ولا أثر تركه بعد وفاته في الحياة الأدبية غير نصوص محلية بائسة وكتابات تمجد الدكتاتورية والحرب، كم عادل هو التاريخ.

السياسة كما الدين، تحتاج إلى قناعة. لكن الأدب يزدهر في ظل السؤال. لسوء الحظ ، هناك عدد كبير ممن يريدون عدم ترك مجال للشك. وهذا ما رآه الشاعر شوقي عبد الأمير وقتئذ، بأن الفن والكتابة الابداع عموماً لا يُمكن لها أن تكون خلاقة ومجددة من دون الحديث بحرية، ومن دون التورط بـ"هجاء الحاضر". عبد الأمير عرف ذلك منذ ديوانه الأول، أن ما سيكتبه من شعر لن يعجب الرقيب وسيدخله في تصادم مع السلطة، ولكي يتجنب ذلك، عليه منذ الآن تقديم أي عمل يكتبه في البداية إلى الرقيب قبل التفكير بنشره، وكان هذا الهاجس وحده كافياً في جعله لا يشعر بالراحة. الإخلاص للإبداع يعني الإصطدام مع الرقيب، كما يعني التعرض للخطر، وحين يصبح الوجود الفيزيائي للمبدع مهدداً، عليه الإختيار، ولأنه لم يشأ أن يصبح رقماً آخر من ضمن أرقام ضحايا فتاوى الرقابة وجبروتها، كان لا بد له أن يغادر، ليس لأنه أدرك مدى خطورتها بالنسبة لأولئك الذين يدافعون عن حرية التعبير وحرية الفن، إذ إن عدد الذين دفعوا حياتهم ثمنًا لذلك كبير. كلا ليس لهذا السبب وحسب، بل لأنه فهم منذ البداية أن تقديم عمله لدائرة الرقابة كل مرة، هو نوع من الاعتراف بها، لكن شاعرًا مبدعًا في مجاله، يحترم عمله، ومنجزه الإبداعي، ويحترم نفسه، لن يمنحها هذا الاعتراف، فمن الأفضل أن يرحل، إذ إن عدم فعل ذلك، يعني إنه سيدفع حياته كما دفعها آخرون، ذلك ما عرفه الشعراء الذين تغنوا للحرية والجمال، وفي هذا شارك عبد الأمير عشرات الكتّاب والفنانين الذين تحول المنفى إلى وطن لهم، ليس ذلك وحسب، بل هو هذا الهواء الحر الذي غذى شرايين الإبداع وزودها بالأكسجين. وما بالك إذا كان الهواء هو هواء باريس السبعينات، حين كانت وعلى مدى عقود طويلة قبلة المبدعين من كل أنحاء العالم.

ليس الهدف هنا سرد ملف طويل بأسماء المنفيين المبدعين الذين غادروا إلى منافيهم، لكي يبدعوا، وإلى باريس بالذات، فعدد كبير منه تحكي قصصهم شواهد القبور في مقبرة بيرلاشيه ومقبرة مونبرناس، كأن العاصمة الفرنسية لم تكن ذات يوم عاصمة الثقافة في العالم وحسب، بل هي المكان النموذجي الفردوسي لكل الكتّاب والفنانين والمثقفين حتى في موتهم، أولئك الذين فضلوا العيش في الغربة، واخترعوا أوطانهم الخاصة بهم، على العيش تحت عبودية الدكتاتورية والكتابة لها. القصيدة الخالدة "حجر أسود على حجر أبيض" التي كتبها سيزار باييخو المولود في دي تشوكو، بجبال الأنديز، في بيرو عام 1892، شاعر بيرو الأول وأحد المجددين للشعر باللغة الاسبانية، لم يعرف أنها ستكون نشيد المنفيين، ليس لزملائه الأميركان اللاتينين وحسب، بل النشيد الذي تردده حناجر منفيين يتحدثون لغات أخرى. يقول باييخو في قصيدته: "سَأَموتُ في باريسَ تَحتَ وابلٍ منَ المَطر/ في يومٍ لديّ منذُ الآنَ ذكرى عَنْه".

قائمة طويلة من المبدعين الذين قدموا من كل العالم لتنفس هواء باريس لكي يبدعوا أدباً وفناً على هواهم، إلى جانب باييخو والغواتيمالي ميغيل أنخيل أستورياس والمكسيكي أوكتافيو باث وشريكه بالمواطنة كارلوس فوينتس، والألماني هاينريش هاينه، والشاعر النمساوي ريلكه، مروراً بالروماني يوجين يونسكو وشريكه بالمواطنة سيلين، إلى الإيرلندي أوسكار وايلد وشريكيه في المواطنة جيمس جويس وصموئيل بيكيت، إلى الإسباني بابلو بيكاسو وشريكه بالمواطنة سلفادور دالي، ومعهم الكولومبي الذي سيتحول إلى أسطورة غابرييل غارسيا ماركيز والبيروفي ماريو برغاس يوسا، والأرجنتيني خوليو كورتاثار، والإيراني صادق هدايت، وزميله بالمواطنة أحمد فرهنكس، والباكستاني محمد إقبال، إلى المخرج السينمائي الكردي يلماز غوناي.

وتطول القائمة التي تضم أيضاً كل أولئك المبدعين من "لوست جينيريشن" (الجيل المفقود)، أولئك الأميركان الذين لم تكن منافيهم قسرية، بل جاءوا بإرادتهم، وأعني أرنست همنغواي، وسكوت فيتزجرالد، وترومان كابوته.

شوقي عبد الأمير الذي ربطته صداقة مع صموئيل بيكيت ومنفيين آخرين، يحتل بجدارة مكاناً في هذه القائمة. وكما حدث لشركائه بالإبداع، لم تكن باريس بالنسبة له مدينة معروفة للمتعة، بل كانت حافزاً للإبداع. منذ البداية عرف البحث عن طريقه الخاص، جاء باريس مبدعاً شاباً وقد وضع

نصب عينيه قمة جبل الأوليمب. المفتاح لكل ذلك، سيكون تعلم اللغة الفرنسية وإتقانها مثل إتقان أهلها. ففي عام 1974 حصل على الماجستير في الأدب المقارن من جامعة السوربون، ليبدأ بعدها بتشكيل شخصيته، ويصبح ما أصبح عليه اليوم. باريس الحرية، جعلته يختار طريقه أيضاً بحرية، أن يذهب للعمل مدرّساً في الجزائر، قبل أن ينتقل إلى العمل الصحفي والثقافي. كان سكرتير تحرير لمجلّة "العالم العربيّ" في الصحافة الفرنسيّة، ثم مستشارًا صحافيًّا في سفارة اليمن الديمقراطيّة (اليمن الجنوبي سابقاً) في باريس، ثم مديراً للمركز الثقافيّ اليمنيّ في باريس بعد الوحدة اليمنية عام 1991، بعدها عمل في مجال العلاقات الدولية بمنظمة اليونسكو، وعمل أيضًا خبيرًا في العلاقات الثقافية الدولية بالمنظمة طيلة عشر سنوات، وأسس مشروعه الثقافي الكبير ضمن منظمة اليونسكو "كتاب في جريدة"، وهو أكبر مشروع ثقافيّ عربيّ تمّ تحت رعاية اليونسكو، ثم أصبح المستشار الثقافي لرئيس معهد العالم العربي في باريس، قبل أن يتوّج مرشحًا لرئاسة المعهد، ويُكرم من الدولة الفرنسة بميدالية الفارس للفنون والآداب هذا العام 2023.

وفي كل ذلك يثبت الشاعر شوقي عبد الأمير، أو "البارون الشاعر" كما يطلق عليه أقرب أصدقائه، أنه شاعر متميز في أكثر من مجال، ليس في شعريته وحسب، التي لا تنتمي إلى جيل أو مكان، فهو عابر للأزمنة، بل هو متميز في سيرته كإنسان في المقام الأول. شغفه في العمل الدبلوماسي لا يختلف عن شغفه الشعري، وكأنه في هذا يسير على خطى زملائه وشركائه في الإبداع، كل أولئك الشعراء الذين اشتهروا بعملهم كدبلوماسيين، سواء عملوا سفراء لبلدانهم سنوات طويلة، أو عملوا ملحقين ثقافيين، ونتذكر هنا: التشيلي بابلو نيرودا، والغواتيمالي ميغيل أنخيل أستورياس، والمكسيكيين أوكتافيو باث وكارلوس فوينتس، والفرنسي ليوبولد سنغور وغيرهم.

وكما صرح عبد الأمير أكثر من مرة، فهو لا يرى تناقضاً في توفيقه بين الشعر والعمل الدبلوماسي، إذ يرى نسقًا متصلًا بينهما، فكلاهما يعتمد اللغة ويحتاج إلى حساسية وثقافة وقدرة على اختزال وتوصيل ونقل الأحاسيس والمعرفة، وحسب قوله فإن "الدبلوماسي والشاعر يدوران في نفس المساحة، وليس غريبًا أن تجد كبار الشعراء في العالم أيضًا كانوا دبلوماسيين، فالدبلوماسية والشعر ينبعان من نفس المصدر ولا يؤثر أحدهما على الآخر". وبحكم عمله الدبلوماسي نجح في نقل القصيدة العربية إلى ثقافات عالمية أخرى، وكانت كتابة الشعر سلوته في الغربة حيث قضى سنوات طويلة لتنعكس تلك التجربة على أعماله الشعرية.

يتحدث عبد الأمير عن مؤلفاته الشعرية الكثيرة باللغتين العربية والفرنسية، وأن لديه مؤلفات في النثر والمقالات والسرد والترجمة، من بينها 15 ديوانًا، وأربعة كتب بين السرد والمقالات الصحفية. ومن أهم دواوينه التي صدرت مؤخرًا، يذكر عبد الأمير "كتاب نادو" وهي قصيدة حُبّ، وقبلها صدر ديوان "في الطريق إليّ" وقبله "أنا والعكس صحيح"، وصدرت له مؤخرًا دراسة بعنوان "جهة الصمت الأكثر ضجيجًا"، فضلًا عن كتاب سرد عن زيارته لبغداد بعد 36 عامًا من النفي اسمه "يوم في بغداد".

في إحدى الحوارات التي جرت معه وفي سؤال له عن معنى المنفى بعد مرور خمسة عقود، يقول شوقي عبد الأمير "عشت في العراق 20 عامًا، وعشت وأعيش في الغربة 50 عامًا، ماذا يعني هذا؟ أين الوطن وأين الغربة؟ المسألة الحقيقية بالنسبة لي أين تتحقق الذات؟ ذات الشاعر، ذات المبدع، إذا تحققت في الوطن فتتحقق في الوطن، إذا تحققت خارج الوطن فتتحقق خارجه، لكنها تتحقق في مكانٍ واحد لا حيادة عنه: اللغة". ويتابع، "هذا مفهومي الحقيقي للمنفى، ولهذا أنا في الخارج أكتب بلغتي أو بلغة أخرى، أُحققُ ذاتي وأُحققُ وجودي في القصيدة، وما المنفى الحقيقي في انتقالي من مدينة إلى مدينة ومن بلد إلى بلد، بل المنفى الحقيقي أن يصادر حاضري".

تكريم فرنسا لعبد الأمير لم يكن إعتباطاً إذن. كان مكافأة له، على مثابرته في مجال الشعر ومجال الدبلوماسية. بعد مرور خمسة عقود على رفض الرقيب لديوانه الأول، ومغادرته إلى منفاه باريس، انتصر الشاعر، وانهزم الرقيب الذي مات مجهولاً ولا أحد يتذكره الآن. شوقي عبد الأمير يعيش بيننا ولا تعب يبين عليه في السير قدماً على طريق الإبداع، بل لا تعب يبين عليه وهو يتنقل بين العاصمة الفرنسية باريس وبغداد، مؤونته الشعر. الشعر عابراً للغات، إذن. تحية للشاعر شوقي عبد الأمير وهو يحيا بيننا مرارًا ومرارًا.

• روائي من العراق يقيم في ألمانيا

فرح كريم كوبر.. شكسبير والعنصرية

حوار: جستين جيفريز

في كتابها "الشاعر الملحمي الأبيض العظيم" من منشورات فايكنغ، تفحص الكاتبة فرح كريم كوبر، مديرة التعليم في "شكسبير غلوب"، تصوير الكاتب المسرحي للعنصرية والعِرق.

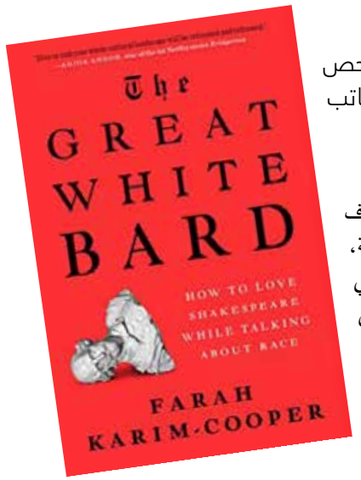

• ما الذي دفعك للكتابة عن معالجة شكسبير لموضوع العرق؟

- لقد كنت أفكر في شكسبير والهوية لفترة طويلة. أنا أعمل في "شكسبير غلوب"، وهي منظمة عامة حيث يأتي الناس لتبجيل شكسبير، وأنا هناك لإثارة هذه الفكرة. عندما أنشأت مهرجان شكسبير والعرق في عام 2018، قمت بدعوة باحثين وفنانين مسرحيين وممثلين ومخرجين ومنتجين كانوا من ذوي البشرة الملونة للحضور والتحدث عما يعنيه لهم العمل في صناعة مسرح شكسبير. ما أصبح واضحاً هو أن الناس بالكاد كانوا يجرون هذه المحادثة. خطرت لي فكرة هذا الكتاب في عام 2019، ولكن في عام 2020، بعد مقتل جورج فلويد، أصبح من الضروري جداً أن أكتبه.

• كيف تقارنين تصور شكسبير للعرق بتصوير غيره من الكتّاب المسرحيين في عصره؟

- يعكس شكسبير تصورات العرق التي كانت متداولة في عصره، لكن يبدو أحياناً أن شكسبير نفسه ينغمس في العنصرية ومعاداة ذوي البشرة السوداء، في حين أعتقد أنها في الواقع أكثر تعقيداً من ذلك. إنه ليس الوحيد الذي لديه شخصيات من أعراق مختلفة، كان هناك المور أو الأفارقة من ذوي البشرة السوداء بالإضافة إلى الشخصيات المسلمة واليهودية في أعمال كتّاب مسرحيين الآخرين، لكن شكسبير دمجهم وأدرجهم في أعماله أكثر من معاصريه من الكتّاب. شخصياته ليست أحادية البعد أو مجازية للرذيلة أو الشر. لديهم الكثير من التعقيد والعمق ويتحدون القراء حتى يومنا هذا.

• هل اكتشفت أي شيء جديد حول شكسبير أثناء كتابتك لهذا الكتاب؟

- كان من الرائع حقاً اكتشاف الروابط بين الذوق، والثقافة، والبحث الأنثروبولوجي في التصنيف العرقي في القرن الثامن عشر. بطريقة ما كانت هذه الضوابط المختلفة تتحدث مع بعضها البعض وكان لديها جميعاً ما تقولونه عن العرق. كانت هذه هي النقطة في التاريخ عندما كانت تجارة الرّق تجعل البريطانيين أثرياء جداً، ولذلك يعززون الشعور بالذاتية الثقافية على أساس الجنسية والبشرة البيضاء، وأصبح عمل شكسبير عالقاً في ذلك. كانت تلك لحظة إلهام ضخمة، عندما رأيت أن صعود شكسبير حدث بالتزامن مع صعود تجارة الرقيق والقوة البحرية لبريطانيا.

• كيف نستجوب الأعمال الكلاسيكية بطرق تجعلها ذات صلة بقراء اليوم؟

- سأبدأ دائماً بعبارة "لا تتجاهل كتاباً". فكّر في سبب وجوده في المقام الأول. لماذا صمد 150 أو 200 أو 500 عام؟ ثم ضعه في حوار مع الأعمال المعاصرة، وهو أمر مهم جداً القيام به. إذا وضعت قطعاً فنية في علاقة مع بعضها البعض، فيمكنك الحفاظ على الروابط حية، سواء كنت مدرساً في فصل أو مخرجاً لمسرحية.

Publishers Weekly – 8 May 2023

الأندلسية أديبة روميرو

على الرّغم من الدراسات العديدة التي بحثت في الإرث العربي الإسلامي في الأندلس، على يد مؤرّخين وباحثين وكتّاب عرب ومستعربين ومستشرقين إسبان وغيرهم من مختلف الدول، إلّا أن الكنز الأندلسي لم ينفتح كاملاً بعد. ويرى باحثون أن عدد المخطوطات في تلك المرحلة يزيد على أربعة ملايين مخطوطة، لم تُكتشف كلها، كما لم تتم فهرسة جزء كبير مما هو موجود منها، فضلاً عن أن بعثات التنقيب أو المصادفات تواصل الكشف عن مفاجآت بين فترة وأخرى، ومن بينها العثور على مخطوطات كانت مخبّأة في جدران البيوت، منها نصوص عربية كُتبت بالحرف القشتالي، تفاديًا لمحاكم التفتيش، إذ إنّ جزءًا من الأندلسيين الذي أُجبروا على التنصّر عنوةً، ظلّوا متمسّكين بالإسلام واللغة العربية سرًّا، لتجنّب الوقوع تحت التعذيب.
في حقل الدراسات الأندلسية، يظهر اسم الدكتورة آدا روميرو سانشيز التي اختارت لها اسم (أديبة)، بعدما اكتشفت أنها أندلسية من أصول عربية شامية مسلمة، وبعد الصدور المتأخر لقانون إسباني لحرية الأديان، أسلمت عائلتها، أو بالأحرى "عادت" مجددًا إلى دينها الأصلي. عاشت في مكّة التي دخلتها وهي في الخامسة من عمرها، مع عائلتها، لتعود إلى إسبانيا بعد عشر سنوات من الإقامة في السعودية، لتكمل دراستها. وفي الجامعة واصلت ما يتوافق مع شغفها بجذورها وتاريخ أجدادها الممتد على مدى ثمانية قرون، فهي الآن أستاذة في التاريخ الأندلسي، ورئيسة قسم البحوث والمخطوطات في كلية الدراسات الأندلسية في جامعة غرناطة، وهي أيضًا عضو في جمعية المكنز الإسلامي. لها دور فاعل ومهم في علم المخطوطات، بين البحث والدراسة والتحقيق والحفظ، فضلاً عن المحاضرات والندوات والمؤتمرات التي تشارك فيها، مؤكدة في كل ذلك على جوهر الإرث المشترك والقواسم المشتركة بين الثقافتين الإسبانية خصوصًا والغربية عمومًا، والثقافة العربية الإسلامية. لقد تنقّلت بين مدن عدة في العالم من أجل الكنوز المخطوطة، يقودها شغفها بالجذور والبحث والعلم وتعزيز التفاهم بين الثقافات وإنصاف دور العرب الحضاري في مسيرة الإنسانية. وكانت كشفت عن وجود موريسكيين في أميركا اللاتينية يسبق وصول كريستوفر كولومبس، بعدما تم العثور على أسماء وأساليب فلاحية ومقابر إسلامية هناك. وأوضحت أن صفة "الموريسكي" أطلقتها محاكم التفتيش على المسلم الذي أُجبر على التنصّر، بعد سقوط الأندلس. ونشرت الدكتورة أديبة روميرو أول دراسة عن مخطوطات علي بن زياد القوطي الأندلسي في تمبكتو، بعدما هرب من طليطلة إثر الإبادة العرقية الجماعية، وأخذ معه مكتبته. وكانت مجلة "الناشر الأسبوعي" نشرت قصة رحلة عودة تلك المخطوطات من تمبكتو إلى موطنها الأول في طليطلة، عبر لقاء مع الحفيد الشاعر والباحث إسماعيل حيدرة، الوصيّ على إرث أجداده، وكنتُ التقيتُه في شهر يوليو/ تموز الماضي خلال مهرجانين للشعر في كولومبيا وفنزويلا، وحدّثني عن كنز أجداده العائد إلى طليطلة، ومن بينه مخطوطة قرآنية نادرة.
كما أشارت "المستعربة" أديبة روميرو التي ترجع أصولها إلى عائلة بني القاسم الشاميّة، عن وجود فجوة تاريخية تصل إلى 100 عام، بين القرن الثامن وبداية التاسع الميلادي، بسبب تغييب الوثائق والمخطوطات، وعدم اكتشاف مصادر عن تلك الفترة، حتى الآن.
لذلك كله، لم يَبُح الكنز الأندلسي بكل أسراره ومكنوناته بعد، لكنه يُواصل سحرَه ودرسَه وعظمتَه التي لا تنضب.

علي العامري
مدير التحرير

مدينة الشارقة للنشر
Sharjah Publishing City

هيئة الشارقة للكتاب
Sharjah Book Authority

المنطقة الحرة التي تدعم أعمال الطباعة والنشر حول العالم

spcfz.com